المختار

ثائر بني ثقيف

ويضم أيضا سيرة حياة القائد المغوار

إبراهيم بن مالك الاشتر النخعي

تأليف

محمد علي يوسف الأشيقر

بكالوريوس في القانون

شارع الإمام الحسين (عليه السلام) فندق الاشيقر

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

هاتف (٣٢١١٥٥) موبايل (٠٧٨٠١٧٠٧٠٧٦)

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

تنضيد وطبع

مطبعة كربلاء - هاتف (٣٢١٨٦٩)

موبايل (٠٧٧٠٢٦٦٢٧٩٠)(٠٧٨٠٣٦٨٥٧٠٤)

البريد الألكتروني karbalapresse@yahoo.com

كربلاء المقدسة - شارع العباس (عليه السلام)

المختار

ثائر بني ثقيف

ويضم أيضا سيرة حياة القائد المغوار

إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي

تأليف

محمد علي يوسف الأشيقر

بكالوريوس في القانون

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

تنضيد وطبع

مطبعة كربلاء - هاتف (٣٣١٨٦٩)

موبايل (٠٧٧٠٢٦٦٢٧٩٠)

تتناول هذه الدراسة الموجزة سيرة حياة البطلين الهمامين المختار الثقفي وساعده الأيمن ورفيق دربه إبراهيم النخعي حيث تمكن الاثنان عند اتفاقهما وتعاونهما والتقاء ارادتهما من تصفية ودك وقطع كل الرؤوس التي شاركت – من قريب أو بعيد – في قتال الحسين (ع) وأنصاره في معركة الطف الخالدة وفي هذه الجبهة أو تلك ومنها معركة الخازر التي قادها القائد المغوار ابراهيم النخعي في منازلة الجيش الاموي بقيادة عبيد الله بن زياد – حيث تم للنخعي وبسهولة هزيمة الجيش الاموي وسحقه رغم ان رحى المعركة قد جرت على ارض العدو ورغم ان تعداد جيش النخعي كان عشر الجيش الاموي ورغم ان جيش النخعي كان هو المهاجم وليس في موقف الدفاع وهذه الحالة تتطلب – في قواعد الحروب – ان يكون تعداد الجيش المهاجم خمسة أضعاف الجيش المدافع لتتكافأ النسبة بين الاثنين في المعركة ..

علما بان هذا الاتفاق والاتحاد بين القائدين العظيمين لو كان مستمرا حتى النهاية ، لتمكنا سوية بعون الله تعالى من القضاء على حكومتي الزبيريين والامويين هنا وهناك ولقامت محلهما حكومة اهل البيت (ع) ولاستمرت الى يوم الدين .

الا انه لسبب او لاخر – والذي ناسف له كثيرا – اختلف الاثنان مما شجع وساعد جيش مصعب بن الزبير من اقتحام الكوفة وقتل المختار وهو يذود عنها وان يضع رأسه بين يديه في قصر الإمارة كما وضع المختار راس ابن زياد بين يديه سابقا وراس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان لاحقا في نفس هذا القصر بالكوفة   والله ولي التوفيق .

الطبعة الاولى

١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م

العنوان كربلاء المقدسة – شارع الحسين (ع)

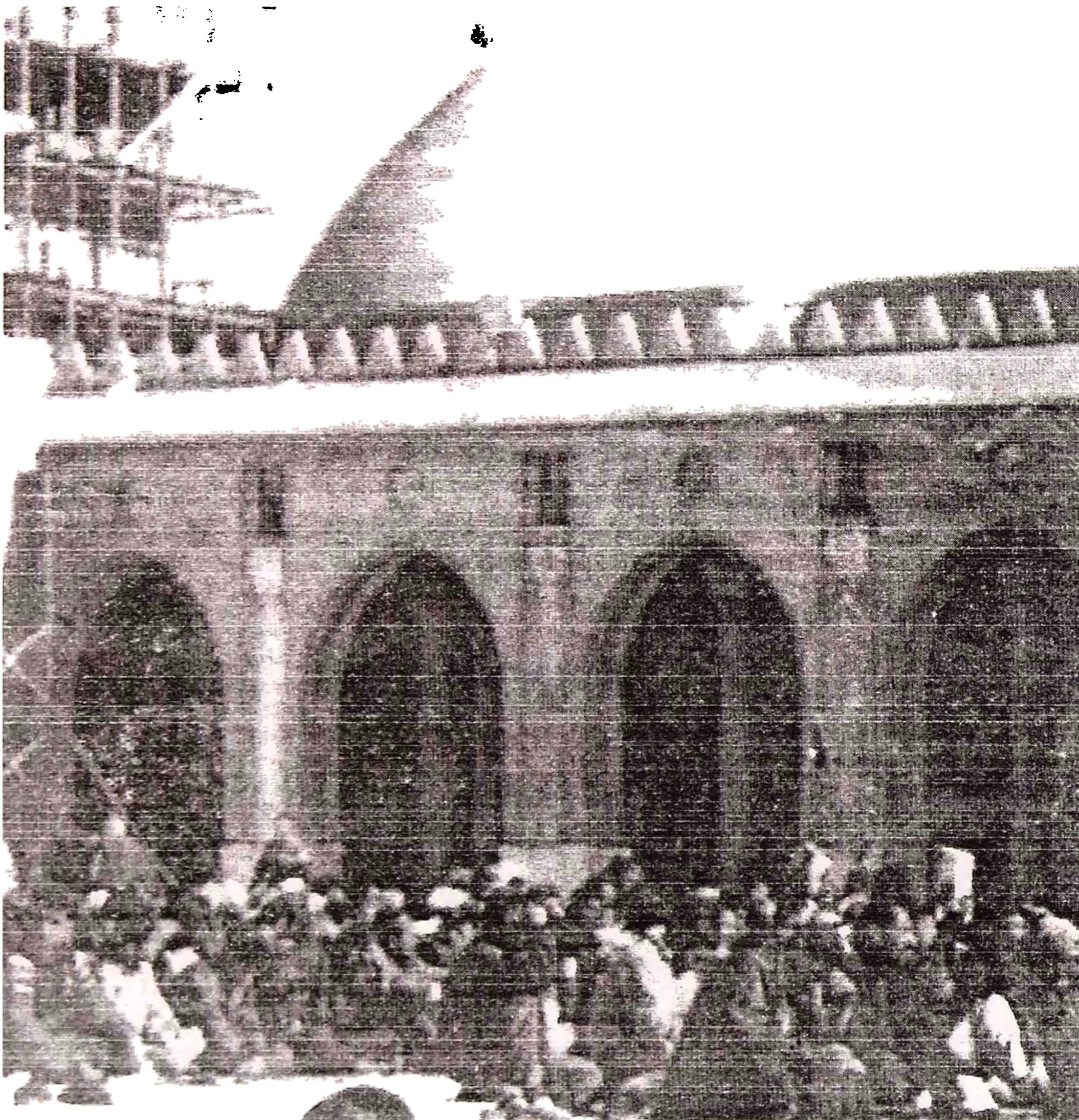
قرب مرقد العلامة ابن فهد الحلي (رحمه الله) فندق الاشيقر

هاتف (٣٢١١٥٥) موبايل (٠٧٨٠١٧٠٧٠٧٦)

تنضيد وطبع مطبعة كربلاء – شارع العباس (ع)

هاتف (٣٣١٨٦٩) موبايل (٠٧٧٠٢٦٦٢٧٩٠) – (٠٧٨٠٣٦٨٥٧٠٤)

بسم الله الرحمن الرحيم



مسجد الكوفة وتشاهد خلفه قبة مشهد الشهيد مسلم بن عقيل (ع)
ويقع على بعد عدة أمتار من المشهد المذكور (ومن جهة الجنوب) قبر
المختار الثقفي (رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

حكمة الكتاب

((أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه
إلا قال في غده :-
لو غير هذا لكان أحسن . ولو زيد كذا لكان
يستحسن ولو
قدم هذا لكان أفضل ولو ترك ذلك لكان أجمل
..
وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء
النقص على
جملة البشر)) ..

العماد الاصبهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار شخصية لامعة

استوعبت التاريخ اشراقاً وجهاداً ووعياً

بقلم

العلامة الفاضل

الشيخ باقر شريف القرشي

لم تكن شخصية المختار الثقفي شبحاً مبهماً ، وإنما هي شخصية لامعة استوعبت التاريخ إشراقاً وجهاداً ووعياً ، فقد قام بدور ايجابي ومتميز بانقلاب عسكري في العراق ، دلّ على وعيه السياسي وانه من وراء السياسة الناجحة في دنيا الإسلام ..

لقد فجرّ المختار ثورته الكبرى الخالدة ، ولم يكن يبغي بها السلطة والظفر بخيرات البلاد والتنعم بغطرسة الحكم ، وإنما كان يبغي إقامة العدالة الاجتماعية ويعيد بين المسلمين سياسة الإمام علي أمير المؤمنين (ع) وإعادة حكمه الهادف إلى نشر العدل والحق وإعلان حقوق الإنسان ، وان لا يبقى في البلد ظل البؤس والحرمان ، كما كان يتوخى ذلك الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في دور حكومته ، وقد أيدّت ذلك دائرة المعارف الإسلامية البريطانية وأعلنت أن المختار أراد أن يحي دور الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام حكومته —

وشيء آخر جدير بالاهتمام والتقدير لهذا البطل الفذ الذي تربى في مدرسة الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وتغذى بآدابه وفكره وتعاليمه . هو

انه قام بتطهير البلاد من العصابة المجرمة التي انتهكت حقوق الله تعالى ، واعتدت على سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين (عليه السلام) فأبادته مع السادة الممجدين من أهل بيته ، وأصحابه الكرام الذين وهبوا حياتهم لله تعالى ولنصرة الإسلام الذي جهدت الحكومة الأموية على قلع سطوره ومحو آثاره -

وعلى أي حال فالمختار جدير بالدراسة الواعية وجدير بالتعظيم والتكريم وحسناً ما قام به الأستاذ محمد علي الاشيقر من جهد خلاّق وبحث نزيه متميز بالوعي ، وإنا نصافحه ونتمنى له المزيد من هذه البحوث التي تنفع الناس ..

النجف الاشرف

مكتبة الامام الحسن (عليه السلام) العامة

١٨ / جمادي الأولى / ١٤٢٠هـ باقر شريف القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار .. الشخصية المناضلة في سبيل أهل البيت (ع)

بقلم

العلامة الفاضل

الشيخ احمد الحائري

الحمد لله الذي عرفّنا على الهدى والصلاة والسلام على انوار التقى محمد واله الذين اصطفى ...

لقد تشرّفت بخدمة الاستاذ الفاضل المؤلف السيد محمد علي الاشيقر الكربلائي حفظه الله وقدمّ ليّ كتابه القيمّ ((المختار ثائر بني ثقيف)) لاكتب له تقريضاً فرأيت نفسي اقل من ذلك ولكن حسن ظنه بي فلبيت الطلب امتثالاً ..

فراجعت الكتاب وجدته كما كنت اترّقب قوي الحجة وافي الاستدلال للدفاع عن هذه الشخصية المناضلة في سبيل اهل البيت (عليهم السلام) وهذه ليست اول مكرمة من هذا السيد الجليل ..

الحديث عن هذا البطل المجاهد الذي دافع عن حق اهل البيت (عليهم السلام) وانتصر لهم وانتقم من قتلة الامام الحسين (عليه السلام) وقد اثنى اكثر من معصوم عليه ودعم نهضته المباركة ، ولكن الاعلام المضاد ، الموالي لال امية شوهّت الحقائق وأهالت التهم الباطلة عليه ، وهذه ليست اول قارورة كسرت في الاسلام لان كل من يعمل ويسعى على الحق تتوّجه عليه السهام الحاقدة ، ولكن الحق منصور وثابت ..

وهذا الثائر العظيم ادى ما عليه وادخل السرور على قلوب اهــل انبيت (عليهم السلام) ..

وقد اثنى عليه اهل الحق والحقيقة وارباب التراجم المنصفين امثال الشيخ عبد الله المامقاني صاحب التنقيح .

وفي الختام ندعو بالتوفيق لجناب المؤلف المعظم وان يستمر في مـسيرته المثمرة وعطائه المكثف والله الموفق والمستعان

كربلاء المقدسة

١/ ذوالحجة ١٤٢٧هـ

الأقل

الشيخ احمد محمد رضا الحائري

امام جامع السلطانية

المختار في تصديه للزمر التي حاربت الإمام الحسين (ع) في كربلاء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد (ص) وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ..

وبعد فان من القادة والرموز العظام الذين اضطلعوا بالثار لقتلى ملحمة كربلاء والانتصار لحق الإمام الحسين (ع) ودعوته كان المختار الثقفي ورفيق دربه إبراهيم بن مالك الاشتر النخعي ، حيث قام الاثنان بملاحقة ومتابعة كل فرد رفع سلاحه وشهر سيفه بوجه الإمام (ع) في معركة كربلاء وتولى قتل وسلب وسبي الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه ..

حيث لم يترك المختار والاشتر أحداً من هؤلاء الطغاة والذين جاءوا لحرب الحسين (ع) في طف كربلاء طليقاً وحراً يسير على قدميه في هذا المكان أو ذاك ، حيث تتبعهم المختار والاشتر في كل جهة وزاوية وتحت كل حجر ومدر وانزل بساحتهم العقاب والجزاء العادل الذي يستحقونه جراء ما اقترفت أيديهم في كربلاء يوم العاشر من المحرم عام ٦١هـ ..

وطبيعي إن العمل والفعل الذي تولاه المختار في تصديه لقتلة الإمام الحسين (ع) كان استجابة لمقولة الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء حين قال (ع) : ((اللهم سلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسا مصبّرة ولا يدع أحدا إلا قتله قتلةً بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي))..

كما وان المختار بعمله هذا قد افرح واغبط قلوب ونفوس أهل البيت (ع) في المدينة المنورة ، حيث بعث برؤوس الطغاة والبغاة الذين قاتلوا

الحسين (ع) إلى الإمام علي بن الحسين (ع) في المدينة مما دعـا الإمـام لان يقول :((الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً))

كما إن الإمام محمد الباقر (ع) كان قد اجلس ابن المختار الثقفي إلى جواره حين زار المدينة المنورة ورغب بان يتشرف بلقاء الإمام (ع) حيـث قال الإمام (ع) له : ((رحم الله أباك ما ترك لنا حقاً عند أحد إلا أخذه))..

وأننا هنا بدورنا نشجع وندعوا كل الأقلام العربية والإسلامية الخيّرة لان تتناول هذا الموضوع بما يستحقه من شرح وتبيان ، فضلاً عن المواضيع الأخرى التي تبحث وتتناول سيرة حياة أصحاب وأنصار أهل البيت (ع) ممن قدّموا أرواحهم رخيصة في سبيل الإسلام والذود عن حياض أهل البيت (ع) وقضاياهم العادلة والمشروعة ..

كما ونشكر مؤلف هذا الكتاب السيد محمد علي الاشيقر على جهوده في إعداده وبالصورة الجيدة التي هي عليها الآن ، إضافة إلى كتبـه الـسابقة واللاحقة التي يفاجئنا بها بين فترة وأخرى ...

راجين له ولبقية الكتّاب الكرام الاستمرار على إتحافنا وبكـل جديـد وحديث عن سيرة حياة الصفوة المنتخبة من أصحاب وأنصار أهل البيـت (ع) ... والحمد لله رب العالمين أولا واخرا ....

كربلاء المقدسة	بقلم
١صفر المظفر ١٤٢٨هـ	الحاج الشيخ عباس
١٩شباط ٢٠٠٧م	الشيخ محمد علي الكشوان

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار وأخذه بالثار

بقلم الأستاذ الأديب

السيد كاظم محمد النقيب

عندما يقوم انسان بعمل كبير ، وينهض بمهمة صعبة ، ويضطلع باعباء ثقيلة فان هذا الانسان لامحالة يتعرض لنوعين من الكلام والنقد .

النوع الاول : الذم والافتراء من قبل من تضررت مصالحهم وتعارضت معه مبادؤهم ، وشعروا بانه قد اعتدى عليهم ونغص حياتهم وقضي على طموحاتهم وخيب آمالهم .

والمختار - بما قام به من عمل جبار ومن اخذه بالثار - تعرض للذم والافتراء والبهتان والاكاذيب ونسبت اليه امور لاتثبت عند التحقيق والتمحيص من قبل من ضربت نهضته مصالحهم وقضت حركته على رغباتهم فانه قام بعمل جبار ونهض بمهمة خطيرة وقام بالاستيلاء على الكوفة وتتبع قتلة سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) وقتلة اهل بيته واصحابه تحت كل حجر ومدر . هذا العمل الخطير جعل اعدائه يصبون كل حقدهم وعدائهم عليه ولايتورعون من اتهامه بكل شائنة وموبقة خاصة اذا علمنا ان اعداء المختار هم اكثر من جهة واحدة فهم كما تعلمون :

١. الامويون ومن والاهم وعندهم الملك والمال والجاه ووعاظ السلاطين فسخر واكل ذلك للانتقاص من المختار ولفقوا عليه الاكاذيب ...

٢. الزبيريون ومن تبعهم فقد حكموا الحجاز والعراق فقد سخّروا امكانياتهم لمصالحهم وللحط من مكانة المختار وتشويه سمعته خصوصا وان المختار قد اخذ الكوفة من اتباعهم واستولى عليها رغم آنافهم..

٣. اتباع من قام المختار بتصفيتهم وهم من قتلة سيد الشهداء الامام الحسين (عليه السلام) واهل بيته واصحابه فان هؤلاء المجرمين لهم اتباع وعشائر قاموا ببث الاكاذيب على المختار وافشوا بين الناس الافتراءات ولفقّوا حوله التهم والاشاعات الكاذبة ونسبوها الى هذا وذاك فلا تستغرب ان تجد الاكاذيب حوله مبثوثة في هذا الكتاب او ذاك ومدوّنة من قبل هذا الكاتب او ذاك .

النوع الثاني : المدح والثناء من قبل من ينظرون اليه من خلال ما حققه لهم الآخرين من منافع ومكاسب مادية او معنوية ولبى ما تتوق اليه نفوسهم من تطلعات وآمال ..

والمختار قد نال ثناء ومدح الكثيرين ممن يوالون أهل البيت (عليهم السلام) ويتحرقون المأ لما اصابهم من الم وحيف وقتل وخاصة ما جرى في كربلاء من سفك لتلك الدماء الطاهرة الزكية ومن ابادة واستأصال للعترة النبوية الطاهرة ...

وقد قام المختار باخذ الثار لهؤلاء الاطهار ، وبذلك اثلج وشفي صدور قوم مؤمنين وخاصة اهل البيت النبوي (عليهم السلام) واتباعهم المخلصين فاستحق ان يقول فيه الامام علي بن الحسين (عليه السلام) لما اتى اليه براس

عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد خرّ ساجداً وقال : ((الحمد لله الـــذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيرا)).

كما يثني عليه الإمام الباقر (عليه السلام) وينهى عن سبّه ويقول : ((لا تسبوا المختار فانه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوّج أراملنا وقسّم فينا المال على العسر)) ، وجاء في البحار : دخلنا على أبي جعفر (عليه السلام) يوم النحر وهو متكئ وقد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ مـــن أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه ثم قال : من أنت ؟ قال الشيخ : أنا أبو محمد الحكم بن المختار بن أبي عبيدة الثقفي وكان متباعدا مـــن ابي جعفـــر (عليه السلام) فمد يده إليه حتى كاد يقعده في حجره بعد إن منعه يـــده ثم قال : أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك قال (عليه السلام) : واي شئ يقولون ؟ قال : يقولون كـــذاب ، ولا تـــأمرني بشيء إلا قبلته . فقال (عليه السلام) سبحان الله اخبرني ابي والله ان مهـــر امي كان مما بعث به المختار اولم يبني دورنا ؟ وقتل قاتلينا ؟ وطلب بدمائنا ؟ فرحمه الله ، واخبرني والله ابي انه كان يسمر عند فاطمة بنت علي يمهد لهـــا الفراش ويثني لها الوسائد ومنها اصاب الحديث رحم الله اباك رحم الله اباك ما ترك لنا حقا عند احد الا طلبه في قتل قاتلينا وطلب بدمائنا .

كما ان الامام الصادق (عليه السلام) قال بحقه : ((ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث الينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين صلوات الله عليه وفي خبر اخر عنه (عليه السلام) اذ قال : ما اكتحلـــت هاشميـــة ولا اختضبت ولارئي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قُتل عبيد الله بن زياد

ومن قبل ذلك كان ابو المختار من الموالين لامير المؤمنين (عليه السلام) وقد جاء بولده المختار اليه ليباركه فاجلسه الامام (عليه السلام) علـــى فخـــذه ووضع يده على راسه ويقول له (يا كيس يا كيس) وكان لهذه الكلمة وقعها في نفس المختار ـ فقد رسمت له طريق حياته وعرف قدر نفسه فكانه (عليه السلام) يريد بذلك ان يغرس في نفسه الثقة والتعقل ومعالجة الامور برويـــة وحكمة وهنا ياتي دور الاباء والمربين لاطلاق كلمة تـــبني عنـــد الناشـــئين شخصياتهم وتجعلهم يتطلعون الى معالي الامور وتخلق فيهم الهمـــم الرفيعـــة وتاخذ بايديهم عن الاسفاف للدنايا والمواقف الوضيعة المنافيـــة للاخـــلاق والاداب ..

وبالفعل كان المختار شخصية مرموقة يعالج الامور بحكمة وروية وتعقّل حتى استطاع ان يحكم الكوفة ويعمل على اخذ الثار من قتلة الحسين واهل بيتـــه واصحابه (صلوات الله عليهم) ويكفي المختار انه طلب من الناس ان يبايعوه على العمل بكتاب الله وسنة نبيّه والطلب بدماء الحسين بن علي ودماء اهل بيته واصحابه والدفاع عن الضعفاء ..

وروي انه قتل ثمانية عشر الفاً ممن شرك في قتل الحسين (عليه السلام) في ايام ولايته التي كانت ثمانية عشر شهراً .

وقد قال المختار : لاقتلن بقتل الحسين (عليه السلام) عدة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريا (عليهما السلام). وكان لايبالي بعدها بالموت .

وقد قال :((حتى اذا اقمت عمود الدين ورابت صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وادركت ثار النبيين لم يكبر علي زوال الدنيا ولم احفل بالموت اذا اتى))...

ولم يقض المختار نحبه على فراشه بل قارع الظالمين حتى قتل شهيداً في ساحة الوغى على يد جيش مصعب بن الزبير الذي زحف عليه من البصرة ولم يكتف بقتله بل قدّم زوجته وعرض عليها البراءة منه او قتلها وهي عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري فأبت قائلة : ((كيف أتبرأ من رجل يقول ربي الله وكان صائماً نهاره قائماً ليله وقد بذل دمه لله ورسوله واخذ بثار سبط النبي الحسين بن علي (عليه السلام))) ثم قالت بعد ان هددوها بالقتل ((شهادة في سبيل الله ارزقها ثم اتركها كلا انها خير من الدنيا وما فيها انها موتة ثم الجنة ..)) ميقول فيها شاعر معاصر للحدث :

ان من اعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم هي لله درّها من قتيل

فسلام على المختار وعلى كل من استشهد من اجل اعلاء كلمة الله في الارض وجزى الله سبحانه اخانا السيد السديد محمد علي الاشيقر الذي يتحفنا دائماً بمآثره التي يحيي بها هؤلاء الخالدين وزاد الله تعالى في توفيقه انه سميع مجيب

السيد كاظم محمد النقيب

كربلاء المقدسة

٢٧ جمادي الاخرة ١٤٢٧هـ

٢٠٠٦/٧/٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار مضرب المثل في تتبع قتلة الحسين (ع)

بقلم الأديب الفاضل

الشيخ حمزة السلامي أبو العرب

وبعد .. فقد عرّض عليّ كتاب ((المختار ثائر بني ثقيف)) لمؤلفه فضيلة الكاتب الإسلامي الأستاذ الحقوقي السيد محمد علي الاشيقر حفظه الله وأبقاه ذخراً للعلم والأدب والبحث النزيه ..

لم يكن الكتاب هذا أول ثمرة من ثمرات قلمه الفياض ، بل سبقته كتب كانت مثار إعجاب المؤلفين والكتاب والأدباء ، لما فيها من مادة تاريخية غزيرة وبحوث قيمة لا يستغني عنها الباحثون ..

قرأت بعض فصول الكتاب ، فوجدها شيّقة في مبناها ومعناها تبعث في القارئ الرغبة في الاستمرار والمتابعة من دون ملل حيث كتبت بأسلوب انسيابي خال من التعقيد اللغوي والمعنوي معاً ، ولا عجب في ذلك لأن المؤلف كان قد كتبه عبر التجارب والمعانات لفترة طويلة مكنته من صياغة العبارة ورصف الألفاظ إزاء معانيها مما يفيض على أسلوبه رونق الإبداع ..

اتخذ المؤلف – في كتابه – طريقة السرد التاريخي ليشدّ القارئ إلى موضوعاته حتى النهاية ، مما جعل القارئ يتابع فصول الكتاب تباعاً دون إن يعزف عن البقية الباقية ..

يحاول الكاتب – في أكثر من مكان – إظهار ما لاقاه أهل البيت (ع) من مصائب ظلّت ترن في مسمع الزمن حيث كانت كربلاء مسرحاً لقتلهم وانتهاك حرماتهم وحرق خيامهم ونهب أموالهم وتشريد أطفالهم وسبي المخدرات من نسائهم إلى ما هنالك مما تضرب ببشاعته الأمثال وتقشعر من فداحته النفوس .

كما حاول المؤلف إن يشق غبار التعتيم الذي أثاره بنو أمية وأعداء أهل البيت (ع) حول شخصية المختار ليقلّلوا من شأنه وإعماله الجلى تلك التي كانت مضرب المثل في تتبع قتلة الحسين (ع) وأهل بيته الطاهرين وقتلهم تحت كل حجر ومدر حتى قال رضوان الله عليه :

((لو قتلت ثلاثة أرباع أهل الكوفة لما ساوى ذلك أنملة من أنامل الحسين (ع))) وأخيرا جزى الله المختار خيراً عن أهل بيت نبيه الطاهرين ، وجزى الله – كذلك – كل من كتب عن المختار ومنهم أستاذنا المؤلف لهذا الكتاب الذي لا نستطيع إلا إن نبارك له عمله هذا ..

سائلين المولى تعالى إن يوفقه إلى غيره من المؤلفات التي يكشف بها عن أسرار آل محمد بيراعه المعطاء .. انه ولي التوفيق ......

السلامي أبو العرب

كربلاء المقدسة
٢٥ / ٦ / ٢٠٠٦
٢٨ جمادي الأول ١٤٢٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(المختار الثقفي السياسي الثائر)

بقلم الأستاذ الدكتور

سالم هاشم أبو دله

مما لاشك فيه ، إن التمسك بأي فكر عقائدي معين ، يّلزم معتنقــه طوعــا لتحقيق وتطبيق ما آمن به من أسس ومبادئ عقائدية ، توصله إلى ما يصبو أليه من هدف في هذه الحياة ، بعيدا عن صحة الاعتقاد بهذه المبادئ أوفسادها .

والمختار الثقفي ، ممن جهدوا أنفسهم للوصول إلى صحة الاعتقاد وتحقيــق الهدف . فهو . (لم ينتضِ سيفاً ليقم حدا فينتقم ، وإنما نطق حقا مفترضا لعــدل مجهول) .

وهو رد على كل الشبهات الفاسدة التي استغلت أسلوب طعن القبائل ، ومنها قبيلة ثقيف القبيلة العربية الأصل ، العريقة في النسب ، الشجاعة في القتال .

وإذا مالحق هذه القبيلة منه شبهة ، فحواها عدم رضاء أهل البيت (ع) عن المختار وقبيلته ، فهذا يعني إجحاف بحق جانب من انتصارات الإسلام .

أقولها للتاريخ فقط . إن بني ثقيف هم أول قبيلة قدمت قرابين الشهادة والوفــاء بين يديّ رسول الله (ص) ، وهم كوكبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالــب (ع) في معاركه الطاحنة يوم الجمل وصفين والنهروان يتقدمهم أبو عبيدة الثقفي ((والــد المختار)) وزعيم بني ثقيف ، ثم أخوته وأبنائه ، وأخيراً ابنه المختار (الثــائر لــدم الإمام الشهيد الحسين (ع)).

المختار ، ذلك الرجل الذي طبّق حكــم كتــاب الله في الأرض ، وانــزل القصاص العادل ، طبقا لقوله تعالى ((ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب)).

في شرذمة فاسدة ، حاولت قتل فلسفة شهادة أبي الأحرار والثائرين الحسين بن علي (ع) وعترته الطاهرة (ع) بأسلوب مبتذل ، يرفضه التاريخ والعقل معاً .

ثورة المختار ، تلك هي الثورة الرائدة التي أوقد اوارها ثورة التوابين (لتؤجج في نفوسهم جذور الندم وليصرخوا يالثارات الحسين) . تلك الأصوات التي أثلجت صدر زين الدين والعابدين الإمام التقي أبي محمد علي بن الحسين (ع) .

رحم الله المختار المظلوم ، فقد ظُلم ، ولم ينصفه التاريخ ، كما ظُلم الإمام الحسين (ع) من قبله .)

ولعلي أرى الأستاذ الفاضل محمد علي يوسف الاشيقر قد أنصف المختار الثقفي في سفره هذا ، فجزاه الله خيراً ، ورحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه ، ولله الحمد من قبل ومن بعد .

كربلاء المقدسة	الدكتور
٣٠ / حزيران ٢٠٠٦ م	سالم هاشم أبو دله
٤/ جمادى الثاني / ١٤٢٧هـ	أستاذ التاريخ في جامعة أهل البيت

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار .. عمق تاريخي حافل بالبطولات والتضحيات

بقلم
الأستاذ الأديب
السيد سلمان هادي آل طعمة

الحق الذي لامراء فيه إن من أشهر أولئك الأبطال الذين بزغت شموسهم بعد حادثة الطف المروعة وفاجعة كربلاء الأليمة هو المختار بن أبي عبيدة الثقفي . وكل من أمعن النظر وأجال الفكر في سيرة هذا البطل ، يعلم علم اليقين إن ما أتى به من الأعمال ، تبهر العقول وتثير الإعجاب ، فقد فجّر ثورة كبرى أقام بها العدالة الاجتماعية وأعاد سياسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بين المسلمين ، وحمل حملة عنيفة دعا فيها إلى نشر الحق والعدل وبرهن إن في استطاعته إيجاد الأمن والضرب على أيدي الخونة والمارقين وتطهير البلاد من رجس العصابات الأموية التي عاثت في الأرض فسادا . فالمختار المطالب بالثار لقتلة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) والمبجلين من أهل بيته وأصحابه ، أصبح بحنكته وجدّه وثباته ودهائه ، أن يعقد الخناصر على نصرة الإسلام ، فكان مضرب الأمثال ومعقد الآمال وواسطة عقد اللئال وغرة في جبين الأئمة الأطهار وأهل البيت (عليهم السلام) ومبعث سرورهم .

لم يبق في العالم الإسلامي من لم يسمع بالمختار الثقفي وما قام به من عمل عظيم يشكر عليه وبطولة عظيمة يغبط عليها بقضائه على تلك الزمرة الباغية حتى حاز

القدح المعلّى ، ونال قصب السبق في ثورته العارمة التي أوصلته إلى حظيرة الفــوز والنجاح والسعادة الأبدية .

بقي أن نقول إن هذا الكتاب الذي بين يديك – عزيزي القارئ – قام بتأليفه صديقنا المحامي السيد محمد علي الاشيقر الموسوم بــ(المختار ثائر بني ثقيف) جمع فيه أموراً تاريخية نافعة سلّط الضوء على هذه الشخصية التي تناولها من جوانــب متعددة ، فجمع فيه ما تناولته الكتب التاريخية والمصادر القديمة التي بحثت تلــك الفترة ، وهذا الكتاب من الكتب التي تشهد لمؤلفه بسعة الاطلاع ، ويجد القارئ فيه مبتغاه ، ونحن إذ نشيد بهذا الجهد المبذول ، نهيب بالباحثين وأصحاب الأقلام النــزيهة ان يتناولوا مثل هذه الشخصيات التي لها عمق تاريخي حافل بالبطولات والتضحيات من اجل الدين الإسلامي الحنيف . سائلين المولى عز وجل أن يوفــق المؤلف للبحث والتنقيب وإصدار المزيد من الكتب النافعة ، وآخــر دعوانــا أن الحمد لله رب العالمين ...

كربلاء المقدسة — سلمان السيد هادي ال طعمة

٥/جمادي الآخرة ١٤٢٧هـ

٢٠٠٦/٧/١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار ... في سجل الخالدين

بقلم
الأستاذ الأديب
سعيد رشيد زميزم

في تأريخنا الإسلامي برزت شخصيات لامعه قامت بإعمال جبارة ورائعة ومن هذه الشخصيات الكبيرة الثائر المختار الثقفي الذي تمكن من جمع شمل أبناء الكوفة وشحذ هممهم من اجل المطالبة بالثأر لدم الإمام الحسين (ع) وهو ما تحقق حيث تمكن هذا الفارس الهمام من إن يتتبع القتلة المارقين الذين تلطخت أيديهم بدم الإمام الحسين (ع) ودماء آل بيته الأجلاء وأنصاره الكرام ..

وبهذا زينت صفحات التأريخ بالإعمال الجيدة التي قام بها المختار وإتباعه الأماجد ...

إن السيرة الحميدة التي سار عليها المختار الثقفي جعلت العديد من أصحاب الأقلام الغير نظيفة التشكيك بولائه لأل البيت (عليهم السلام)... وزعموا بان الأعمال التي قام بها كانت من اجل الاستيلاء على السلطة فقط إلا إن الروايات العديدة التي جاءت عن الائمة الأطهار (عليهم السلام) دحضت هذه الأقوال السيئة حيث أثنى العديد من الأئمة الأطهار (سلام الله عليهم) على ما قام به المختار من إعمال

جليلة أدخلت الفرح والبهجة في قلوب آل البيت ومحبيهم وهكذا نال الشهيد الخالد المختار بن أبي عبيده الثقفي رضى البـــاري عـــز وجـــل ورسوله الكريم (ص) وآل بيته (سلام الله عليهم) والموالين لآل البيـــت (ع) وهكذا دخل المختار في سجل الخالدين الذين نصروا آل البيـــت (ع) ومن هنا انبرى أستاذنا الفاضل السيد الأشيقر بتأليف هذا الكتاب القيّم عن سيرة هذا المجاهد الخالد فهنيئاً له على صنيعه هذا ..

كربلاء المقدسة — سعيد رشيد زميزم

١٣ / حزيران / ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار ورفعه لراية الجهاد ضد طواغيت زمانه

بقلم

الأديب الفاضل

السيد فخر الدين زيني

والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

بأمر السيد الوجيه المؤلف أن اكتب مقدمة لكتابه الموسوم : (المختار ثائر بني ثقيف) فعَز عليّ أن لا انزل عند رغبته بل يشرفني ويسعدني أن أكون قد حرصت لإصدار هذا الكتاب لأقدّم فيه هذه الوجيزة كمقدمة لكتابه وان كانت قد تخص مشاعر المؤلف الكريم ، والحق يقال إن هذا الرجل النشط غدا مجّداً ومثابراً ومشمراً عن ساعديه في كل لحظة مع الحرص الشديد لكتابة ونشر مآثر السلف الصالح وسيرة شخصيات إسلامية مرموقة ونادرة في مواقفها وتضحياتها ولا تخلوا من آثار جليلة وحميدة في سبيل الدعوة الإسلامية لخدمة مذهب أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) ..

قد ترى السيد المحترم يسير في الشارع وهو يحمل أدوات صنعته لكي لا يغفل عن كل شاردة وواردة إلا امسك بها ، مما يدل على حسن عقيدته وإخلاصه في عمله ..

نسال الله العلي القدير أن لا يضعف همته أو تقف إرادته والمسار جيد إنشاء الله ، وان يكون العطاء لخير هذه الأمة ولهذا الجيل

وان تحقق رغبته الجامحة وما تصبوا إليه نفسه من المزيد في الكتابة والتأليف والنشر لخدمة الإسلام والمسلمين .

وقد أسدى خدمة كبيرة في هذا المعترك وما تحتويه كتبه القيّمة عن سيرة أبطال الإسلام وما قدّموه من تضحيات جسام في سبيل المذهب وما عانوه من متاعب وزهق أنفس وإهدار دم وتلف أموال ونهب قسري وبعداً عن الأوطان ، فمنهم من عاصر النبي (ص) وهم الصحابة ومنهم من عاصر الإمام علي (عليه السلام) وهم الأتباع ومن حواريه فأبدع وأحسن وله الأجر والثواب ..

معذرة .... السيد المؤلف محمد علي الاشيقر (حفظه الله ورعاه) يصول ويجول بين كثير من بلدان العالم الإسلامي وغيره ، قد تتلهف نفسه التواقة عسى أن يرى كتبه أو احد إصداراته أمامه عندما يقف أمام احد محلات بيع الكتب في تلك البلدان ويتناولها القراء لكي تعطي وتخبر ذلك الجمع ما في نفسها وما تخفي بين طياتها من معالم إسلامية رائعة من رجال أبطال تفانوا في سبيل خدمة المذهب ..

إن الكثير من المؤلفين خاضوا هذا المعترك وقدّموا الكثير ومنها الغثيث ومنها السمين عن سيرة (أبو إسحاق المختار) البطل الصنديد وانه علم من أعلام الشيعة وجهابذتها وشجعانها واحد أبطالها الذين رفعوا راية الجهاد ضد طواغيت زمانه والتشفي منهم ..

ولم يبقى ما نقوله إلا ما نطق به أئمتنا (عليهم السلام) في حق الشهيد أبي إسحاق المختار الثقفي وهو المصداق التام الحجية والسلوكية الصالحة لهذه الشخصية الفذة الفريدة التي استنارت وتأست في شخصية الإمام علي (ع) ومن خريجي مدرسته ..

ما نطق به الإمام علي بن الحسين (زين العابدين (عليه السلام)) في حق المختار: (رحم الله المختار فانه بنى دورنا وأنعش أيتامنا) .

وما قال في حقه الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (رحم الله المختار فانه ما فرحت ولا ابتهجت هاشمية ولا دخل سرور على بيت علوي حتى أرسل المختار برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد إلى المدينة) ..

وما قال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) في حق المختار ((رضوان الله تعالى عليه) : (رحمك الله أيها المختار وحشرك الله مع الأبرار والأئمة الأطهار وجعلنا وإياك من المطالبين بثار الحسين (عليه السلام) يوم ينادي المنادي يا لثارات الحسين ، فلعن الله من قتلك ومن سعى بقتلك وسلام الله عليك وعلى المستشهدين بين يديك من الصالحين والمؤمنين) ..

كربلاء المقدسة — السيد فخر الدين حميد زيني

١٥ / رمضان المبارك ١٤٢٧هـ

٢٠٠٦/١٠/٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار بن عبيدة الثقفي

((بطلٌ مناعٌ همام ورائدٌ لملاحم عظام))

هو المختار بن عبيدة الثقفي كالشمس المشرقة في عالم الأكوان فهو أبو إسحاق من قبيلة ثقيف العربية الأصيلة وهذه القبيلة تميزت من بين القبائل بالشجاعة والمقدرة النادرتين فمنهم عميدهم أبو عبيدة الثقفي (والد المختار) ثم إخوته وأبنائه .

عرف المختار بأنه كان فارساً مقداماً ورائداً عظيماً لملحمة عاشوراء وكان ذو شخصية مرموقة ومكانة متميزة إضافة إلى انه صلب المعتقد وقوي الرأي في حبه وموالاته لأهل البيت الكرام.لقد تمكن هذا الثائر أن يقارع الظالمين وينتقم من المجرمين وهم الأمويون واليزيديون وهو الذي كان قد قطع عهداً على نفسه من قبل أن ينتقم من هؤلاء الأجلاف فقال قولته المشهورة الخالدة : ((لا يسوّغ لي الطعام أو الشراب حتى اطهّر الأرض من قتلة الحسين (ع)) كشمر بن ذي الجوشن وسنان بن انس وحرملة بن كاهل وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وحكيم بن الطفيل وخولى بن يزيد الاصبحي وفعلاً تم له ذلك مصداقاً لقول سيد الشهداء وهو يقارع المجرمين في عرصات كربلاء : (اللهم سلّط عليهم غلام ثقيف) لقد أثلج المختار الثقفي قلوب المؤمنين وادخل الفرحة والبهجة في قلوب أهل البيت وأتباعهم ومحبيهم وخصوصاً الهاشميات حتى قال عنه الإمام زين العابدين (ع) :

(الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي جزى الله المختار خيراً)

فيقتل ثمانية عشر ألف ممن اشترك في قتل الحسين (ع) في عهد ولايته التي استمرت ثمانية عشر شهراً منتقلاً من ضيق الوسعة إلى سعة الدار بعد سحقه للطغاة والظالمين ليلقى الباري عز وجل وصفحاته قد أينعت كالأغصان المورقة ليجزيه الله جزاء المحسنين يوم لا ينفع فيه مالٌ ولابنون.ولابد لي من الإشارة هنا إن المختار الثقفي والحجاج الثقفي هما من نفس قبيلة ثقيف إلا إنهما كخطين متوازيين لا يلتقيان مهما امتدا إلى آخر الدهر والقول هنا للحجاج عن المختار بن عبيد الثقفي :

(لله درّه أي رجل دين ومسعّر حرب ومقارع للأعداء) والفضل ما شهدت به الأعداء .

وفي ختام كلماتي هذه أتمنى لأخي العزيز الاشيقر (أبو يوسف) دوام الموفقية والسؤدد لما قدّمه هذه المرة من روائع إصداراته وتأليفاته المستمرة في الكتابة عن صاحب أمير المؤمنين الذي طالما عاش وتربى منذ ولادته في مسقط رأسه الطائف في تمام السنة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة حتى ساعة استشهاده في ساحات الوغى على يد جيش مصعب بن الزبير زحفاً عليه من البصرة في الخامس عشر من شهر رمضان عام ٦٧هـ بجوار مسجد الكوفة.اكرر اعتزازي للسيد محمد علي نجل المرحوم السيد يوسف الاشيقر على جهده الرائع هذا وأتمنى له العمر المديد ومن الله التوفيق .

في السادس من شهر رمضان المبارك ١٤٢٧هـ
الموافق ٣٠/أيلول /٢٠٠٦م

الحاج عبد الامير جواد الطريحي
ديوان المديرية العامة لتربية كربلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار .. الثائر لوجه الله (ج)

بقلم
الأستاذ الاديب
علي عبود ابو لحمة الشمري

المختار بن ابي عبيدة الثقفي الثائر لوجه الله تعالى بطلب الثأر من قتلة الحسين بن علي (ع) في يوم عاشوراء . وقبل بدء نهضة المختار (رحمه الله) كانت هناك ثورة التوابين وهم رؤساء عشائر الكوفة الذين ندموا أو تلاوموا فيما بينهم لعدم نصرتهم للامام الحسين (ع)في يوم كربلاء ولم ينهضوا معه خوفاً من بطش ابن زياد او لاسباب اخرى تخصهم فابعدوا انفسهم مثل عبد الله بن الحر الجعفي الذي كان في موضع خارج الكوفة عندما ندبه الحسين (ع) الى الخروج معه فلم يفعل ثم ندم بعد ذلك واخذ يقول :

فيا لك حسرة مادمت حيا   تردد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري   على اهل الضلالة والنفاق

فاجتمعت الشيعة الى خمسة افراد من رؤسائهم في الكوفة وهم خيار أصحاب الامام (ع) فاجتمعوا في بيت سليمان بن صرد فاتفقوا على رأي واحد وهو اعترافهم بتقصيرهم عن نصرة ابن بنت رسول الله

(ص) وان ينهضوا لحرب الفاسقين ممن قتلوا الحسين (ع) وكان ابتداء تحركهم للاخذ بثأر الحسين (ع) في نفس السنة التي استشهد فيها (عليه السلام) وهي سنة (٦١) للهجرة فاخذوا يجمعون السلاح ويدعون الناس سراً الى الطلب بدم الحسين (ع) الى ان هلك يزيد بن معاوية سنة (٦٤) هجرية واخذوا يتهيئون ويشترون السلاح حتى سنة (٦٥) هـ حيث اجتمعوا قرب الكوفة في منطقة النخيلة بين كربلاء والنجف وموقعها موجود الى الآن .

فارسلوا من طاف في ازقة الكوفة وينادي بشعارهم ((يالثارات الحسين (ع))) فتجمع حولهم خمسة الاف رجل وسموا هؤلاء بفرقة (التوابين) والذين خرجوا واجتمعوا عند قبر الامام الحسين (ع) في كربلاء وتابوا وتعاهدوا على قتل كل من اشترك بقتل الحسين (ع) وصاحوا صيحة واحدة وضجّوا بالبكاء وباتوا ليلة واحدة ثم خرجوا نحو الشام . وعليه فيقال (ان اول عزاء نصب على قبر الحسين (ع) هو عزاء التوابين) .

وعند خروجهم من كربلاء يطلبون قتل والي الكوفة عبيد الله بن زياد الذي هرب الى الشام فالتقوا مع جيش الشام الاموي في عهد الخليفة الاموي مروان بن الحكم ، فقاتلوا وقتلوا جميعهم قرب بلاد الشام وفي منطقة (عين الوردة) وعاد منهم قليل إلى الكوفة حيث لم يتمكنوا من القتال لشدة جراحهم ..

وبعد فشل حركة التوابين خرج المختار (رحمه الله) من السجن واتفق مع اصحابه على الخروج ليلة الخميس من ربيع الاول عام ٦٦هـ مع قائد حركته وجيشه ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي (رض) فأذن وصلى صلاة المغرب ثم خرج مع اصحابه (رضي الله عنهم) يريدون الكوفة ليشتركوا مع المختار في نهضته وانتفاضته المباركة وفي طريقهم إلى الكوفة قَتل ابراهيم بن مالك الاشتر ياس بن مضارب صاحب شرطة عبيد الله امير الكوفة فلما دخل ابراهيم الكوفة وعلم المختار بمقتل ياس بن مضارب استبشر كثيراً وقال :

(هذا بداية النصر ، ونتفاءل بالنصر ان شاء الله تعالى) ..

ثم قال المختار لاحد اصحابه(قم ياسعيد بن منقذ واشعل النار في القصب ثم ارفعها للمسلمين)، وأمر مناديه ان ينادي : (يالثارات الحسين (ع)) .

وكانت هذه ساعة الصفر باصطلاح اليوم ..

ثم دعا (رضوان الله عليه) بدرعه وسلاحه فلبسه وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل   واضحة الخدين عرجاء الكفل

اني غداة الروع مقدام بطل   لاعاجز فيها ولاوغد فشل

وفي صباح اليوم التالي اخذ المختار يوّجه اصحابه كل حسب الوجهة التي تمكنه من دخول الكوفة ومحاصرة قصر الامارة وهو يقول :

((اللهم انك تعلم انا غضبنا لاهل بيت نبيك وثرنا لهم فانصرنا على هؤلاء وتمم لنا دعوتنا ..)) ..

ودخل المختار قصر الامارة بعد ان نصره الله سبحانه وتعالى ، لان عمله كان خالصاً لوجه الله وهو طلب ثأر الحسين بن بنت رسول الله (ص) . . .

وبات ليلته فيه وتجمع الاشراف في المسجد وعند باب القصر ، واثرها خرج المختار وصعد المنبر في المسجد وخطب الناس بقوله :

(انا المسلط على المحلين ، الطالب بدم ابن بنت نبي العالمين) ... إلى ان قال :

((ادخلوا فبايعوا بيعة هدى فوالله مابايعتم بعد بيعة علي بن ابي طالب (عليه السلام) بيعة اهدى منها))...

ثم نزل فدخل عليه اشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله محمد (ص) والطلب بدماء اهل البيت (ع) وجهاد المحلين والدفاع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا ...)..

ولقد قتل المختار جميع قتلة الحسين (ع) والمشايعين على قتله (لعنهم الله جميعاً) ...

ثم سار ابراهيم بن مالك الاشتر قائد جيش المختار حتى وصل الموصل فنزل قربها ، وجاء ابن زياد ونزل قريباً منه وتقاتل الجمعان فانهزم جيش ابن زياد وقُتل ابن زياد وعرف اصحاب ابراهيم جثة ابن

زياد فاحتزوا رأسه. ولما رآه ابراهيم الاشتر حمد الله واثنى عليه ، كما قُتل الحصين بن نمير على يد رجل من اصحاب ابراهيم ...

وارسل ابراهيم من بشّر المختار (رضوان الله عليه) ، بذلك وكان في المدائن ففرح المختار ... وكانت هذه الواقعة في يوم عاشوراء سنة (٦٧) هـ وفي اليوم الذي استشهد فيه الحسين (ع) ..

ويذكر المؤرخون انه لم يقتل من اهل الشام بعد وقعة صفين مثلما قتل منهم في هذه الواقعة ..

وبعث ابراهيم الاشتر راس ابن زياد ورؤس قواده إلى المختار وكانت تضم رؤوس قتلة الحسين (ع) ، فحمد الله تعالى على هذا الظفر المؤزر ..

ووضعت الرؤوس بين يديه في القصر فقام بالقائها في المكان الذي وضع فيه راس الحسين (عليه السلام) ورؤوس اصحابه (ع) ، كما ونصب المختار راس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه راس الحسين (ع) ..

وبعث المختار براس ابن زياد إلى الامام علي بن الحسين (ع) وكان في مكة المكرمة ، فسجد الامام السجاد (ع) لله شكراً وقال :

((الحمد لله الذي ادرك لي ثاري من عدوي وجزى الله المختار خيراً والحمد لله رب العالمين))..

هذا ونعتذر من القراء الكرام ومن مؤلف هذا الكتاب الحاج السيد محمد علي يوسف الاشيقر على هذا الاختصار الذي جاء في كلمتنا هذه راجين له ولهم دوام الخير والتوفيق والمغفرة ..

كما ونرجوا من الله سبحانه ان يعجلّ بظهور الحجة المهدي (ع) ليأخذ بثار جده الحسين (ع) وثار المؤمنين في العالم ولاسيما ابناء الشعب العراقي الجريح وينتقم من ابناء امية من الوهابيين والتكفيريين والسفاحين .. انه سميع الدعاء ..

كربلاء المقدسة   علي عبود ابو لحمة الشمري

٥ / رمضان المبارك ١٤٢٧هـ

٣٠ / ايلول ٢٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار بن أبي عبيدة الثقفي

قائد إسلامي عظيم

بقلم

الأديب الفاضل

السيد حسين هاشم آل طعمة

قال تعالى ((وجاهدوا في الله حق جهاده)) (الحج٧٨)

في البدء نهنئ الكاتب والأستاذ السيد محمد علي الاشيقر (دامت بركاته) على النهج الذي سار عليه (مشكوراً) في تدوين ما يمكن تدوينه وتوثيق ما يمكن توثيقه وبأسلوب البحث العلمي للسيرة الصالحة للأولياء والعظماء والصالحين ...

ومن خلال هذه التهنئة المعطرة بأريج الورد والياسمين نهنئ أنفسنا ومدينتنا المقدسة إن ظهر من بيننا كاتبٌ إسلامي مخلصٌ لعقيدته نذر نفسه وكل وقته في البحث والتنقيب في سيّر الأولين من آل البيت والصحابة الصالحين وكذلك من الرموز الشامخة من المسلمين المؤمنين .

وفي هذا البحث القيّم والذي يمكن وصفه بـ(الجديد – القديم) والذي بين أيدينا الآن يسلّط فيه أستاذنا الكبير السيد الاشيقر (دامت بركاته) على رمز إسلامي وقائد عظيم وهو البطل المختار بن أبي عبيدة

الثقفي (رض) وما زال صوت هذا القائد العظيم يرن في أسماع الــزمن وبكل قوة منادياً (يالثارات الحسين) (يالثارات الحسين) ...

وجيل بعد جيل يتوارث آل البيـــت (ع) وشـــيعتهم ومـــواليهم ومحبيهم هذه الصرخة المقدسة من غير ملل أو كلل إلى أن تسلّم هـــذه الصرخة وبكل أمانة إلى قائد الأمة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

هذا وأصالة عن نفسي وعن أبناء المدينة المقدسة أقول لك شكراً جزيلاً لك يا أستاذنا الكبير على هذا الجهد القيم والمبارك ونقول لـــك (وبكل حق وتقدير) سرْ على هذا الطريق يا سليل السادة الأبرار مـــن خدمة الحسين وال البيت الأطهار (ع)

ومن الله العون والتوفيق والسداد بأذن الله تعالى والحمـــد لله رب العالمين ..

كربلاء المقدسة	السيد حسين هاشم آل طعمة
١٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـــ	الكاتب والخادم في المخيم الحسيني الشريف
٨ كانون الثاني ٢٠٠٧م	في كربلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار .. في ثورة شعارها الأخذ بثار الحسين (ع)

بقلم
الأستاذ المحامي
الشاعر الحاج محمد علي النصراوي

وبه نستعين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين .

لصرخةِ الحق صدى خالدٌ ... في مسمع الدهر شديد الرنين
أطلقها في ألطف سبط الهدى ... منفرداً يدعو ألا من معين
فراحت الأجيال من بعدهِ ... ترددُ الصرخةَ في كل حين
فميثم وابن عفيفٍ أبوا ... إلا تحدّي الظلم والظالمين
ثم سليمان وأتباعه ... قد أعلنوا ثورهم تائبين
وظلت الكوفة من بعدهم ... كمرجلٍ يغلي على المجرمين
فقادها المختارُ في ثورةٍ ... شعارها الأخذ بثار الحسين
ودعوةُ المظلوم في كربلا ... تحققت همة الثائرين
حققها المختار في قتلهِ ... أمثال شمرٍ وابن سعد اللعين
وقاد إبراهيم جيش الهدى ... ليترل الضربة بالمعتدين
في وقعة الخازر لاحت لها ... بشائرُ النصر بفتح مبين
راجحة كفته في غد ... في جنة الخلد مع الخالدين
بسيفه أردى ابن مرجانةٍ ... نغلَ زياد احقد الحاقدين
فقل جزى اللهُ أبا يوسف ... خيراً بما قدّم للقارئين
سيرةَ أسلافٍ لنا قد مضوا ... ياليتنا كنا لهم تابعين

كربلاء المقدسة ... الحاج محمد علي النصراوي
في ٥/رجب/١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار الثقفي .. ودعوته للثأر تلو الثأر

لقد تفضل الأخ العزيز والشاعر الأديب المهندس عبد المعين نجل المرحوم المغفور له الشيخ محمد صادق الهر بنظم القصيدة التالية مشيداً فيها بهذا بالكتاب ومؤلفه فضلاً عن تاريخ صدوره ..

ونحن بدورنا إذ نقدّم له جزيل شكرنا وثنائنا على أحاسيسه هذه لنرجو له من الله سبحانه دوام السعادة والسلامة والتوفيق ولوالده الراحل المغفرة والرحمة والرضوان انه على كل شيء قدير .... والحمد لله رب العالمين ..

زدنا غنىً بروائع الإصدار ... يا رائد التأليف والأسفار
يا سيداً ألف الكتابة منهجاً ... وبها أزاح كوامن الأستار
يبقى (الأشيقر) نبعه متدفقاً ... يروى الظماء بمنهل الأفكار
من نهج آل البيت من بركاتهم ... عن حبهم للخير والأخيار
عن خلص الأنصار من أصحابهم ... عن فتية تبعوا خطى الكرار
هذا المؤلف ضم في طياته ... أخبار مجد الفارس المغوار
مُهدي السرور لآل بيت المصطفى ... من بعد مصرع سيد الأحرار
لما انبرى والسيف قبض يمينه ... وبه دعا للثار تلو الثار
حصد الروس أذاقهم حر اللظى ... أحفاد صخر زمرة الأشرار
أرخته لما نظمت مُفاخراً ... (زهو ثقيف كبدُ المختار)

١٨+ ٦٩٠+٢٦+١٢٧٢=

٢٠٠٦م

كربلاء المقدسة – ١٨ / جمادي الأول / ١٤٢٧هـ ... الشاعر المهندس

١٥ / حزيران / ٢٠٠٦ م ... عبد المعين الشيخ محمد صادق الهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار

وكنت لصرخة الزهرا مجيبا

بقلم
الأستاذ الشاعر
حسن كاظم الفتال

استحال الصبح مسودا رهيبا ... وأمسى الكون مغموما كئيبا
جفاه النور حيث الشمس غابت ... وسر غروبها اشجى المغيبا
خيار نجوم هاشم اذ تهاوت ... قبيل مغيبها شعت وثوبا
بوهج تجلد وبصبر زهو ... فداءً طوقت بدرا مهيبا
ولكن المنايا غالبتها ... فمدت اذرعا ادنت مغيبا
فخضب من سناه الطف بدر ... بفيض دمائه امسى خضيبا
فطوق كل ثغر بالرزايا ... ولم ير ضاحكا فكها طروبا
وسقم العيش داهم كل حي ... (غلام ثقيف) قم واجل الكروبا
ابو الشهداء انبأ عنك لما ... بوادي الطف قام بهم خطيبا
برزت لتسقي قوما كاس صاب ... مصبرةً إلا اسقهم اللهيبا
وصرخة (يا لثارات الحسين) ... تعالت كي تبث صدى رهيبا
غضبت فكنت بركانا تشظى ... به حمم الشمال غزت جنوبا
فإن غضب الحليم ترى خصوما ... يحيل نهارهم ليلا عصيبا
وسيرت الجحافل والسرايا ... تسوق الى العدى موتاً معيبا
فثأر السبط لا يُجزى بثأرٍ ... وحقاً أخذه امسى وجوبا

وافجع خطبهم خير البرايا | اذ اغتالوا له بغضا حبيبا
وصدره وهو عيبة علم ربي | فإذ رضوه لم يخشوا الرقيبا
وخده ذلك الوضاء أضحى | وان شع الجلال به تريبا
إلا سلمت يداك وعاش سيف | على الهامات قد صلى وجوبا
بصرخة ثائرٍ حلقت زهواً | وكنت لصرخة الزهرا مجيبا
خصوم الحق للبغي استجابوا | فقاتلت المنادي والمجيبا
لهم امست جهنم مستقراً | وانت ضمنت فردوساً فطوبى
لمن ضمن الجنان وعيش خلد | ومن جد الحسين غدا قريبا

كربلاء المقدسة | حسن كاظم الفتال

١/ رمضان المبارك ١٤٢٧هـ

٢٠٠٦/٩/٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤرخة شعرية

لقد تكرّم الأخ الفاضل والشاعر المؤرخ نزار حبيب الحسناوي بنظم القصيدة العصماء التالية مؤرخاً فيها صدور هذا الكتاب فضلاً عن الإشادة به وبكاتبه ، ونحن بدورنا إذ نشكره – من الأعماق – على أحاسيسه ومشاعره هذه لنرجو له من الله سبحانه دوام الصحة والعافية والتوفيق ..

خط يـراع النقـل والأخبـار ... سفراً علا كعباً علـى الأسفار

سـيرةُ أفـذاذ بـه أخيـار ... ولاؤهـم لعتـرة المختـار

كـالثقفي قاتـل الفجـار ... من جرّد السيف لأخذ الثار

والنخعـي القائـد المغـوار ... أعني ابن مالك أخي الكرار

ما قرضـت سـيرهم أشـعاري ... بل قوّمـت سـيرهم أشـعاري

هذا كتـابٌ عـدَّ للإصـدار ... يـدُ التقـى خطتـه والفخـار

يد ابن أسيادِ الـورى الأطهـارِ ... (محمد) ذي الحلـم والوَقـار

أهديتـه مـن شـعريَ المختـارِ ... مؤرخـاً (لَـهُ عـن المختـار)

٣٥ + ١٢٠ + ١٢٧٢ =١٤٢٧ هـ

كربلاء المقدسة

١٣ جمادي الاولى ١٤٢٧هـ

١٠ حزيران ٢٠٠٦م

الشاعر المؤرخ

نزار حبيب الحسناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

ثناء وشكر ..... على بعد الدار

وردتنا هذه الرسالة من اصدقاء لنا في كراچي بالپاكستان معربين فيها عن شكرهم وثنائهم لبعض كتبنا التي جري إصدارها هنا وتم إرسالها إليهم..

وها نحن أولا نوردها في ادناه وكما هي ، ولكن بعد حذف عبارات السلام والدعاء والود والمحبة والمجاملة التي تبتدأ بها وتختتم والرسالة هي :

((وبعد فنحن الآن منهكون في قراءة ومطالعة كتابيك الأخيرين :

((الشجرة الطيبة لبيت أهل النبوة)) و((محمد إقبال – محمد علي جناح)) والذين كان وصولهما إلى أيدينا (عبر احد الإخوة الزوار الذين تشرفوا بزيارة مراقد اهل البيت (ع) في العراق) مفاجئة كبرى لنا نحن العراقيون الذين ابعدنا النظام السابق عن وطننا الى هذه البلاد ، وكان مفاجئة ايضا لأهل وابناء هذه البلدة – حيث تناول الكتاب الاول سيرة حياة (٣٨) علم من اعلام وقادة اهل البيت من المعصومين ومن غير المعصومين – عليهم سلام الله ....

اما الكتاب الاخر فقد ضمّ دراسة مفصلة لسيرة اربعة من رواد واعلام وزوار شبه القارة الهندية والذين عاشوا في غضون القرنين الاخيرين ...

والعجيب هنا والذي اثار انتباهنا ازاء الكتاب الاخير هو ان الكتّاب العرب من تناولوا سيرة العلامة محمد اقبال – على قلتهم – لم يتناولوا معه سيرة القائد الاعظم محمد علي جناح ، وكذلك هو الحال بالنسبة لمن تناول سيرة جناح – من الكتّاب العرب – وعلى قلتهم ايضا – لم يتناولوا معه سيرة

محمد اقبال أو سواه من إعلام شبه القارة بل اكتفى هؤلاء بيان سيرة علـم واحد فقط وفي إيجاز او تفصيل ..

هذا عدا كتابك فقد ضم سيرة الرائدين إقبال وجناح معاً إضافة إلى علمين زاهرين آخرين هما ((تيبو سلطان)) و((السيد احمد الشهيد)) .

وعن العلمين الأخيرين فلم نسمع أو نشاهد أحداً من الكتّاب العرب قد أشار إليهما أو كتب عنهما قليلاً أو كثيراً ومن قريب أو بعيد ، حتى إننا وحتى هذه اللحظة لم نكن نعرف شيأً عن سيرهما إلا عبر كتابـك الأخـير والذي يتناول هذه السيرة حيث شجعنا ودعانا – بعد مطالعتنا له – لتتبـع مسيرهما النضالية عبر الكتب التي اعدّت عن حياهما هنا – رغم قلتـها – للوقوف على المزيد من كفاحهما وجهادهما في التصدي للمحتلين والغاصبين لبلادهما وبحّد السلاح ..

كما وقد اطلعنّا عن كتب عبر كتابك الاخير هذا علـى مـا دونتـه وحررته عن بعض شؤون شبه القارة الهنديـة وعلـى وجـه الخـصوص : تضاريسها الارضية وجبالها وانهارها ومساحتها ونفوسها وثرواتها الـصناعية والزراعية والحيوانية ووديانها ولغاتها واعراقها البشرية ، فضلا عن الطريقـة والوسيلة التي مارسها وسلكها الانكليز في استعمار واحتلال هـذه الـبلاد لتغدو وتصبح اغلى واثمن درة وجوهرة في التـاج البريطـاني ، ومـن ثم استقلال البلاد الناجز في آب من عام ١٩٤٧ علما بان كل الذي كتبته عن شبه القارة ليس صعبا ولا عسيراً عليك اذا ما علمنا بأنك العراقي بل العربي الوحيد على سطح الارض – حسب علمنا – ممن وفقه الله تعالى لمـشاهدة

وزيارة كافة اقطار شبه القارة ومن دكا وشيتا گونغ عند حدود برما شرقا الى كراچي وبومباي على شاطئ البحر العربي غربا .

ومن جنوب سيري لانكا وقرب خط الاستواء جنوبا والى شمال امـــارة جامو وكشمير عند الحدود الصينية شمالا ..

لذا فاننا اصالة عن انفسنا ونيابة عن اخوتنا واهلنا العراقيين المقيمين في هذه البلدة فضلا عن اصدقائنا واجائنا من اهل هذه البلدة ايضا نقدم لـــك كل ما في قدرة هذا القلم القاصر ان يسجّله ويخطّه من تقوير وثناء وشكر .. وعلى بعد الدار وطول المسافة .. راجين لك ولكـــل اخوتنـــا في النجـــف الاشرف وكربلاء المقدسة وبقية المدن النجاح والتوفيق ..

كما نامل ان نرى كتابك اللاحق عن المختار الثقفي والذي ســبق ان كتبت واعدّدت مسوداته منذ عدة سنوات في هذه البلـــدة وكـــان قـــد تم تزويدك في حينه ببعض المصادر التي تتناول سيرته والتي كانت بلغة البلاد (الأوردية) آملين في الختام ان نراك قريبا في كربلاء أو كراچـــي او قـــم او مشهد لنسترد ذكرياتنا السابقة معك ولنبحث في تفصيل وإسهاب شـــؤون الساعة بما في ذلك الأوضاع الراهنة بالعراق وخارجة ....الخ والحمد لله رب العالمين)) ......

الباكستان — كراچي | الدكتور حسن هادي قندي الكربلائي
حي كلشن إقبال قرب ساحة نيپا | السيد جعفر الموسوي النجفي
جامع مسجد مدينة العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار في تصديه لقتلة الحسين (ع) وأنصاره

لقد وردتنا هذه الرسالة من احد أصدقائنا في مدينة غزنة بأفغانستان وهو الملا حسين الهزاري .. حول الموضوع وندرجها في أدناه بعد حذف عبارات المجاملة والتحية والسلام ...والرسالة هي :

(لقد أشعرنا احد إخوتنا في كراچي انك بصدد دفع مسودة كتابك عن (المختار) إلى المطبعة لغرض طبعه ونشره ، وفي الحال قمت بتحرير هذه الرسالة وإرسالها إلى أخينا في كراچي من اجل أن يبعثها إليك فوراً عبر البريد أو الفاكس وذلك لتكون جاهزة بين يديك قبل طبع هذا الكتاب لأجل أن تأخذ مكانتها وموقعها بين مطالعات وتقاريض الكتّاب والأدباء والشعراء حول هذا الكتاب والتي تنشر وتوضع عادة في مطلع الكتاب ..

إننا هنا نبارك لك على طبع هذا الكتاب والذي يتناول سيرة المختار وجهوده الحثيثة ومساعيه الحميدة في تصفية أعداء اهل البيت (ع) وكل من كان له يد أو أصبع في حرب الحسين (ع) وقتاله ليقع صريعاً وشهيداً على ارض الطفوف في كربلاء مع صفوة من أهل بيته وأنصاره الكرام (عليهم سلام الله) ..

كما وأننا نشيد وبقوة على دور المختار ورفيقه إبراهيم الاشتر النخعي في كفاحهما لتصفية أعداء أهل البيت (ع) وقلع جذورهم من الأعماق ..

كما ونشيد مرة أخرى بجهودك المباركة في إعداد هذا الكتاب عن سيرة حياة هذين البطلين والذي تم على أيديهما إبادة كل خصوم وأعداء أهل البيت (ع) مما دعا أئمتنا الإبرار (ع) لان يذكروا المختار وأعماله بالخير وان يترحموا عليه بعد شهادته ورحيله ..

وبهذه المناسبة فقد وردتنا نسخة من كتابك الأخير (محمد اقبال - محمد علي جناح) من احد أصدقائنا في كراچي ونحن نشكرك كثيراً على طبع ونشر هذا

الكتاب ونعتقد انك أجدت كثيراً في تناول سيرهما وحياهما بما فيها جهودهما ونضالهما من اجل نصرة قضايا الإسلام والمسلمين وخاصة أبناء شبه القارة الهندية فضلاً عن الكتابة عن سيرة القائدين المناضلين (تيبو سلطان) و (السيد احمد الشهيد) وكفاحهما من اجل نصرة قضايا بلدهم ودينهم ضد المحتلين والغزاة والعملاء من أعوانهم ..

علماً بان سيرة (إقبال وجناح) ليست بغريبة أو صعبة عليك لأنك زرت ولعشرات المرات مسقط رأسيهما في البنجاب والسند وقرأت وسمعت الكثير عنهما ووقفت طويلاً على قبريهما في لاهور وكراچي وقرأت لهما الفاتحة ..

واعتقد بأنك حين وقفت على مثواهما وقرأت لهما الفاتحة قد دار في فكرك محاولة وفكرة الكتابة عن تاريخهما ولو باختصار وإيجاز ..

وهذا هو ما تحقق فعلاً فيما بعد وعبر الكتاب الذي هو بين يديّ الآن ..

فشكراً من الأعماق على هذا الكتاب وعلى الآخر الذي سيتبعه والخاص بـ(المختار) وجزاك الله تعالى على أتعابك ومساعيك خير الجزاء ...

هذا ونأمل في الختام أن يكون كتابك القادم سياحياً وهو الذي سبق لك إن كتبته عن أفغانستان عند زيارتك إليها في عهد الملكية ووقوفك ومشاهدتك لأثارها ومعالمها (عن كثب) ووضعت له عنوان (أفغانستان مدرسة الحرية في أسيا) نأمل أن نراه مطبوعاً قريباً ونعاهدك على إننا سنترجمه حال وصول نسخة منه ألينا إلى لغة البلاد تحياتنا إلى كافة الإخوان لديكم ونسألكم الدعاء عند المشاهد المقدسة والسلام}...

غزنة – أفغانستان　　　　أخوكم

١/٩/٢٠٠٦م /٧شعبان ١٤٢٧هـ　　　　الملا محمد حسين الشيخ احمد الهزاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

إلى:

بطل ورائد ملحمة الطف الخالدة ..

أبي الأحرار وسيد شباب أهل الجنة ..

من علّم الشعوب كيف تصبح مظلومة لتنتصر ..

من دعا ربه لينتقم ويثأر له ممن سفك دمه ودماء أهل بيته وأصحابه في وادي كربلاء بقوله :- ((اللهم سلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة ولا يدع أحداً إلا قتله ، قتلة بقتله وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم ، اللهم أحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً)).

الشهيد وأبن الشهيد وأخ الشهيد وأبي الشهداء .....

الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ..

أقدّم هذه الدراسة الموجزة عن سيرة حياة ذلك الغلام الذي آثره الله تعالى - استجابة لدعائك - ليتولى الثأر والانتقام بعنف وقسوة ممن سفك دماءكم الطاهرة ، ولم يترك لكم حقاً عند أحداً إلا أخذه راجياً التفضل بالقبول والرضا والشفاعة في يوم الحساب والجزاء ....

كربلاء المقدسة　　　　محمد علي يوسف الاشيقر

١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ص) وعلى اله الطاهرين وصحبة المنتجبين والتابعين لهم بإحسان و سلم تسليما كثيراً-

وبعد فقد كان للتشجيع والترحيب الذي أبداه لي الكثير من الأصدقاء والأعزاء في كربلاء وخارجها إزاء كتابيّ الأخيرين وهما : ((العباس رجل العقيدة والسيف)) و((مسلم بن عقيل- بريق النبوة في ظلمات الكوفة))

الأثر الكبير في إن يلتحق بركب هذين الكتابين وتتبعهما بالأثر كتاب ثالث هو هذا الكتاب والذي قد يعد – في الحقيقة – تكملة لهما أو الفصل والباب اللاحق والتالي لهما ..

ذلك لان جميعها تبحث وتؤرخ ثورة الحسين (ع) ونهضته وأثارها والتي تفجّرت في عرصات كربلاء عام (٦١هـ) – ثم عمّت إشعاعاتها وبريقها بمرور الوقت أرجاء المعمورة بحيث لم تدع أحدا دون إن تهزّه ولابيتاً دون إن تدخله ولا ثورة وطنية او انتفاضة شعبية أو حركة تحريرية من دون إن تقودها وتنير لها السبيل المستقيم وتمهد لها وسائل النجاح والثبات..

كما ودفعني أيضا لخوض هذا الموضوع أو التعجيل في أعـــداده الأخ طه الربيعي صاحب مكتبة الحكمة في كربلاء ، حيث أشعرني بان الموضوع الذي نكتبه ألان فضلا عن الموضوعين الأنفـــين هـــي مـــن المواضيع التي تلّح جماهير القرّآء عليها ، وهي أيضا التي ترغب في أن تقرأ أو تسمع عنها الشيء الكثير لما لها من آثار وتفـــاعلات ودروس في الحياة ، فضلاً عن موقعها المميز في التـــاريخ عامـــة والإســـلامي خاصة...

ولقد جاءت هذه الإشارة لي من الأخ – أبو حيدر – حين كنت على أهبة السفر والرحيل إلى خارج العراق، حيث عزمت وحرصت – قبل الحركة – إن انهي كتابة هذا الموضـــوع في فتـــرة إقـــامتي في الباكستان ..

ولقد عاهدت نفسي حينذاك ان يكون هـــذا الموضـــوع تامـــاً وكاملاً ومستوفياً لكافة نواحيه لاسيما وان طريق رحلتي قد حددتـــه ليكون عبر الشقيقة سوريا ، حيث رجوّت إن اعثر واجد في مكتباتها – وكما تمنّت – الكثير من المصادر والمراجع المستقلة التي تتنـــاول هذا الموضوع وهي ستعينني – بالطبع – على إتمام البحث بســـهولة وبما يرضي القراء الكرام وقبولهم ..

وفي دمشق الشام وبعد طوافي بكثير من مكاتبها وخزائن كتبها والاستفسار من أصحابها لم اعثر فيها على كتب تبحث عن سيرة وحياة المختار الثقفي إلا القليل جداً...

حيث استعنت بهذا القليل مما عثرت عليه في بلاد الشام مع ما كنت احمله من قطر العراق من مصادر ومراجع محدودة وقليلة ايضاً..

نعم استعنت بهذا القليل الذي جمعته من هنا وهناك في كتابة هذا الموضوع الذي يؤرخ للمختار من سنة ولادته وأطلاله على العالم وهي السنة الأولى للهجرة النبوية إلى ساعة مصرعه واستشهاده في الكوفة في ١٥ رمضان المبارك من عام (٦٧ هـ)...

لذا فأني اشعر هنا باني لم أوف الموضوع ما يستحقه من شرح أو تبيان مؤملاً الاستفادة بما سيقع في يدّي في المستقبل من مصادر ومراجع تبحث وتتناول هذا الموضوع .

فضلاً عن الاستفادة أيضا من توجيهات وملاحظات القرّاء الكرام إزاءه ليتاح لي فيما بعد إعادة النظر فيه ومن ثم كتابته وتحريره بصورة مستوفية وكاملة فيما لو قدر له أن يرى النور لمرة ثانية ..

هذا وان البحث عن سيرة المختار وحياته قد تعّد أكثر صعوبة بالنسبة لكثير من المواضيع التاريخية الاخرى...

ومرّد ذلك هو الغموض الذي يلّف شخصية هذا العلم الكبير في كثير من وقائع حياته كما يرى ذلك الكثير من المؤرخين والكتاب ...

حيث تراه يبرز إلى عالم الضوء والمواجهة في بلد ثم يختفي عدة شهور أو سنوات ليظهر في مدينة أخرى بعيدة عن الأولى مرة ثانية...

كما تراه يشهد معركة معينة رفقة جيش الإمام علي (ع) أو سواه بينما لا نجد له ذكراً أو تواجداً في معارك أخرى لاحقة أو سابقة وربما كان له وجود فعلي في هذه ولكن من خلف الستار ومن دون إن يحس به احد أو يدركه أخر...

وتراه أيضا وفي موضع أخر يدخل غيابت السجن في الكوفة لفترة غير محدودة ولأكثر من مرة ليخرج منه بتوصية عن احد أصهاره إلى الخليفة ، حيث يوعز الأخير إلى واليه في الكوفة لإخلاء سبيله في الحال ليبدأ اثر ذلك في ممارسة العمل السري والثوري للإطاحة بالطغاة والظالمين الذين تولّوا سجنه...

وتشاهد هناك أيضا من ينسبه إلى الكيسانية مُعتقداً بسبب مصاحبته لمحمد بن الحنفية ، بينما يصحّح الآخرون عقيدته ويرونه انه لا يكاد يخرج في العقيدة والرأي عن أي محب وموالي أخر لأهل البيت (عليهم السلام) ومدافعاً عن حقهم الشرعي والثابت في الحكم والإمامة والقضاء ... الخ ..

وهناك من يذهب إلى إن المختار قد بايع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعد هلاك يزيد واستتباب الأمر له بعد ذلك في بلادي الحجاز والعراق...

بينما يرى سواهم عكس ذلك ، وان وجد شيء منه بالفعل – فرضاً – فهو من باب التقية والانتظار ، أو لمصلحة كان يراها ضرورية من اجل تربّص الفرصة المناسبة للثورة وتقويض ونسف أركان النظام القائم ، لا سيما وان ابن الزبير كان قد طالب و نادى – بعد واقعة الطف – بدم الحسين الشهيد (عليه السلام) . أسوة بمطالبة معاوية من قبل بدم عثمان ...

وحين استتب الأمر للطرفين نسيا وتجاهلا المطالبة بالدماء المراقة واتجها عوضاً عن ذلك صوب ترسيخ أقدامهما وتثبيتها على كراسي الملك والسلطان من إن تهزها الأعاصير أو تقذف بها الأمواج بعيداً عنهما...

إن كل الذي قيل عن المختار الثقفي أنفاً لا يبرر كونه كان من الرجال الصالحين ، وعلوياً في تربيته ونزعته وخصماً عنيداً لا عدائهم، وكان من فرط تقواه وورعه انه حين كان يريد إن يشكر الله على شيء أو نعمة صام ليوم أو أكثر...

وهو– من ثم – كان داهية من دهاة العرب وفارساً حديدياً شجاعاً من فرسان أهل البيت (عليهم السلام) لا تأخذه في الانتصار لحقهم والذود عن حياضهم لومة احد .

حيث سعى وبذل قصارى جهده وطاقته – حين استتب له الأمر – للثأر والانتقام من كل أولئك الحثالات الذين شاركوا في

إراقة دماء الحسين (عليه السلام) ورفاقه على ارض كربلاء في يوم عاشوراء ، والذي قيل هنا إن سيفه طال (١٨) إلف فرد منهم رغم إن فترة حكمه القصيرة في الكوفة قد بلغت (١٨) شهراً ...

ولقد تجلى بعض هذا الولاء والحب في خطاب الإمام الحسين (عليه السلام) إلى ابن عمه مسلم بن عقيل حين أرسله سفيراً عنه إلى الكوفة بقوله:

((فإذا دخلت الكوفة فأنزل عند أوثق أهلها))...

حيث نرى مسلماً يحل في المكان الذي حدّد له وهو دار المختار القريبة من المسجد الجامع في الكوفة ، لكونه – بحق وحقيق – من قادة أهل الكوفة واشد المدافعين والمخلصين لأهل البيت (عليهم السلام) وحقوقهم المشروعة والثابتة في الخلافة والإمامة ....الخ ..

كما نرى في مكان أخر ترحّم الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) على المختار عندما خاطب نجله أبو محمد الحكم مرة بعد إن أجلسه إلى جواره بقوله...

((رحم الله أباك ما ترك لنا حقاً عند احد إلا أخذه)) ...

وقبل ذلك قال الإمام علي زين العابدين (عليه السلام) حين وصول راسي ابن زياد وابن سعد مرسلين من المختار في الكوفة إليه قال :

(الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً).

إن هذا الغموض الذي قد أحاط بكثير من وقائع سيرة المختار وسريرته وندرة أو قلة من كتب عنه في بحوث مستقلة دفعني لان أقف عن الكتابة عنه لأكثر من مرة ...

إلا إن إرادة الله تعالى واشاءته لم تدع قلمي القاصر إن يتوقف عن مسيرته أبدا ، بل دعاه للسير بسرعة او بطء من اجل إتمام الموضوع عن حياة هذه الشخصية والتي تباينت نظرات الناس وأقوالهم ازائها بين الغموض إلى الوضوح ، وهكذا تكون دائماً سيرة العظام والقادة الكبار عبر التاريخ...

واني حين أقدّم هذا البحث والذي كتبته في الغربة بعيداً عن الوطن العزيز والأهل والأصدقاء الكرام ، حين أقدّمه على طبق من ورد إلى الإخوة الأعزاء في هذا البلد أو ذاك لأمل منهم جميعاً إشعاري عن كل ما يجدونه فيه من أغلاط أو أخطاء أو سوى ذلك ...

حيث إن الذي تم كتابته في هذا الموجز أو في الكتابين السابقين – رغم قلة المصادر لبعضها– هو من اجل نيل رضاء الله تعالى وعونه عبر طريق الانتصار والدفاع عن ثورة احد أولياء الله وهو الحسين بن علي (عليه السلام) والذي قدّم حياته وحياة أهل بيته وأصحابه رخيصة على طريق الله من اجل ترسيخ دعائم دين جده(ص) وان تستمر شعلة الشهادتين وهاّجة وخفاقّة بعد ان حاول الطغاة والمستبدون طمسها وإعادة عقارب الساعة إلى الوراء(حيث عهد

الجاهلية والوثنية) ثم تبيان سيرة وسلوك من قام بعد ذلـــك ببعـــث الحياة في هذه الدماء الزكية المراقة على ارض الطفوف من جديد عن طريق الانتقام وبكل قسوة وعنف ممن تسبب في أراقتها وأسالتها مـــن دون وجه حق ومن قريب أو بعيد ...

والحمد لله رب العالمين ... حمداً لا يزال يبدأ وبدء لاينتهي...

كربلاء المقدسة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م محمد علي يوسف الاشيقر

الولادة و الأسرة

ولد المختار بن أبي عبيد الله بن مسعود الثقفي في مدينة الطائف التي تبعد عن مكة المكرمة بما يقرب من ١١٠ كم ، وهي منطقة جبلية ترتفع لما يقرب من خمسة ألاف قدم عن سطح البحر ، وهي أيضا ذات جو لطيف وعذب في الصيف ، لذا غدت البلدة مصيفاً لأبناء مكة المكرمة وما حولها بل لعموم الحجاز..

ولد المختار في نفس السنة التي هاجر فيها الرسول (ص) من مكة إلى المدينة المنورة تحاشياً للأذى والعذاب الذي تعرّض له (ص) من قبل القرشيين في مكة نتيجة للرسالة التي كلفه الله تعالى بتبليغها إلى الناس كافة..

ولا يعرف على وجه الدقة اليوم أو الشهر الذي ولد فيه المختار بسبب إن تدوين تواريخ مثل هذه الوقائع والاهتمام بها لاتتم إلا للشخصيات المهمة والبارزة (V.I.P.) ..

وحتى الأوقات التي تتعلق بأمثال هذه الشخصيات المميزة قد اختلف فيها ولم تصل إلينا دقيقة وصحيحة ، وكمثال على ذلك هو الاختلاف الوارد في تاريخ مولد الرسول الأعظم (ص) ..

وينتسب المختار إلى قبيلة ثقيف العربية الأصيلة ، وكانت قبيلة ثقيف من القبائل المشهورة والمميزة في الجزيرة العربية ، وهذه الشهرة

دعتها لأن تتيه وتتباهى على أقرانها من القبائل العربية الأخرى بقوتها ومكانتها وعددها وثرائها وسوى ذلك ..

وهذه القبيلة أسوة بقبيلة قريش التي تجاورها من جهة الغرب هما من القبائل العدنانية المشهورة والبارزة حينذاك في عموم شبه الجزيرة العربية أسوة بشهرة مدينتي مكة المكرمة والطائف حيث يقطن أبناء القبيلتين في ربوعها[1].

---

(1) لقد رحل الرسول الكريم (ص) إلى الطائف بعد بدء الدعوة الإسلامية بصورتها العلنية عله يجد في ظلها شيئاً من الراحة والأمان بعد الذي ذاقه في بلده مكة من أذى وتعذيب لا يطاقان على يد طواغيت قريش وسفهائها .. إلا انه (ص) لم يجد في ربوع الطائف اقل مما رآه في مكة وأدنى مما ذاقه فيها ، حيث تعرّض هناك للأذى ورمي بالحجارة وألقيت الأشواك في طريق مسيره حين بشرّ بدعوته في البلدة وأعلن رسالته وأذاع امره.. مما اضطره (ص) الحال للعودة مكرهاً من حيث جاء ، وبالفعل عاد إلى مكة بلده ومسقط رأسه تمهيداً للبحث عن ملجأ آمن أخر يأوي إليه وعن اشهر إسلامه من أبناء البلدة -. فكانت الهجرة إلى الحبشة بالنسبة لكثير من أصحابه ، وكانت ايضاً إلى المدينة المنورة بالنسبة له (ص) ولم تبق في البلدة إلا من أهل البيت والصحابة. وبعد هذه الهجرة إلى المدينة ، وبعد انتشار أنوار الدين الجديد هنا وهناك وبعد أن اشتد ساعد المسلمين آثر الرسول (ص) أن لا يحرم أبناء الطائف وقبيلة ثقيف بالذات من هداية الدين الجديد والدعوة الفتية.. فقام (ص) عام (٩هـ) بمحاولة فتح وتحرير الطائف وإخضاع قبيلة ثقيف لفلك الدين الإسلامي الحنيف أسوة بكثير من القبائل العربية في هذه المنطقة من الجزيرة العربية أو تلك – حيث اعدّ (ص) جيشاً كبيراً تولى بنفسه قيادته لغزو وتحرير البلدة الجبلية المنيعة – ولقد حاصر الجيش الإسلامي البلدة من كافة أطرافها ولمدة شهرين متتابعين ألا إن قوة وتضامن وتماسك أبناء هذه القبيلة وتدريبهم العالي على فنون القتال والحرب وطبيعة أراضيهم حال دون اقتحام المسلمين لبلدهم... مما حدا بالرسول (ص) أخيراً للانسحاب إلى مكة مع كامل جيشه تمهيداً لجولة قادمة معهم..

إلا أن ثقيف – من ثم – وبعد أن رأت إن كثيراً من أجزاء الجزيرة العربية قد خضعت للسيطرة الإسلامية وأعلن سكانها الولاء والإيمان بالدين الجديد ، وانه لا مفر من مهادنة المسلمين ونبيهم الكريم (ص) خشية إن تتسرب أنوار هذا الدين إلى منطقتهم سراً أو علناً ، فقد أرسلت ثقيف من

وإلى هذه الحقيقة – أي المدينتين ورجال القبلتين – أشار القرآن الكريم حيث ورد في سورة الزخرف/ الآية ٣٠ قوله تعالى:

((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)) . . .

أما جد المختار لأبيه فهو (مسعود بن عمرو) حيث كان هذا سيد قومه ثقيف وشيخها وزعيمها غير المنازع وهو المقصود بالرجل في قرية الطائف من الآية الكريمة الآنفة الذكر . .

أما الرجل الآخر من قرية مكة المكرمة التي عنتها الآية الكريمة فهو .

((الوليد بن المغيرة بن عمر بن مخزوم))

ويكنى المختار بـ ((أبو اسحق)) وإسحاق هذا هو أحد أبنائه من زوجته الأولى ((أم ثابت)) .

قبلها وفداً كبيراً إلى المدينة المنورة ضم الكثير من ساداتها وزعمائها وذلك للمفاوضة مع الرسول (ص) وعقد الصلح معه . .

– وبالفعل تم الصلح بين النبي (ص) وقادة ثقيف وفقاً لشروط محددة ارتضاها الطرفان والتي هي تهدف على المدى البعيد دخول أنوار الإسلام إلى نفوس الناس في البلدة ، وبالفعل فقد كان هذا الصلح أول الغيث أو البداية لدخول أبناء هذه القبيلة المشهورة تباعاً تحت مظلة الإسلام بعد أن لمسوا ما يضم هذا الدين من أفكار ومبادئ تنقلهم من ظلم الجور والتعسف الذي يكتنفهم إلى عدل الشريعة ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة . . ولقد أدى إسلام هذه القبيلة وإخلاصها للدين الجديد ونبيه(ص) إلى بروز قادة وزعماء من بين صفوفهم كان لهم دور بارز ومشرق في قيادة بعض جيوش المسلمين لتحرير أرجاء الأرض ونشر مبادئ وأفكار ومعالم الدين الإسلامي في ربوعها . . .

أما والد المختار فهو (أبو عبيدة) ، ولقد كان هذا الوالد من الصحابة الأجلاء حيث اعتنق الإسلام (بعد أن تم الصلح مـــا بـــين قبيلته ثقيف والمسلمين) واخلص له قلباً ولساناً ٠ ٠

لذا فقد عهدت إليه مهمة قيادة بعض جيوش المسلمين في خوض بعض معارك الفتح الإسلامي ٠

حيث خاض معركة الجسر (يوم الجسر) المشهورة والتي جرت مع جيش الفرس وعلى ارض العراق والذي كان تحت هيمنتـــهم – حينذاك– وقد جرت في أخر شهر رمضان من عام (١٣هـــ) ٠ ٠

ولقد كانت المعركة قد نشبت استجابة لدعوة ونداء الخليفـــة الثـــاني عمر بن الخطاب (رض) حين قرر فتح العراق لنشر الدين الإسلامي في ربوعه ٠ ٠

وفي هذه المعركة التي مهدت السبيل لفتح قطر العراق برمتـــه استشهد الوالد (أبو عبيدة) حين هجم عليه فيل مدرّب للعدو فقتله في محله(٢) ٠ ٠

وتولى ابنه (جبر) القيادة العامة للجيش الإسلامي من بعـــده فأستشهد هو الآخر أيضاً على ارض المعركة ٠ ٠

كما استشهد في هذه المعركة أيضاً أخـــوه (الحكـــم)– عـــم المختار– فضلاً عن عدد كبير من جنود وأفـــراد المســـلمين قيـــل أن

---

(٢)المختار الثقفي – كمال السيد

عددهم بلغ حوالي (١٣٠٠) رجل رقيل (٤٠٠٠) رجل بين شهيد على ارض المعركة وغريق في عباب مياه النهر ..

وكان للمختار عم أخر يدعى (سعد) وكان هذا بدوره قد اشترك مع كثير من أبناء قبيلته ثقيف في معركة الجسر ، إلا إن الله تعالى كتب له السلامة والبقاء حياً يرزق بعد انتهاء المعركة.

ولقد تولى هذا العم (سعد) مهمة رعاية أبن أخيه المختار بعد رحيل واستشهاد والده (أبو عبيدة) وعمه الآخر (الحكم) .

وكان هذا العم الجليل (سعد) من موالي وأنصار الإمام علي(ع) والمتحمسين له كثيراً ، ولا نعرف كيف أصبح سعد موالياً لعلي بهذه الدرجة والظاهر انه أصبح موالياً كالآلاف المؤلفة التي والته في هذا القطر أو ذاك ولهذا السبب أو ذاك ..

ولقد أدى حبه وإخلاصه العارم للإمام علي (ع) لأن يصاحبه في حلّه وترحاله وان يكون بالقرب منه ومن دون أن يفارقه لحظة – أي كظله– سواء في المدينة قبل تسنمه الخلافة أو بعد اختياره خليفة للمسلمين عام(٣٥هـ)..

ولقد شارك (سعد الثقفي) مع الإمام علي (ع) واسهم معه بدور بارز في كل معاركه في (الجمل وصفين والنهروان) وقد أبلى فيها بلاء حسناً ، كما ووقف فيها موقفاً مشهوراً ومميزاً في الدفاع عن قيم ومبادئ وحق الإمام ضد باطل وضلالة مناوئيه وخصومه..

وبسبب شجاعته وأقدامه وإخلاصه المطلق عقد لـه الإمام علي(ع) راية في واقعة الجمل ليصبح هذا الثقفي أميرا على فرسان وجند قبائل (قيس وعبس وذبيان) في تصديها ومنازلتها لأزلام ومرتزقة الجيش الذي ساقه من دون وجه حق طلحة والزبير في عام (٣٦هـ) إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان ، هذا الدم الذي كان لهما دور مميز وفاعل في أراقته بالمدينة عام (٣٥هـ) ..

كما وأدى أخلاص وحب (سعد الثقفي) للإمام علي(ع) وأبنائه ولكل المبادئ والمثل التي دعا إليها لان يختاره الإمام وينسبه ليكون والياً عنه على إقليم المدائن ، وهو نفس الإقليم الذي اسند ولايته من قبل إلى الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) وبعهد خاص من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض)..

هذا ولم نعثر على ما يشير إلى وقت أو بدء تاريخ إسناد هذه الولاية إلى (سعد) على وجه التحقيق والصحة..

إلا أن نهايتها كانت بالتأكيد معلومة وغير خافية على احد حيث كانت بعد فترة وجيزة من استشهاد الإمام علي(ع) على يد الشقي وناكر الجميل أبن ملجم المرادي عام (٤٠هـ) في الكوفة..

وربما قد تمتد هذه الفترة شيئاً لتصل إلى أيام صلح الإمام الحسن(ع) مع معاوية ، حيث لزم بعد ذلك (سعد) الإمام الحسن ولم يفارقه لحظة واحدة أسوة بما كان يصنعه مع أبيه الإمام علي(ع) من قبل..

حيث مكث في رفقته يتولى دعمه ونصرته بالنفس والنفيس ، فضلاً عن رعاية الإمام والعناية به أثر الجرح الذي أصابه من الضربة الموجعة التي سدّدها إلى فخذه (عليه السلام) أحد أعوان الشيطان من مناوئيه الأشرار..

كان المختار الثقفي طيلة ولاية عمه (سعد) على المدائن من قبل الإمام علي (عليه السلام) في صحبته ورفقته ، حيث كان العم يرعى أبن أخيه ويغرز في سويداء قلبه ولاء وحب الإمام علي (عليه السلام) وحب أبنائه والسير وفق المبادئ والأفكار والأهداف التي حملها الإمام وجاهد واستشهد في سبيل الله من اجل ترسيخها وثباتها في نفوس الناس..

أن هذه الرعاية الخاصة من قبل العم إزاء أبن أخيه دعت الأخير لأن يكون صورة طبق الأصل لعمه سعد بل غدا الاثنان وجهين لعملة واحدة – وفقاً للمصطلح الحديث–

هذا ولعظم ثقة العم بابن أخيه كان– حين ولايته على المدائن– يستخلف أبن أخيه مكانه في تحمّل وتمشية أعباء إدارة الولاية حين كان يغيب عنها لفترة لسبب أو لآخر ..

وكان العم يلمس من أبن أخيه طيلة مدة ابتعاده عن الولاية القدرة الكاملة والكفاءة العالية في إدارة شؤون الولاية وتمشية أمور الناس بصورة جيدة وتامة وتحقيق مطالبهم وحاجاتهم من دونما تهاون أو تقصير..

لذا فقد اكتسب المختار منذ البدايات الأولى لحياته خصلتين:

١-أحداهما: الحب العميق والإخلاص التام والولاء المطلق لأهل البيت (عليهم السلام) وكونهم هم أصحاب الحق المشروع والثابت في الخلافة والإمامة والقضاء...... الخ ..

٢-أما الثانية: فكانت الخبرة والكفاءة والممارسة التي اكتسبها في إدارة شؤون السلطة والحكم في إقليم المدائن حيث شغل كنائب وممثل عن عمه (سعد) عند غيابه عن الإدارة والحكم بإجازة أو مرض أو استدعاء أو سوى ذلك..

هذا فضلاً عن كونه – المختار – من الرجال الصالحين والورعين حيث كان إذا أراد أن يشكر الله تعالى على نعمة اصابته صام كما وكان رجلاً شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً..

وعليه فلا نستكثر على المختار أن يكون من المتحمسين في الولاء المطلق لأهل البيت(عليهم السلام) والسير على خطاهم وان يستعد ويتأهب للثورة على الطغاة والظالمين لهم في الكوفة عند حلول أية فرصة أو مناسبة متاحة، والتي قد تحققت هذه في عام (٦٦هـ) حيث تولى زمام الأمر والنهي في الكوفة وقام من ثم وبالأثر بالقصاص والانتقام من كل البغاة الذين عاثوا في الأرض فساداً بسفكهم دم الحسين(عليه السلام)الطاهر الزكي وأهل بيته وأصحابه في عرصات كربلاء

في محرم الحرام من عام (٦١هـ) (قتلة بقتلة وضربة بضربة ..) كما صرح بذلك الإمام الحسين(عليه السلام) نفسه من قبل.

كما ولا نستكثر على المختار حسن إدارته للحكم وكفائتة وخبرته في قيادة البلاد حين تولى السلطة في الكوفة لمدة(١٨) شهر..

أما أم المختار الثقفي فكانت تدعى(دومة بنت عمرو بن متعب الثقفي) وكانت هذه امرأة جليلة وكريمة وذات مكانة مميزة وخاصة بين سيدات ونساء قومها – ثقيف– بما ليس له نظير..

وكان المختار – بعد رحيلها – يستذكر ويردّد باستمرار اسم والدته ويعتز بالانتساب إليها ويصرّح دوماً بأنه (أبن دومة)..

وتشير الأخبار والروايات المختلفة إلى أن أباه (أبو عبيدة) كان قد تزوجها بعد أن عزف مدة طويلة عن الزواج سواء من نساء قبيلته أو من سواهن.

ولقد استمر الوالد عازفاً عن بناء عش الزوجية حتى قيل أنه قد رأى مرة في عالم الرؤيا كأن هاتفاً يخاطبه ويقول له:

((تزوج دومة فما تسمع فيها للائم لومة))

وبعد أن أقترن (أبو عبيدة) بهذه المرأة الصالحة أنجبت له عدة بنين وبنتاً واحدة وهم[٣]:–

١ – المختار

---

[٣] المختار الثقفي – احمد الدجيلي

٢-جــبر

٣-صفية

٤-أسيــد

٥-أبو جبر

٦-أبو الحكم

٧-أبو أمية

والغريب هنا هو أن (أبو عبيدة) لم ينسب إلى أي مــن أبنائــه أعلاه ، وإنما نُسب إلى(عبيدة) فأصبح يدعى (أبو عبيدة) رغم أنــه لم يرزق بولد يحمل هذا الاسم..

والظاهر هنا هو شياع مثل هذه الأسماء - في ذلك الوقت - مــن دون أنجاب ولد معين ينسب إلى أبيه مثل ((أبو الفرج ، أبو حيان،أبو سعيد،أبو الفدا،أبو القاسم،أبو زيد،أبو محجن،أبو حامد،أبو يوسف،أبو العلاء) ..

حيث لا نعرف يقيناً أن كان هؤلاء الأعلام - عدا أبي العــلاء المعري - قد رزقوا بأبناء فحملوا أسماءهم أم إنهم كانوا كأبي العــلاء من دون زواج فحملوا هذه الأسماء..

وعن مصير وتاريخ وسيرة أخوة المختار أعــلاه فنشيــر إلى أن أحدهم وهو(جبر) قد استشهد مع أبيه أبي عبيدة وعمــه الحكــم في واقعة الجسر كما سبق بيانه..

أما بقية أخوته الأربعة فقد سكت عنهم التـاريخ ولم يشـر إلى سيرة أو حياة أي منهم من بعيد أو قريب..

هذا عدا أخته الوحيدة (صفية) فقد كانت هذه سـيدة فاضـلة جليلة أدركت عصر النبي (ص) وقد روّت الأحاديث والأخبار عـن طريق أم المؤمنين عائشة وحفصة والخاصة بالرسول الكريم(ص) كمـا وروى عنها (نافع) مولى زوجها عبد الله بن عمر ..

ولقد تزوجت هذه السيدة الثقفية من عبد الله بن عمـر حيـث أخلصت له وتفانت في خدمته ومساعدته..

وبالمقابل فقد أحبها زوجها أبن عمر وانزلها من نفسه المنزلة السامية التي تليق بها ، فضلاً عن الاستجابة وتلبية كل مطالبها وحاجاتها..

ولقد كان أحد المطاليب التي نفذها لها هو طلبها من زوجهـا أن يتوسط لدى رئيس النظام الحاكم في الشام لإخلاء سبيل أخيها المختار بعد أن وضعه عامل النظام في الكوفة وهو(عبيد الله بن زياد)في غيابت السجن من دون وجه حق..

وبالنظر لما يتمتع به أبن عمر من شخصية مرموقة ومكانة مميـزة عند الحكام والولا ة فضلاً عن عامة المسلمين بسبب اعتزالـه أمـور الخلافة والابتعاد عن ذكرها أو المطالبة بها وانقطاعـه وانزوائـه إلى العبادة والوحدة-

فقد استجاب الحاكم في الشام لطلبه بإخلاء سبيل وسراح صهره المختار من السجن في الكوفة حيث أوعز إلى عاملة في الكوفة بتنفيذ أمره فوراً .

وبالفعل فقد أطلق سراحه من السجن في هذه المرة ، كما أطلق سراحه من السجن لمرة ثانية وأخرى وبتوصية ووساطة من أبن عمر ايضاً .

إما عن زوجات المختار الثقفي فتروي كتب التاريخ انه كان للمختار عدة زوجات إلا أن هذه الكتب لم تشر إلا إلى ثلاث فقط[٤] منهن وهذه الزوجات كان قد تزوجهن المختار واحدة بعد الأخرى وهن :

١ – عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري:

وهذه هي الزوجة الثانية في تسلسل زوجات المختار ، أما الأولى فكانت (أم ثابت) والتي تزوجها عام (٢٥هـ) وبعد فترة من هذا التاريخ تزوج المختار بهذه الزوجة البارة(عمرة) وكانت هذه الزوجة – كزوجها وعم زوجها سعد – موالية جداً لأهل البيت(عليهم السلام) ومحبة لهم حباً عارماً ، فضلاً عن كونها مؤمنة صالحة ذات أدب وحسب ونسب .

---

(٤) المختار الثقفي – احمد الدجيلي

وعن إخلاصها المفرط لزوجها وحبها الفائق له يروي أنه بعد أن سيطر مصعب بن الزبير على الكوفة وفتك بزوجها المختار ، عرض عليها مصعب إعلان البراءة من زوجها المختار وألا فسيقوم بقتلها ويلحقها بزوجها فأجابت ..

((كيف تريدوني أن أتبرأ من رجل يقول ربي الله ، وكان صائما نهاره قائماً ليله وقد بذل دمه لله ورسوله واخذ بثأر سبط النبي الحسين بن علي(عليه السلام))) .

ثم شدّد عليها الطلب بالبراءة أو التصفية، إلا إنها – من عظم وفرط حبها وإخلاصها لزوجها الراحل ولأهل البيت(عليهم السلام) آثرت القتل على البراءة من زوجها حيث صرّحت بالقول وأمام الأشهاد:

((شهادة في سبيل الله ارزقها ثم أتركها – كلا– إنها خير من الدنيا وما فيها ، إنها موتة ثم الجنة والقدوم على رسول الله(ص) وأهل بيته .. والله لا يكون ، آتي مع ابن هند فاتبعه واترك ابن أبي طالب وشيعته .. اللهم اشهد أني متبعة نبيك وابن بنته وأهل بيته وشيعته .. والله لا أفضل على ولايتي لعلي بن أبي طالب شيئا))(٥)

وحين سمع مصعب بمقولتها هذه كاملة وإصرارها على موالاة وحب أهل البيت وعدم استعدادها على البراءة من زوجها المختار ،

---

(٥)- مروج الذهب – المسعودي ، تاريخ الطبري – الطبري

قرر التخلص منها وإلحاقها بركب زوجها ، حيث أوعز إلى أحد أعوانه بإخراجها ليلاً إلى مكان معين بين الكوفة والحيرة وسط الصحراء وقتلها هناك .

وبالفعل فقد تم تنفيذ ما أمر به هذا الطاغية الصغير مصعب إزاءها، حيث نُقلت إلى المكان المحدد وقُتلت عنده صبراً من دون احترام لا نوثتها أو كونها لا تحمل سلاحاً ولم تحارب خصومها أو تنازعهم على شيء...

لقد استشهدت رحمها الله دفاعاً عن الأهداف التي استشهد الحسين(عليه السلام) من أجلها وسار على دربها زوجها المختار ، وكانت هذه المرأة هي أول من يضرب عنقها صبراً في دنيا الاسلام..

وفي العام الذي قتلت فيه هذه المرأة الصابرة ظل الناس يردّدون بحزن وألم وحسرة شعراً نظمه الشاعر المعروف عمر بن أبي ربيعة في رثائها وهو:

أن من أعجب العجائب عندي	قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم	اِنّ لله درّها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا	وعلى الغانيات جرّ الذيول

٢- أم ثابت بنت سمرة بن جندب الفراري:

وهذه هي الزوجة الأولى التي بنى بها المختار وكان ذلك عام(٢٥هـ) ، ولقد رزق منها ولدين فقط هما:

أ- اسحق

ولقد كُنِيَ المختار باسم ولده الأول هذا وأصبح يدعى بين الناس باسم (أبو اسحـــق) ..

وهذه الزوجة رغم حبها وإخلاصها لزوجها إلا أنها كانت على عكس الأولى بصدد الاستسلام والخضوع للإرهاب والتهديد والوعيـــد حيث عرض عليها مصعب ما عرض على الأولى:

أما البراءة من زوجها المختار أو القتل جبراً والالتحاق بزوجها:

إلا أنها أثرت البراءة من زوجها والإبقاء على حياتهـــا مـــن القتل ، حيث عقّبت على هذه الحالة النادرة والفريدة بقولها:

((لو دعوتني إلى الكفر مع السيف لا قررت وشهدت أن المختار كان كافراً)) ..

وطبيعي أن مقولتها هذه وقد شهر سيف البغي بوجهها قد تعتبر من قبلها بل ومن قبل سواها- بل هو الواقع - تقية للإبقـــاء علـــى الحياة ، حيث إنها - في الحقيقة - ومن سياق كلامها وفعلها لا تعتقد بكفر زوجها لتتبرأ منه ، إلا أن السيف الذي شُهِر في وجهها دعاهـــا - ويدعو سواها ايضاً - لأن تقول ما قالت وهو عذر مقبول ومغفور بالنسبة للرجال فكيف للنساء خصوصاً وان قلبها كان مطمئناً بالإيمان . وان من تتبرأ منه ليس هو نبياً أو وصياً لتزداد الحراجة من ذلك ...

٣- أم زيد الصغرى بنت سعد بن عمرو بن نُفيل:

وهذه هي الزوجة الثالثة التي خطبت إلى المختار ، وليست لدينا تفصيلات دقيقة أو عامة عن سيرها أو نهايتها وذلك لسكوت كتب التاريخ عنها من قريب أو بعيد.

أن هذا القليل والذي تم درجه هنا هو كل ما أمكن جمعه وكتابته عن البدايات الأولى لحياة المختار فضلاً عن سيرة وتاريخ أهل بيته الثقفيين ..

حيث يظهر من ذلك إنه سليل أسرة عربية عريقة توارثت المجد والشجاعة والفروسية كابراً عن كابر، وأنها – ثقيف – كانت تزاحم– قريش – في مكة المكرمة في منزلتها ومكانتها بين أبناء العروبة من العدنانيين من عرب الشمال ..

هذا فضلاً عن كون المختار مضرب المثل في الدهاء والذكاء والفطنة والإخلاص والأهم هو الولاء والحب العميق لأهل البيت(عليهم السلام) وكونهم أصحاب الحق الثابت في الخلافة والإمامة والقضاء من دون منازع .

وموقف المختار الثابت هذا من أهل البيت(عليهم السلام) دعت كل الموالين والمحبين لهذا البيت الكريم – الذي اذهب الله عنهم الرجس وطّهرهم تطهيراً – لأن يلتفوا ويعملوا معه لغرض تحقيق وتطبيق الشعار والنداء الذي نادى به وأطلقه في الكوفة عام(٦٦هـ) ووصل صداه إلى عنان السماء وهو(يا لثارات الحسين) وهو الثأر

والانتقام من كل من ساهم في إسالة وإراقة دماء الحسين(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه على ارض الطفوف بكربلاء عام(٦١هـ)..

وبالفعل فقد نفذ المختار ما كان يؤمن به منذ صغره وترجمة عبر الشعار والنداء أعلاه وبكل حزم وعزم وهمة حين استتب له الأمر في الكوفة ومن دون أن تأخذه في تنفيذه لومة أحد .

وعن بقية خصال المختار الأخرى فقد جمعها يوماً – بعد رحيله – الحجاج بن يوسف الثقفي والذي هو من نفس قبيلة المختار ومن أقربائه وإن أختلف عنه في الموالاة والنظرة والمحبة لأهل البيت(عليهم السلام) ، جمعها في عبارة موجزة ومختصرة هي:

((لله درّه أي رجل دين ومسّعر حرب ومقارع أعداء))

والفضل ما شهدت به الأعداء – كما يقول المثل .....

في رفقة الإمام علي (ع)

عند استشهاد والد المختار (أبو عبيدة) في واقعة الجسر عام(١٣هـ) كان المختار يقضي سنيه الأولى في مسقط رأسه بالطائف حيث كان لا يزال شاباً يافعاً يعيش في كنف أمه (دومة) ورفقة شباب وفتيان البلدة في محيط الطائف الجميل الذي يبعث في النفس القوة والنشاط والفروسية حيث الهواء العليل والجبال الشاهقة والسهول الفسيحة والتي تغطيها الأشجار الباسقة وأنواع الفواكه والخضروات...

ورغم الصدمة القاسية التي تلقاها الفتى باستشهاد ومصرع والده وعمه وأخيه في واقعة الجسر إلا أنه تمكن من الصبر عليها ونسيانها رغم ما تركته في شعوره وسويداء القلب من روح الثورة والأنتقام...

وبعد عودة عمه (سعد) إلى الطائف عقب انتهاء الواقعة المذكورة وبالنتيجة التي انتهت إليه ، آثر هذا العم أن ينتقل إلى المدينة المنورة ليكون قريباً وعلى تماس بالإمام علي(عليه السلام) وأهل بيته ومن تبقى من أصحاب الرسول(ص) في البلدة للارتشاف من علومهم والأخذ من سيرهم والتأدب بآدابهم والاستماع إلى أقوالهم وإرشاداتهم ..

ورافق المختار عمه في الرحيل إلى بلد الرسول ، حيث عـــاش في كنفها مع عمه طيلة فترة خلافه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (١٣ - ٣٥هـــ) عدا فترات قصيرة اضطرته ودعته لزيارة مســـقط رأسه الطائف أو سواها نسبب أو لآخر...

ويظهر أن المختار خلال أقامته بالمدينة كان قد أتصل (إضافة لاتصاله بالإمام علي(عليه السلام) وبقية أبنائه) أتصل ورافـــق محمـــد بـــن الحنفية نجل الإمام علي ودرس على يديه والذي كان ورعاً وواســـع العلم وشجاعاً لا يشق له غبار ..

ولعل هذه العلاقة الوثيقة والصلة الحميمة التي كانت بـــين المختار وأستاذه محمد بن الحنيفة قد دعت بعض الناس من خصـــومه وأنصاره إلى اتهامه بـــ (الكيســـــــــــانية) ..

وقيل أيضاً أن مرّد هذه التسمية التي نسبت إلى المختار هـــو أن (أبو عبيدة) كان قد جاء بولده المختار إلى الإمام علـــي(عليه السلام) في المدينة وهو طفل صغير للدعاء له ليكون من الأبـــرار و الصـــالحين ، فأجلسه الإمام علي فخذه وجعل يمسح على رأسه وهو يقول له : ((يـــا كيّس يا كيّس)) أي (ياذا العقل ياذا العقل) فدعي أثر هذا الوصف بالكيســـاني ....

وبعد مقتل الخليفة عثمان عام(٣٥هـــ) في المدينة وبيعـــة الإمام علي(عليه السلام) أثر ذلك بالخلافة كان المختار وعمـــه ســـعد مـــن

الأوائل الذين بايعوا الإمام ، بل كانا من النشطين والمتحمسين لهـــذه البيعة باليد واللسان . .

وبعد أن شق طلحة والزبير عصا الطاعة على الإمـــام وتمـــردا على الخليفة الشرعي وتوجها إلى البصرة للمطالبة زوراً بدم عثمـــان رفقة ام المؤمنين عائشة ..

ترك الإمام(عليه السلام) المدينة المنورة صوب البـــصرة علـــى رأس جيش كبير وضخم من أعوانه وأنصاره من الصحابة وسواهم لملاقـــاة وتدارك الخرق والموقف الجديد لهؤلاء المتمردين والخـــارجين علـــى الشريعة والقانون والنظام والعرف ..

وكان سعد بن مسعود الثقفي في طليعة هذا الجيش الذي رافق الإمام من المدينة إلى البصرة ، كما رافقه – في أقوى الاحتمـــالات – أبن أخيه المختار في هذه الرحلة الجهادية وأن لم تورد كتب التـــاريخ والسيرة أسمه صراحة أو تشير إليه من قريب أو بعيد ، رغـــم إنهـــا أشارت إلى تواجد عمه (سعد) ضمن جيش الإمـــام(ع) بكـــل صـــراحة وجلاء . . .

وبعد انتهاء واقعة الجمل بالنصر الكاسح والمؤزر الذي سجله جيش الإمام (ع) على المتمردين والخائبين ، أنتقل (سعد الثقفي) وأبن أخيه (المختار) رفقة جيش الأمام علي(عليه السلام) إلى صفين لمواجهة تمـــرد أخر قاده (معاوية) على الخلافة الشرعية ، وقد اشترك المختار وعمـــه

سعد) في الحرب الطاحنة التي نشبت هناك بين الطرفين والتي انتهت بالشكل الذي يعرفه الصغير والكبير ...

ومن ثم رافق الاثنان – المختار وعمه – الإمام علي (عليه السلام) إلى النهروان ، حيث خاضا مع جيش الإمام الحرب التي استعرت مع الخوارج بسبب تمردهم على الشرعية بحجج واهية بعيدة عن المنطق والخلق السوي ، إضافة لما قاموا به من عبث بالأمن وفساد في الأرض ضج له الناس بالشكوى والاستغاثة ...

وعند تعيين الإمام علي (عليه السلام) لسعد كوال على المدائن ذهب المختار معه إلى هناك ولم يفارقه أو يغادره إلا عند الضرورة القصوى ...

وكان المختار – كما جاء في الفصل السابق – الساعد الأيمن في إدارة الإقليم ، فضلاً عن قيامه محل عمه في إدارة الإقليم عند غيابه عنه لسبب أو لأخر...

كما وكان المختار – أو أنه قد كلف من قبل عمه – يحمل الخراج الذي كان يجتمع سنوياً في بيت مال المسلمين في المدائن وإيصاله إلى يد الإمام في الكوفة ، بتكليف من عمه لأن المختار كان موضع ثقة عمه كما كان ايضاً موضع ثقة الإمام سواء في نقل أموال المسلمين أو في سواه من الامور والاعمال..

وكل هذه قد أثرت في نفس المختار وضاعفت من ولائه وحبه العارم وتفانيه في الدفاع عن حق الأمام(عليه السلام) وأهل بيته والتضحية بالغالي والثمين في هذا السبيل -

وعند رحيل الإمام علي(عليه السلام) إلى دار البقاء عام(٤٠هـ) أثر المحاولة الآثمة التي حاكها في الظلام أبن ملجم المرادي في مسجد الكوفة لاغتياله...

كان المختار حينذاك في المدائن برفقة واليها وهو عمه(سعد الثقفي) حيث بات ينتظر ما سيؤول إليه الأمر بعد هذه الفاجعة المروعة التي ألمت واحاطت بالمسلمين ، خصوصاً وأن معاوية كان يطمع في الخلافة من دونما وجه حق ، وكان ايضاً يجمع حوله أزلامه وأعوانه للسير بهم إلى العراق - بعد أن تعذر عليه ذلك في عهد الإمام - لاجتياحه ومن ثم إخضاعه لسلطانه وحكمه الجائر المستبد...

وفي نفس الوقت كان الإمام الحسن(ع) قد استعد لمواجهة الموقف الجديد الذي نشأ بعد رحيل والده (ع) إلى دار البقاء حيث بات هو الوريث الشرعي في إدارة البلاد والعباد من دون منازع وهو الذي تقع عليه مسؤولية حفظ الأمن وسلامة الناس في عموم بلاد المسلمين...

معاوية يرتقي المسرح السياسي

نشير إلى أن سيرة معاوية ومسلسل حياته لا تخفى على كل من كان لديه معرفة وإطلاع ولو كان بسيطاً بالتاريخ الإسلامي وخصوصاً العهد الأسود منه والذي أعقب عهد الخلفاء الراشدين الذي أختتم باستشهاد الإمام علي(ع) في عام(٤٠هـ) في مسجد الكوفة على يد الشقي وناكر الجميل أبن ملجم ، أو أختتم بصلح الإمام الحسن(ع) والذي عقدّه مع معاوية (بعد أن تفرّق أنصاره) من أجل تقليم أظافر معاوية وإيقافه من الإيغال في دماء المسلمين قتلاً وسماً فضلاً عن منعه من اضطهاد جماهير المسلمين وسحق كل دعوة أو نداء منهم للانعتاق والحرية والمساواة ..

نعم لا تخفى سيرة معاوية على هؤلاء لأنها سيرة قاتمة لا مكان فيها للرحمة والعطف والمروءة ، كما لا تخفى عنهم سيرة والده (أبو سفيان)..

ولقد كان الرسول(ص) هو أول من أدرك هذه الحقيقة ونوّه بسيرة هؤلاء الملتوية حين لعن(ص) -كما جاء في تاريخ الطبري- لعن أبا سفيان ومعاوية وأخاه عندما كان الأول يركب مرة حماراً والثاني يقوده والأخير يسوقه..

لذا عدّ هؤلاء - في صفحات التاريخ - من أللعناء ، كما عدّ أبناؤهم و أولادهم بـ (أولاد اللعناء)..

وعن أبي سفيان إذا ما أردنا هنا وبعجالة أن نمرّ على شيء من سيرته قبل أن ننتقل إلى سيرة ولده معاوية حيث أن الولد هو على سر أبيه – كما يقول المثل المشهور ..

فنشير إلى عداء أبي سفيان ومواقفه المناوئه دوماً للرسول(ص) والرسالة منذ بدء هبوط هذه الرسالة والى عام الفتح ودخول الرسول(ص) إلى مكة المكرمة عام(٩هـ) ، حيث أسلم حينذاك تحت حد السيف بلسانه وأبقى قلبه على ما كان عليه في ظلمات الشرك والكفر والالحاد ...

ولقد كان قبل هذا التاريخ يجيّش الجيوش ويؤلب قريشاً وسواهم ويحرضهم على قتال النبي(ص) وبكل ما كان يملك من مال أو نشاط أو قوة..

وحتى قبل أن يسلم شفهياً بلحظات وحين شاهد جيش المسلمين القوي عن كثب وهو يدخل طرق مكة وشعابها لفتحها عام(٩هـ) قال للعباس بن عبد المطلب حينذاك :

((يا أبا الفضل لقد أصبح ملك أبن أخيك عظيماً)) ..

وحتى بعد أن أشهر أسلامة فلم يكد يخرج حديثه وكلامه عما كان يقوله ويتحدث به قبل ذلك..

ففي مجلس ضمه مع زمرة من أقربائه وأرحامه خاطبهم فيه بما كان يؤمن به ويعتقد في قرارة نفسه على مرّ الزمن وبصريح العبارة:

((تلاقفوها يا بني أمية تلقّف الكرة فو لذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار وإنما هو الملك..))..

ولئن كان حال (أبو سفيان) وموقفه ألعدائي من الرسول(ص) والرسالة كما تقدم بيانه، فان زوجته(هند بنت عتبة) أم معاوية كانت لا تقل عن زوجها في بغض وكراهة النبي(ص) والرسالة التي جاء بها من عند الله تعالى..

حيث يكفيها خسة وضعة موقفها المزري ودناءة من مصرع حمزة بن عبد المطلب في واقعة أحد عام(٣هـ) حيث راحت تبقر بطنه ثم تستخرج كبده وتصنع فيه ما لم يستطيع القلم أن يكتبه ولا العقل أن يتحمله..

ومن عبر هذا ألأب والأم أنحدر تحفة أمية معاوية وهو يحمل في قرارة نفسه كل ما في قاموس اللغة من بغض للرسول(ص) وأهل بيته وللرسالة التي جاء بها النبي(ص) من عند الله تعالى لهداية الناس وانتشالهم إلى نور الهداية والمعرفة..

وقبل أن ينشب معاوية أظفاره في جسم الدولة الإسلامية أعدّ جيشاً جراراً عقب رحيل الإمام علي(ع) لاقتحام العراق وإخضاعه لسلطته ونفوذه..

وحيث أن الإمام الحسن(ع) – والذي ورث الأمر من بعد أبيه(ع) – لم يجد حوله من الأنصار والأعوان ما يدفع بهم غائلة هذا

الجيش خصوصاً وإن معاوية قد ارشى بالأموال والمناصب والهدايا بعض قادة جيش الإمام فتركوا الإمام لوحده وانضموا إلى صفوف أعدائه عندما تأزم الموقف واضطرب الحال بين الطرفين ..

لذا أثر ألإمام الحسن(ع) هنا حفاظاً على بيضة الإسلام من أن يطمسها معاوية وعلى البقية الباقية من أنصاره وأعوانه من أن يستحقهم أو يطالبهم سيف البغي والعدوان قتلاً أو ذبحاً أو سماً ..

نعم أثر الإمام من أجل ذلك ان يعقد صلحاً معه لغرض إلقاء الحجة عليه وإرساء بعض الشروط والنقاط التي تكفل حماية الإسلام والمسلمين من جور الطاغية وبطشه..

ولم يعترض معاوية على ما أورده الإمام الحسن(ع) من نقاط أو شروط من قريب أو بعيد بل أقرّها وباركها باليد واللسان، رغم أنه كان قد صمم في قرارة نفسه ومن البداية على خداع الإمام الحسن(ع) وسحق وتجاهل كل الشروط المتفق عليها وعدم الإيفاء بأي واحدة منها مطاقاً ...

وللفائدة ندرج في أدناه بعض هذه الشروط ليقف عليها المنصفون وليروا بأم أعينهم كيف تنقّض العقود وتمزّق العهود من طرف واحد ، وإن كان هذا الأمير غير مستعبد عن معاوية وإضرابه من حثالات المجتمع وسقطانه واشراره المنبوذين والمتهالكين على السلطة ...

أن من الشروط التي تم الاتفاق عليها بين الطـرفين وعلـى

كبير من رجالات المسلمين هي:

ن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الصالحين

وأن ترجع الخلافة من بعده إلى المسلمين حيث يختارون بـإرادتهم الحرة من يرونه أصلح لها واليق لتسنمها ..

ألا يؤاخذ الذين ناصروا أباه علياً(ع) بما صنعوا ضد معاوية وألا يحرم أحداً من حقه ..

الكف وإيقاف حملة السب والشتم واللعن ضد الإمام علـي(ع) وعدم تشجيعها وأن لا يذكر (ع) إلا بخير ..

لاستمرار في دفع العطاء المقرر له ولأخيه الحسين(ع) ..

ورغم أن معاوية لم يف حتى بشرط واحد مما جاء أنفـاً ، رغم ذلك و وتمادياً في جوره وظلمه قام بإغراء زوجة الإمـام

بنت الأشعث) لتدس السم إلى الإمام الحسن(ع) في طعامه في أن يزوجها من أبنه يزيد بعد رحيل الحـسن(ع) عـن الحيـاة ...

وبهذه الصورة القاتمة انتهت قصة الأمام الحـسن(ع) مـع ة ، فبدلاً من أن يكون ألأخير عند عهده و وعـده وان يفـي روط التي أتفق عليها مع الإمام الحسن (ع) وامـضاها بكامـل عقله .

نراه يضع هذه الشروط تحت أقدامه وإمام بصر الخاص والعام ثم يعلن بأنها باطلة ولا تنفذ أبداً ، ثم يتجاوز على ذلك ليتولى مهمة التخلص من الإمام (ع) بدس السم إليه عن طريق زوجته (جعدة) ..

ولم يكتف معاوية بكل هذه ، بل تجاوزها إلى أنصار الإمام علي(ع) وأعوانه وسواهم قتلاً وتصفية بالسيف أو بالسم ..

وممن طالة هذه القتل هو(حجر بن عدي الكندي ، عمرو بن الحمق الخزاعي ، رشيد الهجري ، مالك الاشتر النخعي ، سعد بن أبي وقاص........... وغيرهم) ..

وحتى شاع وذاع بين الناس في عهده - مقولة ساخرة باتت تتردد على كل لسان وحفظها الخاص والعام تقول:

((إن لله جنوداً من عسل)) ..

وفي مثل هذه الأجواء المشحونة ببغض أهل البيت وأنصارهم ومواليهم وتحكيم السيف والسم وكل أساليب البطش والإرهاب في الناس عوضاً عن الإقناع والمفاهمة والحوار الهادئ عاش المختار بعد أن تجاوز العقد الرابع من عمره بعام واحد ..

وطبيعي أنه كان ساخطاً حتى الأذقان على معاوية وسياسته القمعية والارهابية كسخط أهل الكوفة وكل الخيرين والمنصفين والاحرار في العالم الإسلامي عليه ..

إلا أنه أثر التستر والخفاء والانتظار وعدم كشف أوراقه لحين حلول الفرصة المناسبة لإعلان البيان الأول للثـورة علـى الظلـم والعسف وكيل الصاع صاعين لكل الظالمين والطغاة من حكام وولاة الدولة الأموية ..

لقد كان للمختار في تلك الفترة الحرجة من حياته — ضـيعة تقع في أطراف الكوفة وكان يستثمرها في الزراعة لتوفر له أسـباب العيش الكريم والرزق الحلال الذي يليق بمكانته الاجتماعية بين الناس . حيث كان يقضي فيها بعض وقته حين يكون خارج الكوفـة أو بعيداً عن إرهاب الحكم الأموي..

كما وكان له عدد قليل من الموالي(الرقيق) يتولون خدمته وتمشية بعض شؤونه فضلاً عن توليهم لزراعة أرض هذه الضيعة ..

وكان للمختار أيضاً دار واسعة في قلب مدينة الكوفة ، وكانت هذه الدار تجاور أو بالقرب من المسجد الجامع في الكوفة ، وهـي نفـس الدار التي حط بها مسلم بن عقيل(٦) سفير الحسين(ع) إلى أهل الكوفة عند قدومه إليها في أواخـر عام(٦٠هـ) ، كما سنرى تفصيلة من لفصول التالية ..

(٦) لقد تم الاشارة إلى سيرة حياة مسلم بن عقيل كاملة في كتابنا (مسلم بن عقيل — بريـق النبـوة في ظلمات الكوفة). والذي طبع لأكثر من مرة ...

ولقد كانت للمختار شخصية محترمة ومرموقة لهـا في قلـوب عارفيه من أهل الكوفة وسواها منزلة ومكانة خاصة لا سيما وأنه كان لا يفتأ – وبمنتهى السرية – عن ذكر ونشر فضائل وأفكار وكرامات أهل البيت (ع) في البلدة والتي تحسب في أغلبها موالية لهذا البيـت الكريم ، رغم إنها تضم أيضاً أحزاباً وانتمـاءات ونزعـات مختلفـة أخرى..

كما وكان المختار ينتظر إعلان الثورة على أركان النظام القائم على أحر من الجمر وذلك ليؤدي دوره الكامل وتكليفـه الـشرعي بدعم هذه الثورة وإسنادها عند إذاعة وإعـلان بيانهـا الأول علـى الجماهير..

وفي شهر رجب من عام(٦٠هـ) هلك معاوية ليلتحق بركب الطغاة والبغاة الذين عفا عليهم الزمن وطمس آثارهم وذكراهم ، ولاحت في الأفق بهلاكه بارقة أمل وبصيص ملتهب في الثورة والانتفاضة على السلطة ، خصوصاً حين تسلم نجله المتهور يزيد كرسـي الخلافـة في الشام من دون علم أو ثقافة أو قدرة أو قابلية ، ومن دون موافقة أو مباركة أو رضاء أحد من المسلمين هنا وهناك على ذلك – وهكـذا بات لكل حادث حديث..

إرهاصات الانتفاضة

في ١٥ رجب من عام(٦٠هـ) هلك معاوية وقام بالأمر من بعده ولده يزيد من دون رضاء المسلمين واستشارهم ، فتحولت الخلافة من اسلامية شورية إلى ملك عضوض يرثه الأبناء من الآباء وكسروية كلما مات كسرى قام أخر مكانه..

وكانت مسرحية نصب يزيد ولياً للعهد عام(٥٦هـ) في الشام هي من محدثات أعمال معاوية وبدعة أحدثها في أسوء وأفظع مهزلة عرفها التاريخ في اختيار ولي العهد[٧]..

وبنصب معاوية ليزيد ولياً للعهد يكون بذلك قد تجاهل واستبعد الكثير من الصحابة والتابعين في هذا القطر أو ذاك والذين كانوا أهلا لإشغال هذه الوظيفة وتحمّل مسؤوليتها الشرعية كاملة.

لقد شعر المسلمون بالغضب والدهشة لتسلم يزيد لشؤون الخلافة لأنه شاب فاسق يشرب الخمر ويفعل المحرمات ويقضي جل وقته في اللعب مع قروده و كلابه ولا يعرف عن شؤون الحكم والسلطة شيئاً ..

ولقد رأى رجالات المسلمين إن مبايعة يزيد هو أمر مخالف للشريعة والعقيدة لذا فقد امتنعوا عن مبايعته على الرغم من أوامر

---

(٧)- ينقل عن الحسن البصري الصوفي المعروف قوله ((أفسد أمر هذه الامة اثنان : عمر بن العاص في التحكيم و المغيرة بن شعبة في البيعة ليزيد))..

وتعليمات يزيد المشددة إلى ولآته في الإقليم بضرب عنق كل من يتخلّف عن مبايعته وإرسال رأسه من ثم إليه في الشام..

ولقد كان الحسين بن على(ع) ممن أمتنع عن مبايعة يزيد حين طلب منه ذلك والي يزيد في المدينة وهو (الوليد بن عتبة بن أبي سفيان)..

وتحاشياً لإجراءات السلطة القاسية والقمعية والعنيفة في المدينة إزاء كل من يختلف عن هذه البيعة ، أضطر الحسين(ع) وسواه لمغادرة البلدة تلقاء مكة المكرمة لعل الله تعالى يجعل لهم من أمرهم مخرجاً..

أما أهل الكوفة والتي تغلب عليها النزعة العلوية فكانوا من سكان الولايات والأقاليم الإسلامية الأشد بغضاً وعداءً للحاكم الجديد الذي تربّع على عرش السلطة في الشام..

ولقد تمنى الناس في هذه البلدة أو سواها من المدن أن يكون الإمام الحسين (ع) خليفة للمسلمين عوضاً عن الحاكم الجديد الذي جاء من دون وجه حق إلى عالم الضوء..

فهو – أي الحسين – سبط الرسول(ص) ورجل صالح معروف بالتقوى والصلاح والايمان والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين حيث لا ينافسه في هذه الخصال الحميدة والصفات الجليلة أي رجل أخر في عموم العالم الإسلامي..

وفي سبيل تحقيق رغبتهم وأملهم هـذا – وخـصوصاً بعـد ...عهم لرحيل الإمام الحسين من المدينة إلى مكة المكرمة عقب هلاك ...اوية وتسلم أبنه يزيد للسلطة مكانه ....

فقد بعث الآلاف المؤلفة من أهالي الكوفة مئات الرسائل فضلاً عن إرسال الوفود إلى الحسين(ع) في مكة المكرمة يدعوه فيهـا للقـدوم إليهم لينقذهم من الجور والظلم الذي ضرب باطنابه في ربوع العـالم الإسلامي واحاط بهم احاطة السوار بالمعصم ...

ولقد أثر الحسين(ع) هنا وقبل أن ينطلق موكبه السامي باتجاه العراق لتلبية النداءات الحارة الموجهة من قبلهم ، أن يسبقه إلى هناك ابن عمه وموضع سره مسلم بن عقيل لغرض أن يشعره عن حقيقـة ...الوضع والأمر في الكوفة ، فضلاً عن أعلامه بمدى صحة الرسائل التي جاءته والتي تطلب وتلّح عليه في التوجه لطرفهم لإيقاف نزيف الـدم ...مسيرة الظلم ووضع حد للعسف والجور الذي يعيشونه [٨]....

لقد أرسل الحسين (ع) أبن عمه مسلم بن عقيل سفيراً عنـه إلى أهل الكوفة لإنجاز المهمة الأنفة الذكر وأوصاه بأنه حين وصـوله الكوفة أن ينزل ضيفاً كريماً عند أوثق أهلها ...

---

٨ – تم للمؤلف طبع كتاب يتناول سيرة وحياة مسلم بأسم (مسلم بن عقيـل – بريـق النبـوة في ...ظلمات الكوفة)..

لقد كان المختار من أوثق أهل الكوفة ، لذا فقد حلّ مسلم ضيفاً مكرما في داره هناك والقريبة من المسجد الجامع ..

ورغم أن الكوفة كانت تضم الكثير من القادة والموالين والمخلصين لأهل البيت ، إلا أن المختار يظل هو في مقدمتهم وطليعتهم ، وقد أثبتت الحوادث اللاحقة صحة ذلك..

هذا وحين سمع أهل الكوفة بقدوم مسلم بن عقيل إليها وحلوله ضيفاً مكرماً في دار المختار القريب من مسجد الجامع ، ازدحم الناس حول هذه الدار لرؤية مسلم سفير الحسين(ع) إليهم من أجل مواجهته ومبايعته على أقامة حكم الله في الأرض ودفع غائلة الظلم والظالمين عن نفوسهم ...

وبدوره تولى مسلم قراءة رسالة الحسين(ع) إلى أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة والتي جاء فيها:

((بسم الله الرحمن الرحيم))

من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين ..

أما بعد:

فان هانئاً وسعيداً قدماً علي بكتبكم وكانا أخر من قدما عليّ من رسلكم وقد فهمت كل الذي قصصتم وذكرتم ومقالة جلكم أنه ليس علينا أمام غيرك فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق ، وقد بعثت اليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل

وأمرته أن يكتب إلى بحالكم وأمركم ، فان كتب أنه قد جمع ملئكم وذو الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً أن شاء الله ..

فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله ..)) .

لقد شعر المسلمون في الكوفة وهم يستمعون إلى رسالة الحسين(ع) الخطية إليهم بالأمل والرجاء في بعث الحكومة الشرعية وإقامة حكم الله في الأرض..

لذا فقد نهض المختار الثقفي من بين صفوف جماهير الكوفة المحتشدة في داره وإمام مسلم وبايع سفير الحسين مسلم على الموت والكفاح من أجل أقامة الحكومة ألإسلامية والثورة على كل الظالمين حيثما وجدوا ونصرة المستضعفين والمقهورين في كل مكان..

نعم كان المختار الثقفي أول من بايع مسلم من جماهير الكوفة المحتشدة عنده ثم تبعه على الأثر الآلاف المؤلفة من الناس في البيعة على الفداء والتضحية للإطاحة بكل الطغاة والظالمين حتى بلغ عددهم (١٨) إلف رجل..

وهكذا أصبحت دار المختار في الكوفة حيث يقيم فيها مسلم مقراً لقيادة الثورة يقصده أبناء الكوفة كل يوم للاستماع إلى كتاب الحسين(عليه السلام) الموجه أليهم فضلاً عن الوقوف والاستماع هدي

وتعليمات وإرشادات مسلم وكلما أستجدّ من أنباء وإخبار حول الموقف ، وهم – أبناء الكوفة – يبكون فرحين ويعدونه بالنصرة والفداء حتى الرمق الأخير وبتقديم كل غال وثمين على هذا السبيل –

هذا وإن الأمور لم تجرِ في الكوفة وفقاً لما خطط لها مسلم أو المختار أو كبار مساعديه ، حيث نقل جمع من الموالين للنظام الفاشي القائم ومن العيون والأرصاد الذين بثهم هذا النظام في كل زاوية لترصدّ حركات الناس وإحصاء أنفاسهم ، نقل هؤلاء إلى رأس النظام في دمشق يزيد بن معاوية وعلى وجه السرعة واقع الحال في الكوفة خصوصاً بعد قدوم سفير الحسين(عليه السلام) مسلم إليها وتجمهر الناس حوله وبات حديث التغيير والثورة على كل لسان ، فضلاً عن تساهل واليه في الكوفة { النعمان بن بشير الأنصاري } وغض نظره عن كل هذه الأمور وعدم تحريكه لساكن لإيقاف هذا النشاط عند حده . .

وحين وصلت هذه التقارير إلى يزيد في الشام طلب مستشاره الخاص {سرجون}- وهو رجل مسيحي حاقد على الإسلام والمسلمين – للتشاور معه إزاء وضع الكوفة الجديد وسبيل إصلاحه ووضع حد لكل نشاط مُعادٍ للسلطة . .

وكان رأي هذا المستشار وجوابه هو تنحية الوالي الحالي للكوفة النعمان بسبب سكوته وتهاونه إزاء مسلم حتى استقام أمره وقوى ساعده وكثر أنصاره ، وإلحاق ولاية الكوفة بالبصرة ليصبح

والي البصرة الراهن وهو{ عبيد الله بن زياد} حاكماً علـــى الكوفــة أيضاً ومنحه كل الصلاحيات الكفيلة بإعادة الأمن والنظام في البلـــدة والضرب بيد من حديد على كل أعداء النظام وخصومه..

ولقد وافق يزيد على كل هذه المقترحات وطلب أشعار أبـــن زياد بها على وجه السرعة، مع ضرورة الانتقال فوراً إلى الكوفة حتى يمكن تدارك الأمر قبل أن ينفجر ويخـــرج عـــن نطـــاق الســـيطرة والاحتواء..

وبالفعل حزم عبيد الله بن زياد أمتعته وأستعد مع بعض أنصاره ومواليه للذهاب فوراً إلى الكوفة لتلافي الموقف الجديد فيها بعـــد أن حل مسلم بين ظهرانيها وأخذ الآلاف المؤلفة من ســـكانها يبايعونـــه ويعدونه بالفداء والنصرة...

في غيابة السجن

في خضم التقلبات التي أحاطت بالكوفة بعد ألأوامر العاجلة التي أصدرها رأس النظام في دمشق بعزل الوالي الراهن واستبداله بآخر محله ، وما يتبع ذلك عادة في مثل هذه الحالة من تخلخل في حبل الأمن وتبلبل في الآراء والمواقف والولاءات . .

كانت هناك في الكوفة فئات وجماعات مختلفة من أنصار وموالي أهل البيت (ع) ومنها تلك التي يقودها المختار الثقفي تعمل خلف الستار أو أمامه في تنظيم أنفسها. انتظاراً لحلول الفرصة المناسبة للخروج والالتحام ومن ثم الانقضاض على قصر الأمارة [(٩)] لإسقاط وتصفية رموز حكومة النعمان بن بشير الأنصاري وإقامة حكومة

(٩)- قصر الامارة شيد في الكوفة بعد تمصيرها عام (١٧هـ) في عهد القائد سعد بن ابي وقاص ، وكان يعرف بقصر سعد وبقصر الامارة ، ثم اصبح داراً خاصة للعمال والولاة وكان سوره يرتفع إلى (٢٠) م ، وقد احكم بناؤه حتى بات من المتعذر اقتحامه والسيطرة عليه بسهولة عند غلق ابوابه . .

وعند دخول عبد الملك بن مروان إليه بعد انتصاره على جيش مصعب بن الزبير عام (٧١هـ) وضع رأس مصعب بين يديه ، وحينئذٍ تقدم احد الجالسين وهو (عبيد بن عمير) وقال لعبد الملك :(ايها الخليفة كنت جالساً هنا ورأيت رأس الحسين (عليه السلام) بين يدي عبيد الله بن زياد ورأيت في هذا المكان ايضاً رأس ابن زياد بين يدي المختار ، ورأيت رأس المختار هنا بين يدي مصعب بن الزبير ، وفي هذا اليوم أرى في نفس المكان رأس مصعب امامك ، وأدعو الله أن لايريني ذلك اليوم الذي أرى فيه هنا رأسك بين يدي شخص آخر ، فتشائم عبد الملك من هذا الكلام فقام من كرسيه غاضباً وأصدر في الوقت أمراً بتهديم القصر وتسويته بالارض ...

...لل والشريعة مكانها ليتسنى القضاء على الظلم والظالمين وإعادة الحق إلى نصابه.

إلا أن مجيء (عبيد الله بن زياد) الوالي الجديد على الكوفة بصورة مفاجئة وغير متوقعة قد فوّت الفرصة على تلك الفئات والجماعات وأحبط أية محاولة من قبلها لتنفيذ ما أنفقت عليه ..

خصوصاً وإن الوالي الجديد ومنذ الساعات الأولى لاستلامه زمام السلطة في الكوفة قد أخذ في بث العيون والارصاد في أرجاء البلدة لرصد تحركات الناس وإحصاء أنفاسهم، فضلاً عن استعماله لكل وسائل البطش والتنكيل بحق كل من يرفع صوته أو يطالب بالحق والحرية وأنصاف المظلومين والانتصار لحق أهل البيت(ع)..

كما قام هذا الطاغية الصغير بملء السجون والمعتقلات بالكثير من هؤلاء أو ممن يشك في أمره إضافة لإصداره أمراً مشدداً بإلقاء القبض على مسلم ومن يحميه في داره وعلى عدد كبير من كبار مساعديه وأعوانه وانصاره ...

ولم يكتف هذا الحاكم الجديد بكل ذلك بل أقام على البيوت التي يشك في ولاء أهلها للسلطة القائمة رقابة مشدّدة حتى لا يخرج منها ما يسوؤه، كما أخذ يبث في البلدة انباء وإشاعات وأكاذيب تشير إلى قرب وصول جيش الشام الى الكوفة والذي سيأخذ على عاتقه تهديم البلدة على رؤوس أهلها ولايترك لهم باقية ..

وكل هذه الممارسات قد أخذت وطبقت فمن أجل بث الرعب والفزع في قلوب سكان البلدة وإحباط معنوياقم حتى لا يصدر منهم شي يهدد استقرار النظام وأمنه ٠ ٠

وحين خرج مسلم بن عقيل – بعد اكتشاف أقامته في دار هاني – لمحاربة ومنازلة قوات السلطة وازلامها وليتغذى بهم قبل ان يتعشوا به ، وكان المختار في ضيعته التي تقع خارج الكوفة وتدعى (لقفــاء) يجمع ويحشّد المؤيدين والمناصرين للثورة التي أوشكت ساعة الـــصفر على ألاقتراب وباتت طلائعها على ألابواب ٠

والمؤسف هنا أن خروج مسلم كان قبل الموعد المتفق عليـــه سابقاً بين أنصاره وأعوانه لإعلان الثورة والانتفاضة علـــى الـــسلطة القائمة [١٠]

١٠ – ليست هذه هي المرة الاولى التي يقدّم فيها تاريخ وموعد الثورة عن الوقت المتفق عليه سابقاً – أي ساعة الصفر – حيث أن خروج المختار وابراهيم بن مالك الاشتر إلى ميدان المنازلـــة واعلانهمـــا للثورة ضد السلطة في الكوفة – بعد ٦ سنوات من ثورة مسلم – كانت ايضاً قبل الموعد المقرر لها ، وبالضبط قبل يومين فقط من ساعة الصفر ، وهنا أدى تقدمها على وقتها المحدد إلى نجاحها والسيطرة على الوضع واسقاط النظام القائم في الكوفة ..

والعجيب هنا أن ثورة زيد بن علي في نفس مدينة الكوفة وفي عام (١٢٢هـــ) ضد النظام الاموي القائم ورئيسه هشام بن عبد الملك هي الاخرى قد سبقت موعدها المتفق عليه بعـــدة ايـــام للظروف الطارئة التي احاطت بالوضع حينئذ ، وادى ذلك إلى فشلها وسحقها وتصفية قائدها اسوة بثورة مسلم التي سبقتها بأكثر من (٦٠) سنة ..

وطبيعي أن مردّ هذا التقديم في الثورات الثلاثة الآنفة لم يكن مقصوداً من البداية وانما تم بأسباب آنية عديدة تبرر ذلك ، كانكشافها قبل الموعد المحدد المتفق عليه او حدوث وقائع وامور سيؤدي عدم

علما بان الذي حداه لاستباق الوقت هو إلقاء القبض على هاني بن عروة وضرب ابن زياد له بالسوط ومن ثم إيداعه السجن لإيوائه مسلم في داره وإنه في سبيل محاصرته وإلقاء القبض عليه تمهيداً لتصفيته مع هاني وكل المناصرين والمدافعين عنهما ..

وحين وصل الخبر الخاص بخروج مسلم من دار هاني والتحامه مع قوات السلطة إلى إسماع المختار ، أستغرب الأخير من ذلك لأنه لم يكن نفس الموعد المتفق عليه سابقا حول الخروج والثورة إلا أنه برّره لأسباب طارئة لم تكن في الحسبان استدعت تجاوز الوقت المقرّر بين الجميع ..

وكان وصول الخبر إلى المختار عند الظهر ، لذا جمع على وجه السرعة والعجلة عدداً من إفراد قبيلته ومواليه وجاء على رأسهم إلى الكوفة ليكونوا دعماً وإسنادا لمسلم في تصديه لقوات عبيد الله بن زياد وأزلامه ...

ولم يعلم المختار أو يسمع عند خروجه من ضيعتة وتوجهه إلى الكوفة بتخاذل أهل الكوفة عن مسلم بن عقيل وتسليمه للسيوف الغاشمة سائغة وهم يتفرجّون عليه ..

... بالوقت إلى فشلها وعدم نجاحها ، أو أن أوكار ومراكز تجمع أنصارها وأعوانها قد عرفت منافذها عرضة للقبض عليهم وتوقيفهم مما يتطلب هنا التعجيل في الثورة أو تأجيلها لفترة قد ... تأجيلها أو تقدم وقت تنفيذها لأحد الأسباب الآنفة ..

حيث أن تصوّره وظنه هو أن مجيء أبن زياد إلى الكوفة لم تؤثر في قليل أو كثير في حماسة جماهير الكوفة وأصراهم على البيعة لمسلم – والتي بلغ عدد من أداها لمسلم عند مجيئه أكثر من (١٨) إلف نسمة – وأن هذه الجماهير هي على أهبة الاستعداد وسيوف مشرعة لإعلان الثورة والنضال تحت لواء قائدها حتى ألإطاحة بـأخر قـلاع الظلم والجور والطغيان في البلاد ..

نعم أقبل المختار إلى الكوفة على رأس جمع من أنصاره ومواليـه وهم مسلحون بكل وسائل الحرب لخوض المعركة ضد النظام القـائم بعد أن أ ودع رايته الخضراء بيد أحد أنصاره الشجعان وهو (عبيـد الله بن الحارث) .

لقد دخل المختار البلدة ولم يكن يعلم أن موضوع مسلم قـد أنتهي وإن أبن زياد قد الحق مسلم بهاني بن عروة على طريق الشهادة والفداء والتضحية ..

وحين انتهى السير والمطاف بالمختار عند أحد أبواب مسجد الكوفة ويدعى (باب الفيل) وكانت الوقت بعد المغرب ، شاهد أ مامه وعلى الطبيعة عكس ما علق في فكره وذهنه عن حالة البلدة وأهلـها وعرف كل شي عن نهضة مسلم وهاني وأنصارهما –

كما عرف كيف أن الوالي الجديد قـد بـث ألإرهـاب في طرقات الكوفة ونشر العيون والأرصاد في كل زاويـة مـن البلـدة

ـطياد وتصفية الموالين لأهل البيت ، كما وفتح أبواب سجونه على ـصراعيها لاستقبال كل المناوئين للسلطة وأعدائها وكل مـن يرفـع ـلاح بوجهها أو يقف في طريقها من قريب او بعيد ...

لذا فقد غدا المختار في حيرة من أمـره حـين وصـوله إلى ـتاب باب الفيل هل يحارب وينازل ازلام السلطة ويضحي بالعـدد المحدود من أنصاره وأعوانه الذين جاءوا معه ، أم يتخلى عن القتـال ويدّخر هذه القوة وبأسها لوقت أخر ومناسب ليكيل للعدو الـصاع صاعين ..

وظل المختار حائراً لفترة قصيرة – ومتعجباً ومـستغرباً – ن انتقال الموقف والولاء والتأييد وبهذه السرعة ، والذي كان لصالح ـسلم والى جانبه ينتقل إلى خصومه وأعدائه وفي فترة قصيرة ..

وهكذا ظل المختار حائراً في أمره كيف يتصرف علـى ضـوء المستجدات الجديدة والتغيرات القائمة .. وفي هذه اللحظة جاءه رجل من المحسوبين على ازلام السلطة والنظام ويدعى (هـاني الـوداعي) ـقول له بصريح العبارة:

((ما وقوفك ها هنا لا أنت مع الناس ولا أنت في بيتك آمن)) ..

فأجابه المختار والألم يعصر قلبه:(أصبح رأيي مرتجاً لعظم خطيئتكم).

ثم طلب هذا الرجل من المختار أن يدخل المسجد ويجلس تحـت ـايه (عمرو بن حريث).

وسبق لأبن زياد أن عقّد لـ (عمرو بن حريث) راية وطلب منه الجلوس في مسجد الكوفة بعد أن أمرّه على الناس..

وذهب (هاني ألوداعي) إلى (عمرو بن حريث) وأشعره بموضوع المختار، فما كان من الأخير إلا أن يرسل موفداً من عنده إلى المختار ليخبره بأن (لا يجعل على نفسه سبيلاً)،

ووعد هذا الموفد المختار بأن مجيئه وجلوسه تحت راية {عمرو}هو أمان له بقدر تعلق الأمر به، حيث أنه في حاله طرق خبره أسماع أبن زياد فان (عمرو) سيشهد عنده ببراءته كما وسيشفع له عند أبن زياد أحسن الشفاعة حتى لا يصيبه منه مكروه..

وبالفعل أستحسن المختار الفكرة بعد أن سدّت بوجهه كل السبل فجاء هو ومن كان معه إلى المسجد وجلس الجميع تحت راية (عمرو بن حريث) حتى الصباح..

وذهب أحد أذناب النظام إلى (أبن زياد) ليروي له قصة المختار كاملة ومنذ دخوله الكوفة إلى وقت دخوله المسجد وجلوسه تحت راية (عمرو).

وحين طلب (أبن زياد) في اليوم التالي من الناس بالمجيء إلى قصر الأمارة والمثول أمامه،دخل المختار مع من دخل على (أبن زياد) وهو لا يعلم ما سيحدث بعد ذلك..

وعندما مثل المختار أمام أبن زياد بادره الأخير بالقول:

((أنت المقبل في الجموع لتنصر أبن عقيل وتتولى أبا تراب وولده))...

فردّ عليه المختار بالقول :

((أما علي وأولاده فأني أحبهم لمحبة رسول الله وأما نصرتي لمسلم فلم أفعل ولكني أقبلت وقعدت تحت راية (عمرو بن حريث)..

وهنا تدّخل(عمرو بن حريث) وشهد لـه بـالبراءة وعـدم اشتراكه في أي جهد عسكري ضد السلطة ..

ولكن (أبن زياد) صمّ أذانه عن شهادة (أبن حريث) حـتى لا يخلي حال سبيله · بل عمد إلى سوطه وأخذ يضرب به وجه المختـار ضرباً مبرحاً وموجعاً حتى أدماه ، كما أصاب السوط أحدى عينيـه فشترها ..

هذا ولولا شهادة (أبن حريث) والتي خفّفـت مـن غلـواء غضب أبن زياد واستيائه لأمر بضرب عنقه فوراً ، ولكن اكتفـى (أبن زياد) بوضع المختار وأيداعه السجن الواقع في قصر الآمارة..

وعند دخول المختار إلى سجن أبن زياد في قصـر الأمـارة – والذي مكث فيه إلى ما بعد شهادة الحسين(عليه السلام) في كربلاء ، وجـد أمامه في داخل السجن أحد أصحاب ألإمام علي(عليه السلام) وهو (ميـثم ألتمار) والذي كان رجلاً صالحاً وورعـاً وقـد صـاحب ألإمـام علي (عليه السلام) طويلاً حيث حفظ وتعلّم من الأمام خلال مصاحبته لـه الكثير من علومه وأفكاره وأعماله..

ومرة قال المختار لميثم في داخل زنزانات السجن :

((أن هذا الظالم أبن زياد سيقتلنا بعد ما قتل أبن بنت رسول الله)) ..

وهنا إجابة ميثم بالقول:

((لقد أخبرني حبيبي علي أني سأقتل وأصلب على جذع نخلة ، أما أنت فستخرج من السجن وستقتل هذا الطاغية وتطأ برجلك على وجهه[11])) ..

ولبث المختار في السجن لفترة طويلة ، وهو ينتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الموعود الذي سيغادر فيه أبواب السجن ليبدأ بعده للإعداد من جديد للثورة على الطغاة والظالمين ، فضلاً عن تصفية الطاغية (أبن زياد) وسحق رأسه برجله وفقاً للرواية التي سمعها في السجن من ميثم ألتمار عن الأمام علي(عليه السلام) ..

لقد كان المختار – كما قلنا – في ضيعة خارج الكوفة حين أستشهد مسلم وهاني بن عروة لأن خروجهما كان قبل الموعد المتفق عليه بين الجميع ، بينما كان في السجن حينما أستشهد الحسين(عليه السلام) مع أهل بيته وأصحابه في أرض الطفوف بكربلاء في العاشر من محرم عام (٦١هـ) .

وبهذه المناسبة نشير إلى أنه حين وصول رأس الحسين(عليه السلام) إلى الكوفة رفقة سبايا آل محمد ، طلب (أبن زياد) من حرسه إحضار

١١– المختار الثقفي – كمال السيد ..

المختار أمامه من السجن لتحطيم معنوياته وحين مثوله أمام (أبن زياد) وكان مقيداً بالحبال قال له:

((يا مختار أنت من حماة ومحبي الحسين وسأريك رأس من تحبه))، ثم رفع الغطاء عن الرأس الشريف فشاهده المختار عن كثب وحينذاك صاح برفيع صوت : ((آه))[١٢] ثم حاول تمزيق وقطع قيوده والهجوم على (أبن زياد) إلا أن الحرس مسكوه بقوة وأعادوه إلى السجن –

وقيل هنا إن المختار منذ ذلك اليوم فكّر بالثورة والاقتصاص من كل قتلة أولاد الأنبياء والذين باتوا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويغتصبون حقوق الناس[١٣] ويعيثون في الأرض فساداً ، بينما كان قبل ذلك اليوم يدعو للثورة من أجل تغيير النظام وإرجاعه إلى أصحابه الشرعيين وهم أهل بيت النبوة ليعم العدل وألا نصاف والمساواة في ربوع العالم الإسلامي ..

كما وقيل هنا أيضا إن المختار حين اخلي سبيله من السجن اقسم بالله العظيم أن يأخذ بثأر دم الحسين(عليه السلام) من معاوية ويزيد وكل من شارك في سفك هذا الدم الطاهر الزكي ، مهما كانت مكانتهم ومنزلتهم وسواء أبعدوا أم قربوا ..

١٢– المختار الثقفي – كمال السيد ..

١٣– المختار الثقفي – كمال السيد ..

هذا – ولو كان لي هنا تعليق على ما تقدم – فأقول بـــان المختار لو كان على علم بموعد خروج مسلم على زمـــرة النظـــام في الكوفة لكان من الأوائل الذين نصروه ولكان من الشهداء بين يـــدي مسلم لو أن الله تعالى كتب له الشهادة . .

كما أنه (المختار) كان ضمن شهداء كربلاء في يـــوم ألطـــف الذين ضحوا بأرواحهم رخيصة بين يدي مولاهم الحـــسن (عليه السلام) في يوم ألطف ، لو أنه كان طليقاً وحراً في الحركة والنصرة . .

ولكن يظهر أن الله سبحانه قد اثره وأدخره ومد في عمره من أجل أداء مهمة لاحقة أخرى لها ارتباط أو أنها تتمة للواقعتين الـــسابقتين ، وهي الانتقام والثأر بعنف وقسوة من كل من كانت له يد أو مشاركة في مصرع مسلم والحسين(عليه السلام) من أهل الكوفة أو من سواهم ...

أما عن الطريقة التي أتبعها المختار لإطلاق سراحه من الـــسجن ليتمكن بعدها من ممارسة نشاطه السياسي والعسكري وألا علامـــي بكل حرية ، فقد هداه فكره لأن يكتب إلى صهره (عبد الله بن عمر) وهو زوج أخته (صفية) أو يكتب إلى أخته مباشرة (وهو ما حـــصل) لغرض تحريض زوجها عبد الله على الكتابة إلى رئيس النظام الفاشي في دمشق لإخلاء سبيله من السجن ...

وبالفعل فقد كتب المختار إلى أخته بتفاصيل موضوعه وطلب منها مفاتحة زوجها حوله ، وقامت أخته بدورها بأشعار زوجها بواقع حال

في السجن في الكوفة وضرورة مفاتحة رأس النظام في دمشق ليوعز لواليه على الكوفة لإخلاء سبيله من السجن .

واستجاب (أبن عمر) لمناشدة زوجته في الحال وكتب إلى يزيد رسالة يقول فيها:

((أما بعد فان عبيد الله حبس المختار من دون وجه حق ، وهو صهري ، وأن أخته تبكي عليه ليلاً ونهاراً مما جعلت حياتي جحيماً ، وانا أحب أن يعافى ويصلح من حاله ، فان رأيت - رحمنا الله وإياك - أن تكتب إلى أبن زياد فتأمره بتخليته والسلام)) ..

وبالنظر لمكانة أبن عمر وسمعته الطيبة والجيدة عند الحكام وجماهير المسلمين ، فقد كتب يزيد في الحال إلى (أبن زياد) واليه على الكوفة يقول له :

((إما بعد فخل سبيل المختار حين تنظر في كتابي هذا وليكن سلوكك معه جيداً قدر الأمكان)) .

وحين وصول الكتاب إلى (أبن زياد) أستدعي المختار من سجنه لغرض أطلاق سراحه ، بعد إن كان مصمماً على تصفيته في السجن ليلتحق بركب مسلم وهاني والحسين والعباس(عليه السلام) ..

نعم استدعاه أمامه ثم هدده بالقول قبل أطلاق سراحه بقوله :

((قد أمهلتك ثلاثاً فقط فان أدركتك في الكوفة بعدها قتلتك)) .

وقبل انصرام الأيام الثلاثة التي حدّدها له (أبن زياد) غـادر المختار الكوفة صوب الحجاز ، ربما لمواجهة أبن الزبير في مكة لا سيما بعد أن ذاع أسمه هنا وهناك . أو لزيارة أهله وقبيلته في مدينة الطائف أو الذهاب إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول(ص) ومواجهة أختـه وزوجها ليشكرهما على أطلاق سراحه . .

وعلي طريق الحجاز وفي محطة صحراوية تدعى (واقصة) التقـى المختار فيها برجل يدعى (أبن العرق) وهو مولى لقبيلته ثقيف ، وحين سلّم الرجل على المختار قال له :

((مالي أرى عينيك على هذا الحال)) . .

فاجأبه المختار بالقول :

((لقد فعل بي ذلك أبن الزانية أي (أبن زياد) قتلني الله أن لم أقطع أنا مله وأعضاءه أرباً أرباً ، ولأقتلن بالحسين عدد الذين قتلـوا يحيى بن زكريا وهم سبعون إلف)) . .

فتعجب الرجل من مقولة المختار هذه لتعذر واستحالة تنفيذها حينذاك بسهولة ولكن هذا العجب أصبح حقيقة وواقعاً بعد سنوات عدة من هذه المحادثة . .

واستمر المختار في سيره إلى الحجاز حيث أثر أن تكون المدينة المنورة أول مراحله ، وفي المدينة تقدم المختار بالشكر والعرفان لأخته صـفية وزوجها عبد الله بن عمر لجهودهما في أطلاق سراحه . ومن المدينـة

توجه إلى مكة المكرمة حيث وجد أمامه أبن الزبير والذي كان قد أعلن نفسه خليفة للمسلمين وقد بايعه الناس هناك حيث كان منهم من يحبوه فبايعوه عن طيب خاطر كما وكان منهم من يكره ألأمويين فبايعوه عداء لهؤلاء الارجاس ..

ولقد أخذ أبن الزبير في إرسال الولاة والعمال إلى الأقاليم التي خضعت لهيمنته وخرجت عن طوق الأمويين وحكمهم الدموي الجائر الذي جاء على الأخضر واليابس ..

وهكذا نرى أن المختار كان في حله وترحاله ينوي عمل شيّ مهم ، وهو أن أجبر وارغم على ترك كل شيّ فانه لن يترك شيئاً واحداً وواحداً فقط وهو الطلب بدماء شهداء كربلاء ..

حيث أن هذه الدماء الزكية قد أخذت عليه كل تفكيره ووقته وارتبطت بمسلسل حياته ارتباطاً لا انفصام لها ، حتى بات الحال أنه لا يذكر المختار هنا اوهناك إلا وترد إلى الذاكرة دماء شهداء ألطف ، كما ولا ترد دماء هؤلاء الشهداء الطاهرة عند هذا أو ذاك إلا ويأتي اسم المختار في أثرها مباشرة ..

وهذا وسام ونوط كريم وشريف قد طرّز به صدر المختار بجدارة واستحقاق وأن تصاغرت إلى جواره كثير من الأوسمة الأخرى ..

المختار وابن الزبير

كان عبد الله بن الزبير منذ وصوله إلى مكة المكرمة قادماً إليها من المدينة بعد هلاك معاوية يمني نفسه ويسعى للوصول إلى الخلافة والرئاسة ، وكان يشجع الأمام الحسين(عليه السلام) والذي وصل هو الآخر بعده وبفارق يوم وأحد إلى مكة من المدينة ليكون - الحسين - بعيداً عن مراسيم البيعة ليزيد في المدينة ..

نعم كان أبن الزبير يشجع الحسين ويرغبه - خاصة بعد إن وافته رسائل ووفود الكوفة والعراق عامة بصدد المجئ والقدوم إليهم للجهاد والقتال معه ضد الطغاة والظالمين - كان يرغبه في تلبية واستجابة هذه الطلبات بترك مكة المكرمة والرحيل إليهم على جناح السرعة..

وكان قصد أبن الزبير الحقيقي من دعوة الحسين(عليه السلام) لمغادرة مكة المكرمة إلى العراق هو ألا يكون له مزاحم أو منافس في طلب الخلافة والرئاسة في مكة ، لأنه يستحيل عليه تحقيق الدعوة للخلافة أو الرئاسة له والحسين(عليه السلام) إلى جواره في مكة المكرمة

ذلك لآن الناس وعلى مختلف اتجاهاتها في مكة المكرمة لا تقدم أبن الزبير على الحسين في الوصول إلى أي مركز ديني ، حيث يأتي أبن الزبير من بعد الحسين بمراحل بل وبعد كثير من رجالات أهل البيت

وبعد كثير من رجالات القبائل المقيمة في البلدة في المكانة والنفوذ والدرجة والمنزلة ..

وحين رحل الحسين(عليه السلام) إلى العراق في ذي الحجة من عام (٦٠هـ) تنفس أبن الزبير الصعداء حيث خلا له الجو في مكة من منافس كبير ومهم له في تسنم كرسي الخلافة والحكم ..

وفي خلافة يزيد وعقب استشهاد الحسين(عليه السلام) في كربلاء ، أعلن أبن الزبير نفسه خليفة شرعياً على المسلمين في مكة ، وقد بايعه كثير من الناس إما حباً له وإما بغضاً وكراهة للحكام الأمويين الذين طال بطشهم لكل الناس وعاثوا في الأرض فساداً ..

علماً بان أطماع أبن الزبير وأعماله وأقواله عبر سني حياته لم تكد تخفى على كثير من الناس وفي هذا البلد أو ذاك ومنهم المختار الثقفي ..

وذلك بسبب أن المختار ليس بشخص عادي يميل مع الريح حيث مالت أو ينعق مع كل ناعق أو يهرول صوب المغانم والمنافع الشخصية لا سيما وأنه قد تجاوز العقد السادس من عمره ..

لأنه لو كان مثل هؤلاء النفعيين لما تجشم مسيرة النضال والكفاح المسلح ، بل أتجه – عوضها إلى أبن الزبير في مكة وبايعه كخليفة شرعي وفقاً للشروط والقيود التي يمليها أبن الزبير عليه من دونما اعتراض أو رد ، ولأصبح منذ ذلك الوقت – وهو سليل قبيلة

ثقيف المشهورة لأصبح والياً على الكوفة أو على أي إقليم أخر يرغب فيه من دون منازع أو منافس ولغدا ساعد أبن الزبير القوي في كل أعماله وأقواله حيث لا يمضي أمراً أو عملاً من دون استشارته واستمزاج رأيه في ذلك ..

نعم لم يكن المختار مثل هؤلاء الوصوليين بل كان على عكس ذلك تماماً، حيث لم يكد يخطو خطوة باتجاه أبن الزبير من دون أن يفكر في مكان الخطوة التالية وذلك لتصبح مسيرته النضالية في الحياة الدنيا صحيحة وسليمة ومن دون اعتراض من هذا أو رد من ذاك ، ويكون بذلك قد نال رضاء الله تعالى ورسوله(ص) وأهل البيت (ع) وكل الأخيار والطيبين في العالم ..

كما وأن المختار الثقفي كان قد تربى وعاش ومات على حب أهل البيت (ع) والإخلاص لقضيتهم فضلاً عن كونه خصماً عنيداً للأمويين وأل الزبير وكل المناوئين لأهل البيت (ع) ومنذ عهد شبابه ..

لذا فقد عدّ علوياً بل من قادتهم وأقطابهم ، وأن مثل هؤلاء لا يخطون خطوة أو يحركون ساكناً من دون أن يكون لله فيها رضا ومن دون موافقة ومباركة وتأييد من أئمة أهل البيت (ع) .

هذا وإذا ما نسي بعض الناس أخلاق أبن الزبير وسلوكه أو تجاهلها عبر مسيرة حياته فأن شخصاً كالمختار لا يمكنه أن ينسى

ذلك ابداً لأنه يعدّ من العظام الذين يشار لهم بالبنان والذين يتأسى الناس بسلوكهم وأفعالهم ..

ومن الأشياء التي لم ينسها المختار من أبن الزبير هو ترك الأخير الصلاة على النبي (ص) أثناء خطبة وكلماته حتى أنتقده جمع كثير من الصحابة والتابعين ولاموه على تصرفه المشين هذا أشد اللوم وأقساه ، وحين سئل عن مردّ وعلة خطوته هذه أجاب:

((أن له – أي للنبي(ص) – أهل بيت سوء إذا ذكرته أشرابت نفوسهم إليه وفرحوا فلا أحب أن أقّر أعينهم بذلك))

كما ولم ينسى المختار دعوى أبن الزبير بمطالبته بدم الحسين(عليه السلام) بعد استشهاده في كربلاء وذلك ليتخذ من هذه الفاجعة – خصوصاً بعد هلاك يزيد – كسلم للوثوب إلى الخلافة والرئاسة ..

أما حين صفا له الجو وحين أدرك أنه لا منافس ولا منازع حقيقي يتحداه للوصول إلى الخلافة والسلطة ترك المطالبة بهذا الدم الزكي وأعرض عن هذا الموضوع جملة وتفصيلا.

ولعله أقتبس هذه المسرحية والدعوى من معاوية حين طالب بدم عثمان في وجه الخليفة الشرعي (عليه السلام). وحين رحل الإمام (ع) وأستقر كرسي الحكم والادارة تحته وحين خضعت له الأمصار والأقاليم الإسلامية ترك المطالبة بهذا الدم جانباً بعد أن أقام الدنيا وأقعدها حوله ..

وحين سألته مرة زوجة عثمان عن سر ترك المطالبة بالدم أجابها بما معناه :

((أن القوم قد أعطونا الأمان وأعطيناهم بالمقابل الأمان))

كما ولن تخرج عن ذاكرة المختار بل عن ذاكرة كل منصف ما قاله الأمام علي(عليه السلام) عن الزبير مرة بصدد ولده عبد الله حيث قال :

((لا يزال الزبير معنا (أو منا) أهل البيت حتى ولد له أبنه عبد الله))..

هذا وأن أشارة الأمام (عليه السلام) هذه في قوله (معنا أو منا) هـو بسبب أن أم الزبير (زوجة العوام) هي صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول(ص) وعمة الأمام علي(عليه السلام) أيضاً..

والمفروض في هذه القرابة أن يكون صوت الزبير وموقعه مع الهاشميين على الدوام ..

وبالفعل كان كذلك وخصوصاً عند اجتماع اللجنة الخاصة باختيار الخليفة بعد رحيل عمر بن الخطاب (رض) وبقى على هذا الحال إلى أن جاء ولده عبد الله — وهو موضوع هذا الفصل — حيث تمكن الأخير لهذا السبب أو ذاك من صرف والده عن موالاة أهل البيت وعن الانتصار لحقهم في الخلافة والإمامة والاستعاضة عن ذلك بالركض وراء وخلف المنافع الشخصية والمصالح الذاتية ، ولقد تطور العداء هذا إزاء أهل البيت واتسع ليصل إلى درجة إشهار السلاح

وأعداد الجيش بوجه قادة أهل هذا البيت كما تجلى ذلك ساطعاً في واقعة الجمل المشهورة.

نعم وصل المختار إلى مكة وفي ذهنه كل ما مّر بيانه عن سلوك أبن الزبير وسيرته ، ولقد كان الأخير مقيماً في مكة عند دخول المختار إليها ، وكان يدعو فيها لنفسه في البداية سراً حتى فشى أمره فأصبح يدعو جهاراً وعلى مسمع من الجميع وبصرهم..

وحين علم أبن الزبير بمقدم المختار إلى مكة قادماً من العراق طلبه فحضر أمامه وجرى بين الطرفين بحث شؤون الساعة بما في ذلك بطش وطغيان الأمويين (عدوهما المشترك) بالناس عامة وبأهل البيت خاصة وسبل إيقاف هذه المظالم عند حدها..

ومن بعد ذلك أستفسر أبن الزبير من المختار عن طبيعة ونفسية أهل الكوفة ، لأنه قد أقام فيها طويلاً وقد جاء منها حديثاً فاجأبه :

((هم في السر أعداء وفي العلانية أولياء)).

فقال أبن الزبير معلقاً على هذا الوصف :

((هذه والله صفة عبيد السوء إذا حضر مواليهم خدموهم وإذا غابوا عنهم شتموهم)).

وتختلف الروايات هنا عما إذا كان المختار قد بايع أبن الزبير عقب هذه المقابلة مباشرة وبشروط ثبتها قبل المبايعة ثم غادر مكة إلى الطائف حيث مسقط رأسه..

أم انه لم يبايعه إلا بعد عودته من الطائف والتي مكث فيهـــا ما يقرب من العام . وبعد جميع الروايات الخاصة بهذا الموضوع يظهر لي أن المختار بعد مقابلته الأنفة لأبن الزبير طلب منه أن يبسط إليـــه يده ليبايعه على أن يعطيه ما يرضيه ليكون له من ثم عوناً ونصـــيراً في بلاد الحجاز (لأنه من أهل هذه البلاد) .

وهنا سكت أبن الزبير إزاء عبارة المختار – على أن يعطيـــه ما يرضيه – وكأنه – أبن الزبير – قد أستثقل هذه العبارة ولم تصادف هوى في نفسه أزاءها .

وهنا أضطر المختار إزاء ذلك لترك أبن الـــزبير والتوجـــه إلى الطائف مسقط رأسه ..

وحين سُئل المختار بعد ذلك عن حقيقة وطبيعة ما جرى بينـــه وبين أبن الزبير بخصوص البيعة له أجاب :

((أني لما رأيته قد أستغنى عني أحببت أن أريه أني مستغنٍ عنه)) ..

وبعد ما يقرب من السنة على أقامة المختار في الطائف ، ســـأل عنه أبن الزبير فقيل له أن مقيم في مسقط رأسه الطـــائف فاســـتدعاه للمجيء إلى مكة ومقابلته ..

وبالفعل عاد المختار إلى مكة والتقى مع أبـــن الـــزبير ، وفي نهاية المقابلة بايع المختار أبن الزبير وفق عدة شروط صارمة شـــرطها عليه وتقبلّها أبن الزبير مكرهاً أو عن طيب خاطر – وكانـــت بيعـــة

المختار هذه لا أيماناً منه بقضية أبن الزبير ولا حباً وإخلاصا لـــه ، لأن ابن الزبير كان عثماني الهوى والاتجاه بينما كان المختار علوي الفكرة والمسار – وحق العظام – ولا يمكن لأي قوة في العالم أن تحرفه عـــن مساره هذا ولو قيداً نملة .

والظاهر هنا أن بيعة المختار لأبن الزبير هذه قد تمت لكـــون الأخير عدواً للأمويين الطغاة والمستبدين وخارجاً علـــى طاعتـــهم ، حيث يتاح بذلك جمع الصفوف وتوحيد كل القوى المناوئـــة للنظـــام تحت لواء واحد ليسهل لها من ثم القضاء عليه من دون تقديم المزيـــد من التضحيات والفداء ..

خصوصاً وان يزيد كان على رأس النظام الفاشـــي في الشـــام وهو لا يتورع عن إنزال أقصى العقوبات بمناوئيه وخصومه ، وأن هذه العقوبات ستكون أكثر تأثيراً وإيلاما حين تكون كلمة هؤلاء المناوئين والخصوم متفرقة ومختلفة ..

ثم أن بيعة المختار هذه لأبن الزبير كانت وســـيلة لا غايـــة ولم تكن أبداً كبيعة سواد الناس على السمع والطاعة ومن دون مناقشـــة أو أخذ ورد ، بل كانت البيعة ضمن شروط وضعها المختـــار بعنايـــة تامة في عنق أبن الزبير ، والذي لم ير الأخير بداً من قبولها ، خصوصاً وأن الجيش الأموي أخذ يتقدم صوب مكة للقضاء على أبن الـــزبير

وكل من يلوذ به ويتعاطف معه ،وهذا يتطلب التنازل عـــن الكـــثير لمواجهة هذا الخطر الداهم .

ولولا هذا الخطر المحدق والمقبل على مكة لما وافق أبن الـــزبير ولو على شرط واحد من شروط المختار لأداء البيعة ، ولكنها المصالح والسياسة أخذ وعطاء كذب وصدق لف ودوران ......الخ..

أما عن الشروط التي وضعها المختار وطوّق بها عنق أبن الزبير فهي(١٤)

١-أن لا تقضي الأمور دونه ..

٢-أن يكون أول من يأذن له وأخر من يخرج منه ..

٣-أن يستعان به في أفضل عمل عند الظهور والسيطرة والنجاح..

ونرى هنا أن المختار كان يأمل من الشرط الأخير أن يقدّم لـــه أبن الزبير ولاية الكوفة على طبق من ورد وذلك ليختصـــر الطريـــق ويعجّل في الوصول إلى قتلة الحسين(عليه السلام) ليثأر منهم .. بينما كـــان أبن الزبير يرى أن إسناد ولاية الكوفة إلى المختار ـ حيـــث غالبتـــها العلوية – يعني خروجها عن نفوذه في المدى القريب اوالبعيد ، ويعـــني أيضاً – في ظنه – مساعدة أعدائه ليتاح لهـــم في يـــوم مـــا تهديـــده في عقر داره بمكة ...

وهكذا فقد فترت العلاقات ما بين الطرفين ولم تخرج عن نطاق المجاملة وتبادل التحيات والسلامات في المناسبات ..

---

(١٤)- تاريخ الطبري – الطبري ..

هذا وفي الفترة التي كان المختار عند أبن الزبير في مكة ، ثار أهل المدينة المنورة – والتي كانت تضم معظم الصحابة والكثير من التابعين- ثاروا على الطاغية يزيد بعد وقت قصير من استشهاد الأمام الحسين(عليه السلام) في كربلاء عام (٦١هـ) ..

ولقمع هذه الثورة وتأديب رجالها أرسل يزيد إليهم جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة المري (والذي أسماه الناس آنذاك بـ مجرم بن عقبة)(١٥)

فأقتحم هذا الجيش مدينة الرسول (ص) وصنع فيها ما لم يصنع الطغاة بمناوئيهم حيث أتى على الأخضر واليابس وأنتهك حرم الرسول (ص) ودخل البيوت ألأمنه واعتدى على الحرمات فيها ..

ولقد قيل هنا أن عدد القتلى في هذه المجزرة البشعة وتدعى بـ (وقعة الحرة) قد تجاوز ألـ(١٥) إلف من الأبرياء والنساء والأطفال اليافعين . منهم فقط (٧٠٠) رجل من الصحابة والتابعين..

وبعد الانتهاء من هذه المجزرة المروعة في المدينة ، أتجه جيش يزيد في صفر من عام(٦٤هـ) صوب مكة المكرمة لإخضاعها والقضاء على دعوة أبن الزبير ، وهديم الدور على رؤوس كل من لم يركع للحكم الأموي الغاشم – وفي الطريق بين مكة والمدينة هلك (مجرم بن عقبة) أثر لسعة عقرب سامة ، وأثرها تولى بدلاً عنه

---

(١٥)- المختار الثقفي – كمال السيد ..

قيادة هذا الجيش سفاك أخر هو الحصين بن نمير وكان هذا قد أشترك في حرب الحسين(عليه السلام) في كربلاء عام (٦١هـ).

لقد حاصر هذا الجيش مدينة مكة المكرمة البلد الحرام من كل جهاقا ، ثم أخذ جنوده و مراتبه مواقعهم الحصينة فوق الجبال والمرتفعات التي تحيط بالبلدة وحرمهاالمقدس الآمن ، حيث نصبوا هناك المجانيق (جمع منجنيق) تمهيداً لضرب البلد الأمين وقذفه بكتل النار لحرقه وتدميره على من فيه ..

وبالفعل صدرت الأوامر المشددة بقصف البلدة بهذه المجانيق – بعد أن تعذّر عليه اقتحامها – حيث أخذت كتل الحجارة المشتعلة بالنار تتساقط فوق المنازل والمساجد والمحلات العامة والخاصة والأسواق والأزقة ..

ولم يكتف مرتزقة هذا الجيش بهذا العمل ألأجرامي بل تم الإيعاز إليهم بقصف الكعبة المشرفة ، فسقطت كتل النيران على جدران الكعبة وأوشكت أن تساويها بالأرض ..

وبعد ذلك أمر الحصين بن نمير قائد قوات البرابرة جيشه باقتحام مكة بالقوة ومهما كلف الثمن وقتل كل من يقف أمامه بغض النظر عن عمره أو جنسه أو انتمائه ..

فهجمت الفرسان في هذا الجيش رفقة قوات المشـــاة علـــى البلدة لاقتحامها ودارت بين مرتزقة هذا الجيش وأبناء البلدة معـــارك ضاربة في الطرقات والحرم الطاهر ..

وكان المختار حينذاك في مكة فشهر سيفه وأخذ يقاتـــل الجـــيش الأموي مع جند أبن الزبير وببسالة وشجاعة دفاعاً عن المقدســـات وعن أهل البلدة ، حيث كان أشد الناس على جيش أهل الشام ..

كما وكان المختار الثقفي يقاتلهم وهو ينادي برفيع الصوت :

((أليّ أليّ أنا أبن أبي عبيدة بن مسعود ، وأنا أبن الكرار لا الفرار ، أنا أبن المقدمين غير المحجمين ، إليّ يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار ...))

وهكذا تمكن المختار بما أوتيَ من حول وقوة مـــن بـــث روح الحماسة والشجاعة في نفوس المدافعين عن البلدة وان يدفع الغزاة إلى ما وراء البلدة وأجبارهم على التراجع و الانسحاب إلى الخلف .

وخلال استعارة المعارك خارج أبواب مكة (والحصار لم يفـــك عنها بعد) هلك الطاغية يزيد ، وكان وقع هذا الخبر على الحصـــين كالصاعقة ، وحين انتشاره بين جند الشام ، أثروا فك الحصار عـــن البلد الأمين بعد أن ملّوا من طوله ، كما استنكروا – ولكـــن بعـــد فوات الأوان – قصف الكعبة المشرفة بالنيران ثم التوجه نحوها عنـــد الصلاة .

وطبيعي أن مللهم من طول الحصار واستنكارهم هذا القصف للكعبة(قد جاء متأخراً) حيث ما فائدة هذا وقد دمروا الحرم وهدّموا البيوت وقتلوا المئات من الناس ..

هذا إضافة إلى أن هذا الملل والاستنكار لم يكن ليصدر من جند الشام لولا المقاومة البطولية والضربات الموجعة التي سدّدها إليهم المختار الثقفي وأعوانه الشجعان بعد أن عاهدوا الله تعالى وفي داخل حرمه المطهر على النصر أو الشهادة ...

فكان أن كتب الله له ولا عوانه النصر ولجند الشام الهزيمة والخسرات المبين . كما وجاء نبأ هلاك يزيد في شهر ربيع الأول من عام (٦٤هـ) ، كطلقة (رصاصة) الرحمة التي تسدّد إلى رأس القتيل للاطمئنان على موته وفراقه للحياة إلى الأبد أو الضربة التي قصمت ظهر البعير .

حيث أن وصول هذا الخبر إلى جند الشام قد أهبط من معنوياتهم واضعف من أرادتهم وتصميمهم على القتال والمنازلة ، فغدوا لا يعرفون طريقهم ولا يدرون لمن يقاتلون وفي سبيل من يهدمون أرواحهم ضحية رخيصة – وهم يدكّون حرم الله تعالى وبلده الأمين بالحجارة وكتل النار الملتهبة – ..

لذا وبعد انسحاب جند الشام وفك الحصار عن مكة ، أدرك المختار وشعر أن مكانه الحقيقي وساحة جهاده ونضاله القادم ليس في

أرجاء مكة المكرمة ، حيث بات يهيمن عليهــا أبــن الــزبير – وان علاقته معه قد فترت – بل أن مكانه الطبيعي هو في بلد أخــر هــي الكوفة حيث يمكن منها السعي – بما لديه فيها من أعوان وأنصــار – لتقويض أركان الحكم القائم ونسفه من ألأعماق وتمزيقه أرباً أرباً .

وبالفعل فقد حزم المختار أمتعته وأحضر دابته وودّع أصحابه وأصدقاءه ثم ((فقفل عائداً إلى الكوفة بعد أن فارقها لأكثر من أربــع سنوات(١٦)...)).

١٦– المختار الثقفي – كمال السيد

العودة إلى الكوفة

لقد قلنا في الفصل السابق بأن بيعة المختار لأبن الزبير بالخلافة كانت وسيلة لاغاية ، وسيلة لتحقيق طموحاتة وأماله في ضم وجمع كل التنظيمات والكتل السياسة المختلفة في صف واحد وتحت لواء واحد لغرض الاستعانة بها في مقاومة وإسقاط الحكم الأموي القائم ..

ذلك لأن العصا الواحدة تكسر بسهولة ، بينما يتعذر ويصعب كسر أو حتى عدة عصي مربوطة إلى بعضها ..

أن هذا المثل كان يضرب به قديماً وقد مرّت علينا قصته خلال دراستنا الابتدائية حيث كان ألأب يستشهد بهذا المثل أمام أبنائه ويطلب منهم أن يكونوا دوماً كذلك أي يداً واحدة وألا فأن العدو سيقضي عليهم واحداً بعد الأخر ..

أما لو طلب القارئ الكريم منا أيراد مثلٍ حديث يلائم معنى المثل القديم لقلنا له هو قيام (الجبهة الوطنية) في هذا القطر أو ذاك ، حيث أن هذه الجبهة ما هي إلا تجمع عدة أحزاب وتنظيمات ذات أهداف وبرامج سياسية مختلفة جمعها اسم واحد لتحقيق نقاط ومبادئ مشتركة يرتضيها الجميع ويعمل لتحقيقها ألكل ، وهذه تساعد وتسهل الطرق والسبل للإطاحة والقضاء على الأنظمة المستبدة في العالم وفي هذه القارة أو تلك ..

نعم كانت مبايعة المختار لأبن الزبير هي وسيلة لتوحيد الكلمة ورص الصف وإستنفار الإمكانيات للإطاحة بالنظام القائم في الشام ..

ولكن بعد انصرام فترة طويلة وحين علم المختار أن أبن الزبير لا يحقق له ما كان يطمع إليه ولا ينفذ مطاليبه وآماله ، فضلاً عن أنه لم يف له ببعض الشروط التي طوّق بها المختار رقبة أبن الزبير عند مبايعته له ..

ولهذا وذاك صمم المختار على الانسحاب والابتعاد من جبهة أبن الزبير حيث أخذت العلاقة والرابطة معه تخبو و تتفتت شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت إلى مرحلة لم ير المختار فيها بداً من ترك مكة والرحيل إلى الكوفة حيث هي مكانه الصحيح والميدان الذي سيجول فيه من أجل تحقيق أماله وطموحاته ..

وبرحليه إلى الكوفة تكون أخر الخيوط التي كانت تربطه بابن الزبير قد أنقطت ..

لقد ترك المختار أبن الزبير بعد خمسة اشهر من فتور العلاقة بينهما وتصميمه على الرحيل إلى الكوفة ..

وقد كان المختار عند الرحيل من مكة – كما تقول بعض المصادر – حانقاً على أبن الزبير وفي نفسه أشياء وأشياء منه...

فلقد انصرف عنه وهو ينشد :

ذو مخا ريـق وذو مندوحـة   وركابي حيث وجهت ذلـل
لا تبيتن منزلا تكرهه   وإذا زلت بك النعل فـزل

وحين التهيؤ لمغادرة مكة إلى الكوفة ورد إليها من الكوفة رجل يدعى (هاني الوداعي) وكان من أزلام النظام السابق – كما سبق بيانه – وكان وصوله في شهر رمضان المبارك بقصد أداء العمرة ،وكان المختار يعرفه حين كان بالكوفة ، ولقد بادره المختار بالسؤال عن أحوال أهل الكوفة في هذا الوقت فاجأبه:

((أنهم على طاعة ابن الزبير إلا طائفة من الناس هم عدد أهلها لو كان لهم من يجمعهم على رأي أكل بهم الأرض)) ،

فقال له المختار :

((إنا أبو اسحق إنا والله لهم أن اجمعهم على الحق وألقى بهم ركبان الباطل وأهلك بهم كل جبار عنيد)) ..

ثم ركب راحلته وسار باتجاه الكوفة في عام (٦٤هـ) حتى وصل نهر الحيرة ، وكان يوم الجمعة فأغتسل هناك وتدهّن ولبس ثيابه واعتم وتقلّد سيفه وركب راحلته ثم دخل الكوفة بعد فراق لها دام أكثر من أربع سنوات ، وجعل لا يمر على مجلس لأهل الكوفة إلا وسلم على أهله و خاطبهم :

((أبشروا بالنصر والفلج أتاكم ما تحبون)) ..

وكان والي الكوفة عند دخول المختار إليها من قبل ابن الزبير هو عبد الله بن يزيد الأنصاري حيث أن ابن زياد الوالي السابق كان قد فرّ إلى دمشق حين سمع بهلاك يزيد ، وحينها انتهز أهل الكوفة الفرصة وأعلنوا تأييدهم لعبد الله بن الزبير فنسب الأخير هذا الوالي من قبله عليهم وكان هذا في ٢٢ رمضان من عام (٦٤هـ) .

ولم تدم ولاية عبد الله بن يزيد طويلاً حيث تم عزله — لأسباب لم ندركها بعد — وولى ابن الزبير مكانه والي أخر هو عبد الله بن مطيع ..

وكان سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه من التوابين يستعدون في هذا الوقت للخروج من الكوفة للطلب بثأر الحسين(ع) ..

ولما خرج سليمان مع التوابين من الكوفة في أول محرم الحرام من عام (٦٥هـ) باتجاه كربلاء لزيارة الحسين (ع) للتكفير عن تقاعسهم وتخاذلهم في نصرته عند قدومه إلى العراق تلبية واستجابة لدعوا لهم ورسائلهم ووفودهم المرسلة إليه في مكة حين قدم إليها من المدينة بعد هلاك معاوية ونصب يزيد محله على رأس النظام القائم في الشام .

نعم لما خرج سليمان مع التوابين صوب كربلاء ومن ثم باتجاه الشام لمحاربة ومنازلة الجيش الأموي هناك ، رفعت عن المختار عدة تقارير من قبل مرتزقة وأزلام النظام إلى والي الكوفة المعين من قبل ابن الزبير تشير إلى نشاطه وتحركاته بين صفوف المعارضة ولا سيما

العلويين منهم لشحذهم وأعدادهم للثورة والتمرد علـــى النظـــام في الكوفة وقد اختتمت هذه التقارير بالتوصية والتوجيه التالي :

((إن المختار أشد خطراً عليكم مـــن سـليمان بـــن صـــرد ، إن سليمان خرج من الكوفـــة ليقاتـــل عـــدوكم أهـــل الشـــام ، أما المختار فانه يريد الثورة عليكم في الكوفـــة للانتقـــام مـــن قتلـــة الحسين فاوثقوه واسجنوه[17]))

وبعد ذلك وأثر هذه التقـــارير والوشـــايات المرفوعـــة عـــن المختار ، أصدر والي الكوفة أوامره إلى ازلامه بالقبض على المختـــار وإيداعه السجن ..

وهذه هي المرة الثانية التي يودع فيها المختار غيابت سجن الكوفة .

وفي أجواء وظلمات السجن كان المختـــار يفكـــر في كيفيـــة ألإطاحة بالنظام القائم في الشام وفي الكوفة وإقامة دولة العدل والحق والمساواة ليتاح له من ثم الثأر لشهداء مجزرة كربلاء . لا سيما وانـــه قد سمع من ميثم ألتمار نقلاً عن مولاه ألإمام علي(ع) عندما التقـــى معه في السجن في المرة الأولى من أنه سيطلق ســـراحه ويتـــولى قتـــل وتصفية كل فرد شارك في قتل الحسين وأهـــل بيتـــه وأصـــحابه في عرصات كربلاء .

---

(١٧)- المختار الثقفي – كمال السيد ..

كما وكان المختار يردّد في السجن وباستمرار هـذه المقولـة والتي تؤيد إصراره على الثأر لدماء أهل البيت (ع) وهي :

((أما ورب البحار والنخيل لاقتلن كل جبار بكل لدن خطار ومهند بتار بجموع الأنصار ليسوا بميل أغمار ولا بعزل أشرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ورأيت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثأر النبيين لم يكبر علىّ زوال الدنيا ولم احفل بالموت إذا أتى ...))..

وحين عاد إلى الكوفة من تبقى من أصحاب سليمان (التوابين) بعد انتهاء معركة عين الوردة وتحت قيادة (رفاعة بن شداد) كتب إليهم المختار من سجنه في قصر الأمارة رسالة يقول فيها :

((إما بعد فان الله عظم لكم الأجر وحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحليين ، أنكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة وكتب لكم حسنة فابشروا فاني لو خرجت أليكم جردت فيما بين المشرق والمغرب من عدوكم السيف بأذن الله فجعلتهم ركاماً وقتلتم فذاً وتوأماً فرحب الله لمن قارب واهتدى ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى والسلام يا أهل الهدى))

ولقد كتب هؤلاء الجواب على رسالة المختار وأوصلوه إلى المختار في السجن وقد جاء في الجواب ما يلي :

((قرأنا كتابك ونحن حيث يسرك فان شئت إن نأتيك حتى نقتحم السجن ونطلق سراحك من الحبس فعلنا)).

ولقد أغتبط المختار لمقالتهم هذه ثم أجابهم بصدد أطلاق سراحه عنوة بالقول :

((لا تفعلوا هذا فاني سأخرج في أيامي هذه)) ...

أما عن طريقة خروجه من السجن في هذه المرة فكانت وفقاً للطريقة التي أستعملها في المرة إلا ولى حيث قام بإشعار عبد الله بن عمر (زوج أخته صفية) بكتاب يقول فيه :

((أما بعد فاني قد حبست مظلوماً وظن بي الولاة ظنوناً كاذبة فاكتب فيّ يرحمك الله كتاباً إلى هذين الظالمين وهما عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد (اي والي الكوفة وأمير خراجها) كتاباً لطيفاً عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك وبمنك والسلام)).

وكتب عبد الله بن عمر أثر ذلك إلى هؤلاء الظالمين كتاباً يقول فيه بالحرف :

((أما بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار من الصهر ، والذي بيني وبينكما من الود ، فأقسمت عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خليتما سبيله حين تنظران في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته)).

وحين ورود هذا الكتاب إلى الوالي { عبد الله بن يزيد } وأمير الخراج { إبراهيم بن محمد بن طلحة } طلبا من المختار إحضار الكفلاء كـــي لا يثور أو يقوم بأي عمل ضد السلطة القائمة ليتسنى لهمــا أطـــلاق سراحه من السجن استجابة لنداء أبن عمر بهذا الشأن . .

فجاء المختار بكثير من أشراف الكوفة وزعمائها ليكفلـــوه ، فاختار الوالي عشرة من هؤلاء الأشراف فكلفوه —

لما طلبوا منه إن يحلف أمامهما بهذه العبارة :

((أحلف بالله على أن لا أخرج عليكما فــان خالفــت ذلــك وخرجت عليكما فعلي ألف بدنة أنحرها عند الكعبــة وإن ممــاليكي يصبحون كلهم أحراراً)) .

فحلف لهم المختار كما أرادوا وخرج من سجن الكوفة للمــرة الثانية —

وبعد خروج المختار من السجن كان يسخر ويستهزأ من عقلية الوالي وأمير خراجه ويقول عنهما حين سأله بعض أعوانه عن طبيعــة حلفه هذا بالحرف :

((قاتلهم الله ما أحمقهم حين يرون أني أفي لهم بإيمانهم هذه ، وأما حلفي بالله فاني إذا حلفت على يمين فرأيت خيرا منــها أدع مــا حلفت عليه واتي الذي هو خير واكفّر عن يميني ، وخروجي علــيهم خير من كفي عنهم ، وأما هدي إلف بدنة فهو أهون علي من بصقه ،

وأما عتق مماليكي فوالله لوددت أنه تم لي أمـــري ولم أملـــك مملوكـــاً واحداً ...)

وهذه هي مأثرة أخرى تسجل للمختار ، فهو حين يجد خيراً مما حلف به يأتي بهذا الخير ويكفّر عن يمينه . وانه من ثم يوّد لو إن أمـــره قد استقام ولا يملك مملوكاً واحداً ..

وكل هذه دلائل على تصميه في تغيّير النظام القائم وإقامـــة أخر مكانه ليتولى الأخير تطبيق مبادى الشريعة والحق والعدالـــة وفي طليعة ذلك المطالبة بدم الشهداء الذين صـــرعوا في أرض الطفـــوف بكربلاء عام (٦١هـــ)٠٠

ولقد تم تنفيذ هذا الشي بالفعل ولكن بعد أكثر من سنة مـــن أطلاق سراحه أي في عام (٦٦هـــ)٠

التوابون

لم يكن المختار الثقفي هو وحده الذي دعا للثأر لدماء الحسين (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) بل سبقه في ذلك أو تزامن مع طلبه دعوات كثيرة أخرى من قبل الموالين لأهل البيت وفي هذه البلدة أو تلك -

حيث أن هؤلاء الموالين وأنصار أهـــل البيـــت (عليهم السلام)- وفي مدينة الكوفة خصوصاً - قد ندموا على استشهاد الحسين (عليه السلام) في كربلاء عام (٦١هـــ) لتركهم نصرته والذب عـــن حمـــاه وتخـــاذلهم وتأخرهم عنه عند مجيئه إلى كربلاء رغم أنهم قد كتبوا لـــه رســـائل وكتب يدعونه فيها للقدوم إليهم للقتال تحت لوائه والذب عن حماه .

كما أخذ هؤلاء يتلاومون فيما بينهم على خذلانهم لأبن بنـــت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واعتبروا انـــه لا يكفـــر عنـــهم وزر تقاعســـهم وقعودهم عن نصرته وغسل عار ذلك وتزكية نفوســـهم إلا بتقـــديم أنفسهم قرابين رخيصة في سبيل الطلب بدمه الزكـــي مـــن الـــذين اشتركوا في قتله ، سواء أكانوا من الحكام أو من المحكومين -

ولقد بدأت حركة التوابين هذه - للآخذ بالثأر - بعد استشهاد الحسين (عليه السلام) مباشرة عام (٦١هـــ) إلا إنها لم تنشط وتقوى وتتطور إلا في عام (٦٥هـــ) وبعد فترة من هلاك يزيد ، ولقد كانـــت هـــذه

الحركة نتيجة حتمية ورد فعل لما صنعه الطاغية يزيد بالحسين (عليه السلام) في معركة الطف بكربلاء .

ولقد كان من البدايات الأولى لحركة التوابين هو اجتماع أعوان وأنصار أهل البيت (عليهم السلام) في الكوفة حول خمسة من رؤسائهم البارزين في البلدة وهم :

١-سليمان بن صرد الخزاعي (وهو صحابي ومن المهاجرين وقد سماه الرسول (صلى الله عليه وآله) سليمان بدلاً من اسمه {يسار}وشهد مع علي (عليه السلام) صفين وبقية الوقائع وكان قد كتب للحسين (عليه السلام) بالقدوم الا انه تخلف عن نصرته خوفا من بطش ابن زياد) .

٢- المسيب بن نجبة الفزازي ...

٣- عبد الله بن سعيد بن نفيل الأزدي ...

٤- عبد الله بن وآل {وائل} التميمي ...

٥- رفاعة بن شداد البجلي ....

وهؤلاء الخمسة كانوا من خيار أصحاب الأمام علي(عليه السلام) وقد شاركوا في وقائعه كلها ، وقد يكون لبعض هؤلاء عذر في عدم نصرة الحسين (عليه السلام) خوفاً أو بعداً عن المكان أو أموراً أخرى تقدر بقدرها .

نعم اجتماع هؤلاء في دار سليمان بن صرد الخزاعي لسماع الخطب الحماسية والكلمات الثورية إلتي تثير المشاعر حول الطلب بدم الحسين (عليه السلام) ، وقد صاحب ذلك جمع الأسلحة والاعتدة وآلات الحرب وخزنها في دار – عبد الله بن وائل التميمي – تمهيداً واستعداداً لحلول الفرصة المناسبة للانقضاض وملاحقة قتلة الحسين (عليه السلام)في هذه البلدة أو تلك. . .

وفي خلال احدى اجتماعاتهم في دار سليمان للتداول وتدارس موضوع الثأر من قتلة الحسين (عليه السلام)والتي حضرها جمع كبير منهم خطبهم أحد هؤلاء الرؤساء وهو المسيب الفزازي بقوله:–

((. . . إما بعد فقد أبتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن فنرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غدا { أولم نعمركم } ما يتذكر فيه من تذكر فان أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال : العمر الذي اعذر الله فيه إلى أبن أدم ستون سنة وليس فينا رجل إلا وقد بلغه ، وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا فوجدنا الله كاذبين في نصرة أبن بنت نبيه (صلى الله عليه وآله) وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله واعذر إلينا فسألنا نصره فتخلفنا عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بالسنتنا ولا قويناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا ، فما عذرنا عند ربنا وعند لقاء نبينا وقد قتل فينا ولد حبيبه

وذريته ونسله ، لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتلـه أو تُقتلـوا في طلب ذلك ، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك ، أيها القوم ولّـوا عليكم رجلاً منكم فانه لا بدلكم من أمير تفزعون إليـه ورايـة تحفون بها ...)) .

ثم تبعه رئيس آخر هو رفاعة بن شداد البجلي ليلقي هو الآخر في المجتمعين كلمة يقول فيها :

((.... إما بعد فأن الله قد هداك لا صوب القول وبـدأت بارشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة مـن الـذنب العظيم فمسموع منك مستجاب إلى قولك وقلت ولّوا أمركم رجـلاً فأن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً وأن رأيتم ولينـا هـذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذا السـابقة والقـدم سليمان بن صرد الخزاعي المحمود في بأسه ودينه الموثوق بحزمه)) .

ويعقب المسيب على ذلك فيقول للمجتمعين :

((قد أصبتم فولّوا أمركم سليمان بن صرد)) .

ثم يقف سليمان بن صرد ليلقي في المجتمعين بداره كلمة ثوريـة يقول فيها:

((أنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم أل بيت نبينا (صلى الله عليه وآله) نمنيهم النصرة ونحثهم على القدوم فلما قدموا ونينا وعجزنا وأذهلنا حتى قتل فينـا ولد نبينا وسلالته وبضعة من لحمه ودمه إذ جعل يستصرخ ويسـأل

النصف فلا يعطي ، أتخذه الفاسقون غرضاً للنبل ودريئة للرماح ، ألا أنهضوا فقد سخط عليكم ربكم ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله ، ألا لا تهابوا الموت فما هابه أحد قط إلا ذل ، وكونوا كبني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم { أنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم } ففعلوا .

.. أحدوا السيوف وركّبوا الأسنة وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حتى تدعوا الناس وتستفزوهم...))

ونهض أحد الجالسين وهو خالد بن نفيل ليدلي بدلوه حول الموضوع حيث قال:

((أما أنا فو الله لو أعلم أنه ينجيني من ذنبي ويرضي ربي عني قتل نفسي لقتلتها وأنا أشهد كل من حضر أن كل ما أملكه سوى سلاحي صدقة على المسلمين أقوّيهم به على قتال الفاسقين..)).

كما وقال آخرون من الذين حضروا الاجتماع أقوال مماثلة حيث عبّر عبد الله بن الحر الجحفي عن شعوره وأسفه البليغ لعدم نصرة الحسين بإنشاد هذه الأبيات من الشعر :

فيالك حسرة ما دمت حياً ... تردّد بين حلقي والتراقي

حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل الضلالة والنفاق

فقد فاز الأولى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون أولي النفاق

كما وانشد آخر شعراً دعا فيه الناس للخروج ويرى أنه قد صحا من غفوته كأنه كان في غيبوبة عميقة:

صحوت وودعت الصبا والغوانيا وقلت لأصحابي أجيبوا المناديا
وقولوا له أذ قام يدعو إلى الهدى وقبل الدعاء لبيك لبيك داعياً
سقى الله قبراً ضمن المجد والتقى بغربية ألطف الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلت سفاهة أنيبوا فارضوا الواحد المتعاليا

ثم ختم الاجتماع سليمان بن صرد بالقول:

((إن كل من أراد المعونة بشي من ماله فليأت به إلى عبد الله بن وآل {وائل} فإذا أجتمع ذلك عنده جهزنا به الفقراء من أصحابنا)).

هذا ولم يكتف سليمان بمن تجمع حوله من أهل الكوفة بل أثر إن يكتب إلى رؤساء العلويين وأنصار الحسين (عليه السلام) في المدن الأخرى حول الموضوع للوقوف على أجوبتهم حوله..

فقد كتب الى سعد بن حذيفة اليمان في المدائن حول ما عزم عليه وأنصاره من العلويين على القيام به ويدعوه إلى مساعدتهم والعمل معهم لتحقيق مطلبهم وهو الثأر لدماء الإمام الحسين (عليه السلام).

وقد أجابه سعد على كتابه بالإيجاب ووعده بالعون والنصرة بكل ما أمكن عمله وقصارى طاقته.

كما وكتب سليمان إلى المثنى بن مخرمة العبدي في البصرة شارحاً له أفكاره وما يود القيام به وكان جواب المثنى له هو :

((أما بعد فقد قرأت كتابك وأقرأته إخوانك فحمدوا رأيك واستجابوا لك ونحن موافوك أن شاء الله تعالى للأجل الذي ضربت والسلام ...))

وعند هلاك يزيد في عام(٦٤هـ) وإلتي تمت بعد شهادة الحسين (عليه السلام) بثلاثة سنوات وشهرين وأربعة أيام ودخل عام (٦٥هـ) ، حيث كانت فترة ضعف وتدهور بالنسبة للدولة الأموية ، والذي زاد في هذا الضعف هو طلب أبن الزبير بالخلافة بوجه الحكم الأموي .

وقد استغلت جماهير التوابين هذه الحالة الطارئة كفرصة مناسبة للثورة والطلب بثأر الحسين (عليه السلام) حيث تجمع هؤلاء وقدموا إلى سليمان وأشعروه بهلاك يزيد وأن قبضة الأمويين على السلطة قد تراخت وطلبوا منه الإسراع في الخروج للطلب بدم الحسين (عليه السلام) وإعادة الحكم والإدارة إلى أهل البيت (عليهم السلام) ..

ولقد أجابهم سليمان على ندائهم بالتروي وعدم التسرع في الأمر حيث أن قتلة الحسين (عليه السلام) هم أشراف الكوفة وقادة الوحدات العسكرية ، ويتعذر – في مثل هذا الوضع – الطلب بدم

الحسين (عليه السلام) وطلب منهم بث الدعاة بين الناس وجمع السلاح والاستعداد حتى يتضاعف العدد لحين تميؤ فرصة مناسبة يمكن خلالها من القيام بعمل عسكري لمناصرة أهل البيت (عليهم السلام) والطلب بدمائهم ..

هذا وعند هلاك يزيد كان عبيد الله بن زياد واليا على البصرة ومقيماً فيها ، وكان قد عين نيابة عنه - عمرو بن حريث - واليا على الكوفة .

وكان وقوع نبأ هلاك يزيد على ابن زياد كرصاصة الرحمة إلتي تسدد إلى الرأس حيث أعقب هلاكه تبلل الآراء واختلاف الأفكار في مستقبل العرش الأموي في الشام .

وهنا جمع أبن زياد رؤساء البلدة وأشعرهم بواقع الحال وطلب منهم مبايعة من يتولى الأمر من بعده حيث بايعوه خشية وخوفاً، وعند خروجهم من عنده لعنوه وتنصلوا من بيعتهم له ..

وعقب ذلك أرسل أبن زياد رسولين إلى أهل الكوفة يدعوهم إلى بيعته .

وهنا قام أحد رؤساء الكوفة ويدعى { يزيد بن رويم } وخطب في الناس حيث حمد الله الذي أراحهم من يزيد وأنهم الآن في غنى عن الحكم الأموي وولاية أبن مرجانة { عبيد الله } .

ثم رمى الناس الرسولين بالحجارة والحصى ، فعاد هـؤلاء مـن حيث أتوا وأشعروا أبن زياد بحالة الكوفة ووضعها الـراهن الـذي تعيشه ..

وعند وصول نبأ وضع وحالة أهل الكوفة إلى أبناء البصرة تململوا وتحركوا من أجل الإطاحة بواليهم والتخلص من شره.

وهذا الأمر دعا أبن زياد للاستجارة ببعض رؤسـاء البصـرة ومن ثم تمكن من الفرار بجلده إلى بلاد الشام.

وأثرها طرد أهل الكوفة { عمرو بن حريث } عامل أبن زيـاد على الكوفة حيث ولّى هو بدوره هارباً إلى الشام..

وهنا أتفق وأستقر رأي الكثير من أبناء الكوفة على مبايعة أبـن الزبير الذي دعا لنفسه بالخلافة في مكة بسبب كونه القوة الرئيسـية التي تخاصم الأمويين وتعاديهم فضلاً عن طلب أبن الزبير بدم الحسين (عليه السلام) والتي تركها بعد هلاك يزيد ..

وحين علم أبن الزبير بما أستقر عليه رأي أبناء الكوفة في مبايعتـه أرسل لهم على الفور {عبد الله بن يزيد الأنصاري } والياً عنه علـى الكوفة كما وأرسل معه {إبراهيم بن محمد بن طلحة } كأمير علـى الخراج حيث وصـل الاثنـان إلى الكوفـة في ٢٢ رمضـان مـن عام(٦٤هـ) وكان سليمان وأصحابه في هذا الوقت وقبله يـدعون الناس للآخذ بثأر الحسين (عليه السلام).

أما أهل الشام فقد بايعوا بعد هلاك يزيد أبنه معاوية بـن يزيـد بالخلافة ، فمات الأخير بعد ثلاثة أشهر أو {٤٠} يوماً ، وقيل أنـه خلع نفسه من الخلافة كما وقيل أن الأمويين قد قتلوه بالسم ..

وكان مروان بن الحكم يرغب في أن يذهب إلى مكة ليبـايع أبن الزبير بالخلافة ، ولكن بعد وصول أبن زياد إلى الشـام تكمـن الأخير من تغيّر رأي مروان بصدد مبايعته لأبن الزبير وحبذ له ترشيح نفسه لهذا المنصب ..

وبالفعل رشح مروان نفسه للخلافة وبايعه أهل الشـام علـى ذلك وكانت مدة خلافته {٦} أشهر فقط وعقب ذلك كلف مروان أبن زياد أن يقود جيش الشام إلى قتال أهل الجزيرة ، وطلب منه أيضاً إذا ما فرغ من ذلك التوجه بالجيش صوب الكوفة لفتحها وإخضاعها للحكم الأموي ..

أما سليمان بن صرد وأنصار أهل البيت (عليهم السلام) فقـد كـانوا ينظرون إلى الأحداث هذه عن كثب فقد كـانوا - كمـا قلنـا - يجتمعون ويخزنون السلاح حتى عام(٦٥هـ) .

ولكون الفرصة باتت مناسبة للثورة فقد بعـث سـليمان إلى رؤساء أصحابه في مناطق العراق للاستعداد والتهيؤ للخروج لقتـال الذين سفكوا دم الحسين (عليه السلام) في كربلاء .

وبالفعل جاء كثير منهم إلى الكوفة في الوقت المحدد ، حيث خرج بهم وبمن لبى نداءه من أهل الكوفة في أول ليلة من شهر ربيع الثاني عام(٦٥هـ) بعد أن طاف الجميع في شوارع الكوفة وسككها وهم ينادون {يالثارات الحسين (عليه السلام)} حيث شاهد أبناء الكوفة في ذلك اليوم ولأول مرة مشهداً رهيباً وجيشاً لجباً يخرج في شبه جنون للطلب بثأر الحسين (عليه السلام) يبلغ تعداده (٣) آلاف مقاتل ..

ولقد عسكر هذا الجيش بعد خروجه من الكوفة في النخيلة[١٠] قرب الكوفة..

وعند استعراض سليمان لقواته في النخيلة وجد أن عددهم قليل ، فبعث برجلين من أصحابه إلى الكوفة لينادوا في مسجدها وشوارعها وأزقتها {يالثارات الحسين (عليه السلام)} فسمع الكثير من الموالين لأهل البيت ممن تخلف عن ركب سليمان فتقلدوا سيوفهم وركبوا خيولهم ثم طافوا في الكوفة وهم ينادون {يالثارات الحسين (عليه السلام)} وانطلقوا من ثم إلى النخيلة ليلحقوا بسليمان..

---

(١٠) النخيلة : ولقد سميت بذلك لكثرة نخيلها ، وهي موضع قرب الكوفة وهو موقع جسر العباسيات حالياً قرب ناحية الكفل وكانت سابقاً قاعدة عسكرية متقدمة لتجهيز وتجمع وانطلاق الجيوش ..

ولقد كان الامام (عليه السلام) يعسكر فيها حين كان يستعد للخروج إلى الحرب ، كما اتخذها ابن زياد من بعده معسكراً له لامداد قواته في كربلاء بما تحتاج اليه من عدة وعتاد ، ولبث فيها حتى وقت استشهاد الحسين (عليه السلام) ، ثم عاد إلى الكوفة للسيطرة على الأمن والنظام حين يشيع أمر استشهاد الحسين (عليه السلام) ..

وبوصول هذه الدفعة من المقاتلين أزداد عــدد إفــراد جــيش سليمان ليصل إلى حوالي (٤) ألاف مقاتل ..

وكان السجل الذي فتحه سليمان في الكوفة لتسجيل المتطوعين الراغبين في الجهاد معه للطلب بدم الحسين (عليه السلام) يشير إلى تســجيل (١٦) ألف متطوع فيه ، بينما لم يجتمع مع سليمان في النخيلة منــهم إلا (٤) ألاف فقط ..

ولقد عقّب سليمان على هذا الأمر بقوله:

((سبحان الله ما وافانا من ستة عشر إلفا إلا أربعة ألاف)) ..

ومكث في النخيلة مدة (٣) أيام كان خلالها يراسل أنصار وأعوان أهل البيت (عليهم السلام) والموالين لهم للمجيء والالتحاق به ، فورد منهم إلف مقاتل ليصبح المجموع النهائي (٥) ألاف شخص .

وحين أجتمع هذا العدد من المقاتلين عند سليمان في النخيلة قال المسيب الفزازي لسليمان :

((أنه لا ينفعك الكاره للخروج ولا يقاتل معك إلا من خرج على بصيرة محباً للخروج فلا تنتظر أحداً)) .

فصدق سليمان مقولة المسيب هذه وبارکها . (١)

---

(١) – لقد كان المختار عند خروج التوابين في الكوفة الا انه لم يخرج معهم لانه كان يفكر في انجاز امــر عظــيم وهو السيطرة على زمام الامر في الكوفة ، حيث سيتاح له بعد ذلك وبسهولة الطلب بــدم الحســين (عليه السلام) لا قبله ..

وقبل بدء حركة إفراد الجيش صوب الشام خاطب سليمان ...رعهم بقوله:

((أيها الناس من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والاخرة فذلك منا ونحن منه فرحمة الله عليه حياً وميتاً، ومن كان يريد الدنيا فوالله ما يأتي في نأخذه ولا غنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا متاع إلا سيوفاً على عواتقنا ورماحاً في أكفنا وزاداً قدر البلغة ، فمن كان ينوي هذا فلا يصحبنا)) .

وهنا تنادي أصحاب سليمان من كل جانب بالقول :

((أنا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا إنما خرجنا لطلب التوبة والطلب بدم أبن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله))) .

وعند التهيؤ للحركة قال عبد الله بن سعيد الأزدي لسليمان :

((أنا خرجنا نطلب بدم الحسين (عليه السلام) ، والذين قتلوه كلهم في الكوفة ومنهم عمر بن سعد وأشراف القبائل وليس في الشام منهم سوى عبيد الله بن زياد . .)) .

فأجابه سليمان:

((أن الذي قتله وعبأ الجنود إليه هذا الفاسق أبن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد فسيروا إليه علي بركة الله فان ينصركم الله رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه ، ورجونا أن يعطيكم أهل مصركم – يعني الكوفة – بغير قتال فتنظرون إلى كل من شرك في دم

الحسين (عليه السلام) فتقتلونه وإن تستشهدوا فما عند الله خير للأبرار فاستخيروا الله وسيروا)) .

وقبل الحركة والانطلاق أرسل والي الكوفة عبد الله بن يزيد وأمير خراجها إبراهيم بن محمد بن طلحة رسولاً إلى سليمان يطلبان منه الموافقة على مقابلتهما له في النخيلة قبل الحركة ، فوافق سليمان على ذلك . .

وبالفعل جاء الوالي وأمير الخراج رفقة إشراف الكوفة عدا من شارك منهم في قتال الحسين (عليه السلام) حيث إن الوالي كان قد طلب قبل الخروج إلى سليمان من كل من له يداً وإصبع في قتل الحسين (عليه السلام) ألا يخرجوا معه خشية من انتقام سليمان وأصحابه منهم[12]

وعند اللقاء جرى التداول في ما هم عازمون العمل عليه واقترح الوالي لإنجاح المهمة هو:

((أن يقيم سليمان وأصحابه ولا يستعجلوا فان علموا بأن عبيد الله بن زياد قد سار إليهم تهيأوا وساروا اليه جميعاً)) .

رغم أن الوالي كان يتمنى في قرارة نفسه هذه المعركة من أجل أضعاف سلطان ونفوذ خصومه الأمويين وتقليم أظافرهم .

---

(12)- كانت أجواء الكوفة حينذاك تردّد نداءات الطلب بدم الحسين (ع) ، لذا خشي كل من كان له اصبع في هذا الدم من القتل ملتزمين بذلك الحذر والحيطة ، وكان عمر بن سعد يبيت كل يوم في قصر الأمارة خشية اغتياله في البلدة ..

ولم يصغ سليمان لمشورة الوالي هذه أو يدرسها وإنما رفضها وأستبعدها مبرراً ذلك بقوله له:

((أنهم لم يخرجوا من أجل الدنيا وإنما يطلبون الآخرة تكفيراً لذنوبهم)) .

ثم قال الوالي لسليمان وأصحابه :

((أقيموا حتى نرسل معكم جيشاً جيشاً كثيفاً)) [13]

فلم يقبل سليمان ولا من كان معه بذلك ..

ثم قام سليمان وخطب أنصاره قبل الانطلاق خطبة وداعية ومما جاء فيها :

((.. إن للدنيا تجاراً وللآخرة تجاراً ، فأما تاجر الآخرة فساع إليها لا يشتري بها ثمناً ولا يرى إلا قائماً أو قاعداً وراكعاً وساجداً لا يطلب ذهباً ولا فضة ولا دنيا ولا لذة .. وإما تاجر الدنيا فمكب عليها راتع فيها لا يبتغي بها بدلاً فعليكم بطول الصلاة في جوف الليل وبذكر الله كثيراً على كل حال وتقربوا إلى الله بكل خير قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدو المحل القاسط فتجاهدوه فأنكم لن تتوسلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة)) .

---

(13) يظهر إن التوابين لم ينصتوا إلى أي نداء من هذا أو ذاك يدعوهم للتروي واخذ الحذر والاحتياط وانتظار الفرصة المناسبة للنجاح لورقم حيث إن الحماس الذي أخذهم بالطلب بدم الحسين (عليه السلام) والشهادة والذي يوشك إن يقضي على أخرهم في عين الوردة قد اغلق اذانهم عن سماع مثل هذه النداءات ، ولو انهم سمعوا شيئاً من ذلك لأمكنهم من النجاح أهدافهم وقد يؤدي نجاحهم إلى تغير الخارطة السياسية للمنطقة ..

وأنطلق التوابون وفي مقدمتهم سليمان والزعماء الأربعة الآخرون معه من النخيلة في عشية يوم ٥ ربيع الثاني من عام(٦٥هـ) فباتوا في مكان يدعى {دير الأعور} ثم ساروا فنزلوا في مكان أخر يقال له (أقساس بني مالك) على شاطىء الفرات ثم وصلوا عند الغداة إلى قبر الحسين (عليه السلام) في كربلاء..

وعند القبر الشريف صاحوا صيحة واحدة ((يا حسين)) وضجوا بالبكاء والعويل فلم يرَ يومٌ أكثر بكاء من ذلك اليوم ، وترحموا على الحسين (عليه السلام) وأصحابه وتابوا عند قبره بقولهم :

((اللهم أرحم حسيناً الشهيد أبن الشهيد المهدي أبن المهدي الصديق بن الصديق.

اللهم أنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم

اللهم أنا خذلنا أبن بنت نبينا (صلى الله عليه وآله) فأغفر لنا ما مضى وتب علينا وأرحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وأنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين..)) .

وأقاموا عند قبره يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويستغفرون ، ثم ودعوا القبر الشريف وكان الازدحام على القبر عند هذا التوديع أكثر من الازدحام على الحجر الأسود في الكعبة.

وكان سليمان مع {٣٠} شخصاً من أصحابه هم أخر من ودع القبر حيث كانوا يتضرعون ويستغفرون ذنوبهم ، وكان أخر ما تفوه به سليمان عند التوديع :

((الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين (عليه السلام)- اللهم إذا حرمتنا من الشهادة معه فلا تحرمنا منها من بعده ...)) .

وغادروا القبر الشريف وقد كان بودهم إن يقيموا عنده لمدة أطول ليطمئنوا من غفران ذنوبهم وسيئاتهم..

ثم سار التوابون باتجاه {الانبار} وعند وصولهم هناك وردتهم رسالة من وإلي الكوفة عبد الله بن يزيد ، يطلب منهم العودة إلى الكوفة خشية أن يتولى جيش الشام بآلافه المؤلفة من تصفيتهم وأبادتهم عن بكرة أبيهم ، ومن ثم يمكن التحرك نحوهم في وقت مناسب أخر .

وكان رأي سليمان وأصحابه بصدد رسالة الوالي قد أستقر على النحو التالي :

((قد أتانا ونحن في مصرنا ، فحين وطّنا أنفسنا على الجهاد ودنونا من أرض عدونا نرجع ما هذا برأي)) .

فكتب سليمان رسالة جوابية إلى الوالي شكره على شعوره وإحساسه إزاء جيش التوابين ، ثم قال له بالحرف :

((أن القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم وتوجهوا إلى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم)) .

ثم أنطلق هذا الجيش بالآفة الخمسة إلى هيت على شاطىء الفرات ومن هناك إلى بلدة {قرقيسيا} ، وكان والي هذه البلدة يدعى {زفر بن الحارث ألكلابي} وهو ممن يؤيد أبن الزبير ويكن العداء الصارخ للأمويين ، حيث رحب هذا الوالي بجيش التوابين واستضافه .

وعند مغادرة الجيش للبلدة شيّعهم زفر إلى خارجها كما وقدم لهم أبلاً عديدة وما تحتاجه من أعلاف ، كما وأطلعهم ووجههم لاستعمال خطط حديثة قبل وعند المعركة لتضمن لهم انتصارهم على عدوهم كما أشعرهم بالحرف:

((إن عبيد الله بن زياد قد خرج من الرقة على رأس جيش كبير من المقاتلين مثل الشوك والشجر)) .

كما حبّذ لهم :((الاقامة في البلدة لتكون يدهم ويد أهل البلدة واحدة، فإذا جاء العدو المشترك قاتلوه جميعاً)) .

إما جواب سليمان على كل ذلك فكان بعد أن قدّم له الشكر علي شعوره وحسن ضيافته كما يلي :

((كان قد طلب منا أهل مصرنا ذلك فأبينا)) .

وعن أحسن الطرق إلتي ينبغي ممارستها للتغلب على عدوهم عند منازلته وفقاً لهداية زفر فكانت:

((أسبقوهم إلى عين الوردة فاجعلوا المدينة في ظهوركم فيكـــون البلد والماء والمؤن في أيديكم ، ولا تقاتلوهم في فضاء فإنهـــم أكثـــر منكم .... الـــخ)) .

ثم ودّعهم بعد أن دعا لهم بالنصر المؤزر والنجاح الكامل علـــى جيش الشام .

ثم أستمر جيش التوابين في السير إلى إن وصل إلى (عين الوردة) حيث نزلوا فيها واستراحوا عندها لمدة{٥} أيام كما وأراحوا فيهـــا دوابهم ..

وفي هذا الوقت أقبل عبيد الله بن زياد وهو يقود جيش الشـــام الذي جهزه عبد الملك بن مروان ، وكان مروان بن الحكم قد هلـــك في شهر رمضان من هذه السنة فبويع أبنـــه عبـــد الملـــك بالخلافـــة {والحقيقة أن مروان كان حياً حين أقترب الجيشان من بعضهما وأنـــه هو الذي جهّز جيش الشام وأنه قد هلك بعد عدة شهور من معركـــة عين الوردة حيث كانت خلافته ستة أشهر فقط} .

نعم أقبل جيش الشام والذي أعدّ لغرض إخضاع الجزيرة وفـــتح الكوفة ، وغدا على مسافة يوم وليلة من عين الوردة .

وحينذاك خطب سليمان في أصـــحابه ، وبعـــد أن وعظهـــم وذكّرهم بالدار الآخرة ورغبهم فيها قال:

((أما بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم إليه في السير أناء الليل والنهار فإذا القيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا أن الله مع الصابرين .. وأن أنا قتلت فأميركم المسيب بن نجبة فأن قتل فالأمير عبد الله بن سعيد فأن قتل فالأمير عبد الله بن وآل (وائل) فأن قتل فالأمير رفاعة بن شداد)).

وأبتدات المعركة بين الجيشين في يوم الأربعاء {٢٦} وقيل {٢٢} من شهر جمادي الأولى من عام {٦٥هـ} أي بعد مضي أقل من شهرين من خروج التوابين من الكوفة.

وكان النصر في البداية لصالح جيش الكوفة – وأن كان نصراً موقتاً– حيث شن المسيب الفزازي على رأس {٤٠٠} فارس على مقدمة جيش الشام وكانت بقيادة شراحيل بن ذي الكلاع ، وهو على رأس {٤٠٠٠} مقاتل – (أي واحد إلى عشرة) وحمل عليهم حملة رجل واحد وتمكنوا من إلحاق الهزيمة الشنعاء بمقدمة جيش الشام حيث فروا من ساحة المعركة وقد قتل من جيش الشام الكثيرون ونهبت معسكراتهم وكل ما تركوه وراءهم ..

ثم طلب المسيب من مقاتليه العودة إلى مقر قيادة التوابين حيث يقيم سليمان وأركان حربه حيث أستبشر التوابون بهذا النصر وعدّوه أول الفتح على طريق الطلب بدماء شهداء كربلاء .

وحين وصول نبأ هزيمة مقدمة جيش الشام إلى أبن زياد أرسل الحصين بن نمير مسرعاً إلى الجبهة على رأس (١٢) إلف مقاتل وقيل (٢٠) ألف مقاتل لدعم وإسناد جيش الشام .

وهكذا هيأ جيش التوابين بالآفة المحدودة – في حدود (٥) ألاف مقاتل -- لمنازلة جيش الشام والذي يقود بعض وحداته الحصين بن نمير وشراحيل بن ذي الكلاع – بينما بقي ابن زياد في الخلف لتوجيه المعركة وإرسال الإمدادات والمعونات المطلوبة .

كان سليمان قد وضع المسيب الفزازي على ميمنتة وعبد الله بن سعد على الميسرة ورفاعة بن شداد على الجناح ، بينما بقي هو في القلب .

كما أستعد جيش الشام على غرار استعداد جيش التوابين وتم تعيين رؤساء الأجنحة فيه .

وحين أقترب كل جيش من الآخر دعا أهل الشام التوابين قبل المعركة للدخول في طاعة عبد الملك بن مروان { او مروان بن الحكم بالقول الأخر وهو الأصح } .

أما أصحاب سليمان فقد دعوا الجيش الأموي إلى تسليمهم عبيد الله بن زياد والخروج من طاعة (عبد الملك أو مروان) وأل الزبير وردّ الآمر إلى أهل البيت (عليهم السلام) .

وكان بعض قادة جيش التوابين مثل أبو جويرية ألعبدي يطوفون على أصحابهم طيلة أيام الحرب الثلاثة يحرضهم على الحرب والنزال وأنزال أفدح إلا ضرار بجيش العدو والانتقام منهم أشد الانتقام ومن دون هوادة ، ومما كان يقوله أبو جريرية لأصحابه هو :

أبشروا يا عباد الله بكرامة الله ورضوانه فحق والله لمن ليس بينه وبين لقاء إلا حبة ودخول الجنة إلا فراق هذه النفس الأمارة بالسوء أن يكون بفراقها سخياً وبلقاء ربه مسرورا)) •

وفي اليوم الثالث جاءت الإمدادات والتعزيزات المختلفة إلى جيش الشام ليصبح عدد إفراده مايزيد على الـ (٣٠) إلف رجل•

كما وبدأت مع طلوع شمس هذا اليوم (وكان يوم جمعة) المعارك بين الطرفين وكان قتالاً ضارباً و شديداً أستمر وإلى وقت الضحى ، ثم تكاثر أهل الشام على أهل الكوفة وأحاطوا بهم من كل جانب أحاطة السوار بالمعصم•

وحين رأى سليمان تدهور الموقف واستبعاد كسب المعركة للتفاوت الكبير بين الجيشين نزل من فرسه ونادى برفيع صوته

((يا عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإليّ)) •

ثم كسر جفن سيفه ونزل إليه أناس كثيرون حيث كسروا جفون سيوفهم ومشوا معه إلى ساحة المعركة لمنازلة أهل الشام حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ،

فأبى كل طرف قبول مطلب ودعوة الطرف الآخر وهذه عجلت دق أبواب الحرب وطبولها .

وهنا أخذ سليمان يحرض أصحابه من التوابين على القتال يبشرهم بالجنة ، ثم تقدم بنفسه إلى أمام جيش الشام وأخذ ينشد:

إليك ربي تبت من ذنوبي وقد علاني من الورى مشيبي

فأرحم عبيدا غير ما تكذيب وأغفر ذنوبي سيدي وحوبي

وعندها وفي يوم الأربعاء من شهر جمادي الثاني عام (٦٥هـ) حملت ميمنة التوابين على مسيرة جيش الشام ومسيرتهم على ميمنته ، كما وحمل سليمان وهو في القلب على قلب جيش الشام فأنهزم أهل الشام إلى معسكر ولازال الظفر معقوداً لأهل الكوفة إلى أن جاء الليل فحجز بين الطرفين .

وعند صباح اليوم التالي الخميس جاءت الإمدادات من ... أبن ... تترى إلى جيش الشام فأصبح عدد مقاتليه ينوف على أل (٢٠) ... رجل .

وأستمر القتال العنيف بين الطرفين طوال نهار اليوم الثاني وهو ... لم ير مثله سابقاً إلا قليلاً ولم يحجز بين الطرفين إلا الصلاة .

وعند المساء عاد الجيشان إلى مواقعهما بعد أن لحقت بهما ... ابات مؤثرة وبليغة .

ولما رأى الحصين بن نمير قائد قلب جيش الشام ذلك أصدر أوامره الفورية إلى الرّجالة لأن ترمي جيش الكوفة بالنبل ، وبالفعل جاءت السهام كالمطر كما وأحاطت بهم الخيالة والرجالة حتى أستشهد سليمان وكان عمره حينذاك (٩٣) سنة ..

ومن بعد سليمان حمل الراية المسيب القزازي فترحم على سليمان ثم تقدم إلى القتال وكرّ على جيش أهل الشام فقاتل ثم رجع إلى مكانه ، ثم حمل عليهم مرة ثانية ، فلم يزل يحمل عليهم ويقاتلهم ثم يرجع ، وقد فعل ذلك مراراً بعد أن قتل جمعاً كثيراً من جيش الشام ثم تكاثروا عليه حتّى أستشهد على أرض المعركة ..

وحمل الراية من بعده { عبد الله بن سعيد بن نفيل} فترحم على سليمان والمسيب ثم تلى قوله تعالى : {فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} .

ثم حمل على جيش الشام وهو يرتجز:

أرحم الهي عبدك التوابا ولا تؤاخذه فقد أنابا

وفارق الآهلين وألاحبابا يرجو بذاك الفوز والثوابا

وقاتل قتال الأبطال والشجعان حتى صرع على ساحة المعركة .

ثم حمل الراية من بعده عبد الله بن وأل{وائل} فحمل على جيش العدو وهو ينشد :

نفسي فداكم أذكروا الميثاقا وصابرو هم واحذروا النفاقا

لا كوفة نبغي ولا عراقـــا لا بل نريد الموت والعناقـــا

فقاتل قتالاً شديداً وهو يردد بين صفوف العدو برفيع صوته:

((من أراد الحياة إلتي ليس بعدها موت والراحة إلتي ليس بعـــدها نصب والسرور الذي ليس بعده حزن فليتقرّب إلى الله تعالى بقتـــال هؤلاء .. الرواح إلى الجنة)).

كما و حمل هو وجمع من أصحابه على جيش الشام فقاتلوا بعنف وضراوة حتى كشفوا أهل الشام عن مواضعهم ، وبعد ذلك تكاثروا عليه حتى أستشهد .

وفي الأخير حمل الراية رفاعة بن شداد ، وقد تشاور الأخير مـــع أصحابه بصدد المعركة القائمة والتفاوت الكبير بين أعداد كل جيش ، حيث أقترح عليهم العودة إلى الكوفة لإنقاذ من بقـــي ســـالماً مـــن المقاتلين من وطيس الحرب ، حيث بات لا أمل لهم في كسب المعركة لكثرة عدد جيش أهل الشام وتتابع الإمدادات العســـكرية علـــيهم بانتظام- ولعل الله يجمعهم –منهم قتال أهل الشام – ليوم هو شر لهم.

إلا أن كثيرين من التوابين لم يؤيدوا أو يوافقوا الصيغة والصـــورة إلتي أعلنها رفاعة للانسحاب لأنها بحاجة إلى تعـــديل ، حيـــث قـــال أحدهم بصدد ذلك وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر بالحرف:

((ليس هذا برأي لئن انصرفنا ليتبعونا فلا نسير فرسخاً حتى نقتل عن أخرنا ، وأن نجا منا أحد أخذته العرب يتقربون بنه إليهم فيقتل صبراً .. والراي : أن الشمس هي على أبواب الغروب فنقاتلهم على خيلنا فإذا حل الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الجهة التي نتوجه إليها)) .

فأيده رفاعة ومن كان حاضراً على مقترحه هذا ثم قام رفاعة وأخذ الراية وقاتل جيش الشام قتالاً عنيفا وهو يرتجز:

يا رب أني تائب اليكا قد اتكلت سيدي عليكا
قدماً أرجي الخير من يديكا فأجعل ثوابي أملي لديكا

وأراد أهل الشام أن يستأصلوا جيش التوابين ويبيدوهم عن بكرة أبيهم قبل غروب شمس اليوم الثالث ، إلا أنه قد تعذر عليهم ذلك لشدة مقاومة وعنف قتال أهل الكوفة لهم وقوة باسهم وشجاعتهم.

فلما أمسى المساء لليوم الثالث رجع جيش الشام إلى معسكره ، أما رفاعة فقد سار بأهل الكوفة ليلته كلها من دون توقف وجعل لا يمر بجسر إلا حطمه خوفاً من الطلب والملاحقة من قبل جيش الشام وقد جعلوا خلفهم (ابا الجويرية) مع (٧٠) فارساً لحماية ظهر جيش الكوفة المنسحب بانتظام من ساحة المعركة ولحمل واعانة كل من

يسقط من مراتب الجيش فضلاً عن حمل كل متاع قد يسقط من عند إفراد هذا الجيش ليوصلوه إلى صاحبه .

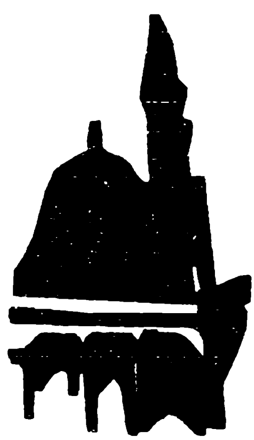
وعند الصباح لم يجد الحصين بن نمير أمامه أحداً من جيش التوابين فتركه ولم يبعث أحداً لملاحقته وتمزيقه .

ووصل من تبقى من جيش التوابين المنسحب إلى (قرقيسيا) فعرض عليهم (زفر) إلا قامة فأقاموا في ضيافته ثلاثة أيام ثم ساروا إلى الكوفة ، وقبل وصولهم الكوفة تفرق إفراد الجيش كل إلى بلده انتظارا ليوم هو أشد على أهل الشام من أيامهم السابقة . [14] وكان هذا اليوم المنتظر قد تم وتحقق على يد رجل كفؤ تتوفر فيه صفات القيادة وألادارة وهو المختار الثقفي الذي تسنم السلطة في السنة التالية (٦٦هـ) ،حيث جهز جيشاً بقيادة إبراهيم الاشتر النخعي لمحاربة جيش الشام بقيادة عبيد الله أبن زياد ، حيث أذاق جيش الشام الأمرين وسقاهم من الكأس الذي سقوا به التوابين ، ثم أنتقم لشهداء عين الوردة أنتقاماً عنيفاً ليس له نظير .

---

[14] ان الانسحاب المنظم الذي قام به رفاعة بن شداد يعد نصرا لجيش الكوفة وليس هو خسارة أو هزيمة له ، حيث ظلت الأعداد التي سلمت من الحرب مع العدو في عين الحلوة سالمة من دون ان يبيدها هذا العدو لتصبح في خبر كان – وهذا الأمر يذكرنا بالانسحاب المنظم الذي قام به الجنرال الألماني رومل في الأربعينات (وخلال الحرب العالمية الثانية) لقواته عبر صحراء شمال أفريقيا ،بعد تعاظم قوة الحلفاء وضعف إمكانيته الدفاعية والهجومية . حيث نعد عملية الانسحاب هذه نصرا لرومل لأنه حافظ على قواته من التمزق وأوصلها إلى قواعدها الأولى سالمه .

حيث أتى غالبية جيش الشام وفي مقدمتهم ابن زياد والحصين وهما ممن أسهما في قتال الحسين(ع) وسبي عياله ، حيث سقط الاثنان على أرض معركة الخازر صريعين غير مأسوف عليهما وتلاحقهما لعنة التاريخ على ما عملت أيديهم من بطش وعنف وقتل وتصفية ســواء إزاء أهل البيت أو أعوانهم وأنصارهم وفي هذه البلدة أو تلك .



على طريق الثورة

أن فشل التوابين في معركة عين الوردة مع الجيش الأموي لقلة عددهم في مقابل جيش عدوهم، دعا أحد قادتهم وهو{ رفاعة بن شداد} لأن يتخذ قراراً صائباً وهو الانسحاب المنظم من المعركة من دون هزيمة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من جند التوابين والعودة بهم سالمين إلى الكوفة.

هذا وأن فشل هؤلاء في القضاء على الجيش الأموي وما الحق في صفوفهم من خسائر وأضرار لم يكن ليضعف من عزيمة المختار أو يفت في عضده أو يقلل من نشاطه أو يهبط من معنوياته، بل أن المختار قد صعد من نضاله وكفاحه بعد النتيجة المخيبة والمرة إلتي منى به جيش التوابين في الجزيرة وعند حدود الشام..

حيث أخذ المختار في العمل الدؤوب لجمع وتنظيم العناصر الموالية لأهل البيت ونفث روح التضحية والأقدام في نفوسهم ليكونوا على أهبة الاستعداد للثورة على النظام القائم في الكوفة ومن ثم ملاحقة كل شخص تلطخت يداه بدم شهداء كربلاء وتحت كل حجر أو مدر..

وفي سبيل تحقيق ذلك فقد أستقر المختار في عقر داره بالكوفة، حيث أخذ الموالون والمناصرون لأهل البيت يختلفون عليه في هذه الدار لتأييد وتجديد قيادته الحكيمة في تنظيم وتعبئة الجماهير للثورة

ومن ثم الطلب بالدماء الزكية لأهل البيت ، وهو نفس ما قــام بــه ومارسه أهل الكوفة مع مسلم بن عقيل عند قدومــه إليهــا موفــداً وسفيراً من قبل الأمام الحسين(ع) عام(٦٠هـ) .

لقد كان أكثر من استجاب لنداء المختار وأنصــت إلى أقوالــه وتقبل أفكاره هي قبيلة همدان القحطانية اليمانية وأفخاذهــا حاشــد وبكيل ... الــــخ بسبب أن غالبية إفراد هذه القبيلة بمــا في ذلك قادها كانوا قد أسلموا في اليمن مرة واحدة عند بدء الدعوة وعلى يد الأمام علي(عليه السلام) حين أرسله الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) إليهــا وإلى سواها من القبائل اليمانية لعرض الإسلام عليهم وإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الهداية والأيمان ..

ومن عظم أخلاص أبناء هذه القبيلة للإمام علي (عليه السلام) وكونها العمود الفقري في معاركه إلتي خاضها ضد أعدائه ينقل عنــه (عليه السلام) هذا البيت من الشعر في الإشادة بها ومدحها وهو:

ولــــو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان أدخلوا بسلام

ولقد ظلت غالبية إفراد هذه القبيلة تنصر الأمام علي(عليه السلام) وأولاده من بعده حتى في أحلك الظـروف وأقســاها ...... بمــا في ذلــك انضمامها ونصرها لكل الحركات والانتفاضات إلتي قامت عبر الزمن لتقويض دعائم الحكومات والأنظمة المناوئة لأهل البيت ..

وحتى من يفلت من إفرادها ولا يوالي أهل البيت لسبب أو لآخر فأنه لا يقف من أهل هذا البيت موقفاً عدائياً أو سلبياً . . [15]

كما واستجاب للمختار ووعد في نصرته والجهاد تحت لوائه أيضاً الموالي (من غير العرب) والذين كانوا يقيمون في الكوفة ويدعون بـ (الحمراء) لحمرة في وجوههم ، وقد بلغ تعدادهم في الكوفة حينذاك زهاء (٢٠) إلف نسمة .

والظاهر هنا أن نصرة هؤلاء للمختار ودعوته للانتصار لحق أهل البيت قد جاءت بسبب النظرة الخاصة والضيقة إلتي كان ينظرها إليهم الأمويون والزبيريون ، ونتيجة للظلم والجور والتعسف الذي أنزله هؤلاء في صفوفهم لكونهم ينتمون إلى أصول غير عربية ، وهذا الحال دفعهم ليكونوا من الموالين والمناصرين لأهل البيت (ع) بسبب أن نظرة أئمة أهل البيت إلى الناس كافة كانت إنسانية محضة - كما هو الحال في الإسلام - من دون تمييز في اللون أو العرق أو التبعية . .

لذا نجد أن المسلمين من الأصول غير العربية - وعبر الزمن - كانت تميل إلى أهل البيت غالباً وتدعم مواقفهم وأفكارهم وتطلعاتهم . .

---

[15] لقد تمت الإشارة إلى تاريخ دخول الإسلام إلى اليمن وكيفية إشهار قبيلة همدان وسواها للإسلام إضافة إلى حضارة وتاريخ اليمن منذ خمسة آلاف سنة حتى الآن وسوى ذلك في كتابنا (اليمن بين مفاخر الأجداد ومآثر الأحفاد)

كما وضاعف من قوة المختار وعزمه على الثورة ، هو أن البعض من الموالين لأهل البيت حين دعاهم المختار للانضمام إلى جانبه والجهاد تحت لوائه ، قد آثروا الذهاب إلى المدينة المنورة ليقفوا عن كثب على رأي وموقف الأمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وعمه محمد بن الحنيفة من أمكانية نصرة المختار والحرب معه ضد أركان السلطة القائمة .

وعند وصول هؤلاء إلى المدينة توجهوا أولاً إلى أبن الحنفية وفاتحوه إزاء هذا الموضوع فأجابهم :

((والله لوددّت أن الله أنتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه)) .

وتنقل بعض الروايات هنا أن محمد بن الحنيفة طلب من هؤلاء – بعد مقولته الأنفة لهم – طلب منهم استصحابه إلى مقر ومنزل أمامه وأمامهم علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) للوقوف بأنفسهم وعن كثب على رأيه حول الموضوع .

وحين دخلوا عليه وأشعروه بواقع الحال والأمر الذي جاءوا من أجله إلى المدينة أجابهم (عليه السلام) بالقول :

((يا عم لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته ، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت)) .

فخرجوا من عنده وقد سمعوا كلامه وجهاً لوجه وهم يقولون :

((إذن لنا زين العابدين (عليه السلام) ومحمد بن الحنفية)) .

وبعد عودة هؤلاء ألي الكوفة بعد شهر أو أكثر من مغادرتهم لها ، أحاطوا المختار بموقف الأمام زين العابدين (ع) ومحمد بن الحنيفة إزاء الذين ينصرون أهل البيت ويذودون عن حقهم وتحت قيادة وآمرة أي رجل كان وأن كان هذا زنجياً حبشياً » .

فسرّ المختار وأغتبط لهذا الموقف وكبّر الله تعالى بصوت عال هذا وعند انتشار هذا الخبر وشيوعه بين صفوف أبناء الكوفة أدى إلى انضمام أعداد كبيرة من الموالين لأهل البيت بما فيهم - الكيسانية والتي كانت توالي أبن الحنيفة وتسكن الكوفة ، انضمام هؤلاء إلى صفوف القوة إلتي أخذ يعدّها المختار بهدوء ونظام للانقضاض بها على معاقل وأوكار النظام القائم ونسفها من الأساس.

وهكذا أكسبت مباركة الأمام زين العابدين (ع) ومحمد بن الحنفية أكسبت المختار شهرة عامة وذيوعاً وبات الناس في الكوفة يتقبلون ويصغون إلى أقواله وأفكاره ..

ومن أجل دعم جبهة المختار وإسنادها وبعث دم جديد فيها ، أشار البعض من أعوان المختار عليه بضرورة ولزوم دعوة إبراهيم بن مالك الأشتر ألنخعي للانضمام إلى صفوفهم والتعاون معهم لأنه متى جاء معنا أبن الأشتر خرجنا بأذن الله تعالى على عدونا ونازلناه » .

ذلك لأن موافقة الأخير على التعاون والالتحاق بجبهة المختار سيقوي ساعدها ويزيد من بأسها وقوتها إزاء أعدائها وخصومها ،

ذلك بسبب كون أبن الأشتر شاباً قوياً متمرساً على صنوف القتال والنزال ، وهو أيضاً أبن عسكري وقائد مشهور له مواقفه المميزة والمشرفة في دعم ونصرة الأمام علي (ع) من قبل بما ليس له نظير .

هذا فضلاً عن انتسابه إلى قبيلة قحطا نية يمانية ذات قوة ومنعة وباس يرهبها الناس ويحسبون لها إلف حساب .

ولقد أجابهم المختار بالإيجاب وطلب منهم مواجهته وأشعاره بحقيقة نضالهم وكفاحهم ، حيث أن كل هذا مكرّس ومنصّب للإطاحة بالنظام والطلب – من ثم – بدماء الحسين وأهل بيته وأصحابه ، كما طلب منهم عند اللقاء معه تذكيره بموقف والده المشرف في نصرة الأمام علي (ع) طيلة سني حياته .

وبالفعل ذهب البعض ممن كلفوا بهذه المهمة إلى إبراهيم ألنخعي وكشفوا له عن كافة أوراقهم ثم تم مفاتحته بصدد التعاون معهم وتقديم العون والمساعدة في سبيل العمل بكتاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء الحسين (ع) وقتال الظالمين والدفع عن الضعفاء والمقهورين ، كما وذكروه بموقف أبيه – مالك الأشتر – المميز في دعمه وإسناده الدائم للإمام علي (ع) في كل وقائعه ومواقفه في هذا المكان أوذاك .

وبعد مناقشات مستفيضة وأخذ ورد معه بما في ذلك – كما تقول بعض الروايات – (طلبه لأن يكون رئيساً لا مرؤوساً) والحق

إبراهيم في النهاية على مبايعة المختار والتعاون والعمل معه لتحقيق وبلوغ الأهداف والمبادئ والخطط التي وضعها المختار لإعلان الثورة على السلطة القائمة للإطاحة بها .

وغير خاف هنا على أحد أن إبراهيم كان يرأس قبيلة ذات عدد وعدة ، وهي تطيعه وتكاد تعبده حباً وطاعة ، فضلاً عن كونه شجاعاً لا يهاب الموت ولا ترهبه الآلاف المؤلفة من الناس ، وأنه قائد محنك وفارس مغوار لا يشق له غبار ..

لذا كان انضمامه إلى صفوف المختار كسباً كبيراً وهائلاً لها وهو ما لم يحلم به أحد من قبل وكان أيضاً دفعة قوية للمجهود الحربي في سبيل تحقيق أهدافه ومقاصده .

كان إبراهيم – عقب التحاقه بالثورة – يجمع أخوته وعشيرته ومواليه ويذهب بهم في كل عشية إلى دار المختار للتداول معه في شؤون الساعة ومستجدات الأحداث والوقائع أولا بأول ليمكن ويتاح المجال على ضوء ذلك من تحديد ساعة الصفر للانقضاض على أوكار الطغاة والظالمين ومسحها وليصبح في الأمكان من ثم أقامة حكومة العدل والحرية على أنقاضها ليتاح له من بعد ذلك الطلب بدماء الشهداء الأبرار الذين صرعوا على رمضاء كربلاء في يوم عاشوراء من عام(٦١هـ) .

وفي غمرة تزايد وتضاعف أعداد أعـوان المختـار وأنـصاره وتأهبهم للحركة وخوض الحرب ضد خصومهم ، عزل أبن الـزبير واليه (عبد الله بن يزيد) وأمير الخراج (إبراهيم بن محمد بن طلحـة) من مناصبهم وعين محلهما على الكوفة والياً جديداً هو (عبد الله بـن مطيع) .

وحين تسلم الوالي الجديد مهام عمله في قصر الإمارة أخـذت تتوارد عليه تقارير عيونه وأرصاده عن الوضع في البلدة . .

ولقد جاءه مرة أحد رجال شرطته الكبار ويدعى (اياس بـن مضارب) وأشعره بقلقة الكبير على الوضع الأمني في البلدة ، حيـث أخذت الناس بالالتفاف حول المختار ، وأن الأخير يوشك أن يتمـرد على السلطة ويعلن الثورة عليها ، ودعاه للقبض عليـه وإلقائـه في غيابت السجن .

ونتيجة لهذه الإخبارية من أحد كبار شرطته بعث الـوالي إلى المختار رجلين كلاهما من قبيلة همدان هما (زائدة بن قدامه) و (حسين بن عبد الله) لجلبه وإحضاره أمامه .

وقد أستعد المختار لمصاحبتهما إلى الوالي حيث أرتدي ثيابه وهيأ دابته للخروج معهما وفي هذه اللحظة قرأ زائدة قوله تعـالى ((وإذ

يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) .[١٦]

فشعر المختار بالقصد من تلاوة هذه الآية في هذا الوقت حيث أن حياته في خطر وأنه لو ذهب معهما لألقي القبض عليه فعاد وخلع ثيابه و أستلقي في فراشه وطلب تغطيته وقال { قد وعكت} في هذه اللحظة .

وتمثل بقول الشاعر :

إذا ما معشر تركوا نداهم	ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

ثم قال المختار للرسولين : ((أرجعا إلى أبن مطيع فأخبراه بحالتي الصحية)) وتعذرّ مجيئي إليه الآن . فرجعا ، وفي الطريق قال حسين لزائدة : ((أني فهمت مقصدك حين تلوّت الآية الكريمة)) . .

فأنكر زائدة أن يكون له قصد معين من ذلك .

فأجابه حسين : ((لا تخف فما كنت لا بلغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه)) .

وحين وصولهم إلى الوالي أشعره بحالة المختار الصحية وتعذرّ حضوره الآن فصدقهما وتركه لحاله من دون اتخاذ أي إجراء أخر بحقه من قريب أو بعيد .

---

(١٦) الانفال - ٣٠

ونشير هنا لو أن هذين الرسولين كانا من غير قبيلة همدان لكان لهما موقف آخر من المختار ليس في صالح الأخير .

كما ويروي هنا إن ابن مطيع كان قد بعث إلى المختار من يسأله عن حقيقة وطبيعة الفئات والجماعات التي تدخل إلى داره وتخرج منه كل يوم.

فأجابه بإيجاز :

((أني مريض)) يعاد فسكت عنه الوالي وتركه لحاله . .

ويظهر هنا وكما سنرى من سير الأحداث أن ابن مطيع كانت له علاقة أو صداقة قديمة وخاصة مع المختار ، لذا فقد حالت هذه دون اتخاذ إجراءات مشددة وقاسية إزاءه .

وبالمقابل فقد ردّ المختار على هذا الجميل عند استيلائه على السلطة منه ، حيث لم يعتقله أو يمسه بسوء بل مدّه ببعض المال مما كان موجوداً في بيت المال لتسهيل أمر سفره إلى البصرة أو مكة .

وهذه هي أحدى فضائل وأخلاق المختار ، وعن مثل هذه الحالة نظم الشاعر :

هذه من علاه أحدى المعالي وعلى هذه فقّس ما سواها

إشعال لهيب الثورة

بعد أن تمت الاستعدادات وبدء العد التنازلي تمهيداً للوصول إلى ساعة الصفر ، أتفق المختار مع أصحابه بما فيهم القائد إبراهيم الأشتر على أن يكون مساء الأربعاء {ليلة الخميس} المصادف ليوم ١٤ من شهر ربيع الأول لعام {٦٦هـ} المصادف ١٩ تشرين الأول من عام ٦٠٥م وبعد صلاة العشاء – في خلافة عبد الملك بن مروان – الذي تولى السلطة عقب وفاة والده مروان في ٣ رمضان من عام٦٥هـ موعداً لساعة الصفر وقيام الثورة على السلطة في الكوفة .

ويتم الإشعار عن ذلك بإشعال النيران المكثفة فوق السطوح والساحات العامة والشوارع والأزقة .

وكان العملاء والعيون ينقلون ويرفعون أولا بأول التقارير السرية إلى الوالي في قصر الإمارة محذرّين فيها من أمكانية اندلاع حركة تمرد ثورية في أية لحظة بقيادة المختار الثقفي للإطاحة بالحكم القائم في البلد وإقامة حكومة علوية محلها .

لذا – وتلافياً لما سيقع – فقد وضعت السلطة قواتها المسلحة تحت أهبة الاستعداد وفي أعلى درجات التهيؤ ، كما وكثفّت من سيطرات ودوريات الأمن والشرطة في جميع إرجاء البلدة والتي يبلغ

مجموع أعدادها حوالي{٢٠} إلف مقاتل في مقابل {٥} الآف مقاتل وهو مجموع جيش المختار الذي أمكن جمعه وتهيئته ٠

وطلبت السلطة من مقاتليها التهيؤ والاستعداد الكامل لمواجهة الموقف ، فضلاً عن مطالبتها في أن تجوب هذه أزقة وشوارع الكوفة لحفظ وحراسة المناطق إلتي تمر بها ٠

وفي مساء الاثنين {ليلة الثلاثاء} المصادف ليوم ١٢ من شهر ربيع الأول أي قبل الوقت المقرر لإشعال فتيل الثورة – أي ساعة الصفر – {بيومين فقط} ، وبينما كان القائد إبراهيم الأشتر ومعه عدة من أعوانه وأنصاره في طريقهم – كالعادة – إلى دار المختار بالكوفة وهم مدججون بكامل أسلحتهم بعد أدائهم لصلاة المغرب جماعة ، اعترضت طريقهم أحدى سيطرات الشرطة الرئيسية وإلتي كانت تحت قيادة {أياس بن ضارب } والذي عين أميراً أو رئيساً لشرطة الوالي ٠

وحينها صاح قائد الوحدة العسكرية { أياس} في وجه إبراهيم: ((من أنتم))

فأجابه إبراهيم : ((أنا إبراهيم بن مالك الأشتر)) ٠

وهنا قال قائد الوحدة بصوت عال لإبراهيم:

((من هؤلاء الذين معك وماذا تريد وهل لديك ترخيص بالخروج ليلاً والله أن أمرك لمريب فقد بلغني أنك تمر كل عشية من ها هنا)) ٠

فأجابه إبراهيم : ((كـــــــلا))

وقال قائد الوحدة :

((إذن يجب إلقاء القبض عليكم واعتقالكم حتى آتى بك الأمير فيرى فيك رأيه)) .

وقال له إبراهيم : ((خل سبيلنا)) لنذهب حيث نشاء . .

فأجابه : ((لا أفعل)) .

وفي هذه اللحظة وبعد أن تأزم الموقــف بــين الطــرفين رأى إبراهيم أن الفرصة قد باتت سانحة للوثوب على هذه الوحدة وتصفية قائدها وتشتيت جمعها . .

لذا فقد أوعز إبراهيم لأبناء عشيرة النخع الذين جــاءوا معــه بالهجوم على قائد الوحدة {أياس} ورجاله قبل أن يقوم هذا القائــد بالقبض عليهم وزجهم في غيابت السجن ، حيث تمكن إبراهيم بمــا أوتي من شجاعة نادرة وبأس شديد من تصفية هذا القائد وقطع رأسه ونقله معه إلى دار المختار .

وحينما شاهد رجال الوحدة أن قائدهم قد صــرع وســقط مضرجا بدمه على الأرض لا ذوا بالفرار لا يلوون على شيء .

وأثر ذلك أسرع إبراهيم ألنخعي إلى المختار ليطلعه على الموقف الجديد بعد مصرع قائد الوحدة { أياس} وأنه لا بد من إعلان الثورة فوراً للسيطرة على الموقف قبل فوات الأوان .

وحين التقيا عند باب دار المختار سأله الأخير عما حدث هـــذه الليلة .

فأجابه إبراهيم : ((لقد قتل قائد الوحدة الرئيســـية {أيـــأس} في البلدة وأن رأسه محمول معه وأنه لا مفر بعد هذه الواقعة من الإسراع في إعلان الثورة حالاً ، إلا فسيتم تصفية و إلقاء القبض علـــى كـــل خصوم السلطة ومناوئيها من دون استثناء)) .

فأستبشر المختار لهذا النبأ وتفاءل بالنصر والظفر وقال:

((بشّرك الله بالخير هذا أول الفتح أن شاء الله تعالى)) . [17]

وأثرها أصدر المختار أوامره الفورية بإشعال وإيقاد نيران القصب وفي مختلف شوارع ومحلات الكوفة العامة وعلى سطوح الدور .

وهذه هي أحدى العلامات المتفق عليها بين جموع أنصار المختار وأعوانه للتجمع و التجهمر عندما تدق سلعة الصفر وقيام الثـــورة – وأن سبق هذا الحدث الموعد المتفق عليه بيومين – كما وأوعز المختار إلى بعض أعوانه بإطلاق شعارات الثورة في شوارع البلدة وهي :

((يالثارات الحسين)) و((يا منصور أمت)) والأخير هو شـــعار الرسول (ﷺ) في معركة بدر الكبرى . .

---

[17] المختار الثقفي – كمال السيد

فضلاً عن الإيعاز للبعض الأخر منهم بإطلاق النـداء التـالي في طرقات الكوفة ليسمعه من هو موجود داخل الدور ويتعـذر عليـه مشاهدة النيران الملتهبة هنا وهناك في أواخر الليل والنداء هو هذا:

((يا أيها الحي المهتدون أن أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل (دير هند) وبعثني أليكم فاخرجوا إليه)).

وفي منتصف الليل ووسط الظلام الدامس أستيقظ أهالي الكوفة على شعارات يالثارات الحسين ويا منصور أمـت ، وعلـت ألسـنة النيران المشتعلة والملتهبة هنا وهناك لتصل إلى عنان السماء..

وهكذا عرف الثوار من أنصار المختار أن ساعة الصفر قد دقـت { وأن كانت قبل موعدها المقرر بيومين } حيث تركـوا منـازلهم و جاءوا مسرعين إلى دار المختار – والذي غدا مقراً لقيادة الثـورة – للوقوف على ما أستجد من أحداث فضلاً عـن تلقـي التعليمـات والأوامر الخاصة بإنجاح الثورة وسحق مناوئيها.

وفي هذا نظم الشاعر:

ولما دعا المختار جئنا لنصره   على الخيل تردى من كميت وأشقرا
دعا يالثأرات الحسين فأقبلت   تعادىٰ بفرسـان الصـباح لتثـأرا

كما طلب المختار بدوره درعه وسلاحه وتقلده ليبرهن على إخلاصه للقضية إلتي يعمل من اجلها ، وأنه أول من يحارب وأخر من يضـع سلاحه.

كما وليبرهن أيضاً عن قوته وبأسه في مواجهة الأعداء عند أحلك الظروف وأقساها حيث كانت شجاعته ومواقفه الحربية مضرب الأمثال ، حيث كان يخرج من كل منازلة واشتباك مرفوع الجبين والهامة رغم كونه صائماً في مثل هذه الأوقات العصيبة..

وعند استعداده وخروجه إلى ميدان الحرب أخذ ينشد:

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الخدين عجزاء الكفل
إني غداة الروع مقدام بطل لا عاجز فيها ولا وغد فشل

ولقد جرت معارك ضارية في أزقة الكوفة وشوارعها بين جنود السلطة الزبيرية ومن لفّ لفهم وأعانهم من أذناب العهد الأموي السابق بما فيهم من شارك في قتال الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء والذي قدر مجموعهم بحوالي {٢٠} إلف نسمة.

وبين جند المختار وأنصاره وكل الموالين لحق أهل البيت والذين قدر عددهم بـ {٥} إلآف مقاتل نزلوا إلى الشوارع ومن ضمنهم إفراد القبائل اليمانية كهمدان وبنو شاكر والنخع.

حيث تمكن قائد القبيلة الأخيرة إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي بما أوتيَ من شجاعة وبسالة وإقدام أن ينتزع النصر في هذه المعارك في النهاية ويغيّر الموقف العسكري إلى صالحه وجانبه بعد حرب شوارع ليلية عنيفة وعمليات كر وفر عديدة.

وكان هذا القائد بعد أن أستنفر أبناء قبيلته كلـــها في تلــك الليلة ؟ يشجّعهم على الصمود والتضــحية والفــداء والتصــدي لهجمات الأعداء ، كما كان يبث فيهم الثقــة والأمــل بشــجاعته المعهودة ورباطة جأشه وهو يخاطب جنده برفيع صوته ويقول لهم:
(لايهو لنكم كثرة هؤلاء فرب فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله) ٠

وبعد فترة من المعارك الليلية الضاربة في أزقة الكوفة وســككها {في تفصيل لا تسع هذه الدراسة الموجزة لإيراده} أســتقر الموقــف وانتهت المعارك باستسلام جنود والي الكوفة وشرطته من دون قيــد أو شرط، كما اختفى وفرّ منهم من أستطاع ذلك في زوايا الكوفة أو إلى خارجها بما فيهم والي الكوفة نفسه والذي لاذ بالفرار واختفى في دار أبي موسى الأشعري تمهيداً للخروج منها إلى البصرة حيــث يتــولى إداراتها مصعب بن الزبير ٠

وهكذا باتت الكوفة أثر ذلك تحت يد المختار الثقفي وســلطته الكاملة والتامة ٠ وفي اليوم التالي وفي وسط مسجد الكوفة ارتقــى المختار المنبر ليعلن من قمته أهداف الثورة ومبادئها والخطوط الأولية لها ،حيث خاطب الجماهير الغفيرة إلتي احتشدت واجتمعــت تحــت منبره وملاءت ساحة المسجد برمته بقوله:

((تبايعوني على العمل بكتاب الله [18] وسنة نبيه [19]))

والطلب بدماء أهل البيت(ع) .

وجهاد المحلين (الذين أحلّوا ما حرّم الله) .

والدفاع عن الفقراء................)) .

فصاحت الجماهير المحتشدة وبصوت عال ((موافقون ، موافقون ، موافقون)) حتى لم يبق بيت في الكوفة – على سعتها – لم تصله هذه الصيحة وهذا النداء .

وأثرها عمت الفرحة والبهجة نفوس الناس وانتشرت تجمعات ومسيرات التأييد والمباركة في شوارع وأزقة البلدة للحاكم الجديد ، حيث لمسوا في سياسة المختار بعض ما رأوه سابقاً من عدل علي (ع) ومساواته بين الناس خصوصاً بعد أن ألغى المختار سياسة

---

[18] ان الكتاب هنا هو القرآن الكريم وان أحسن واجمع تعريف له هو ما ورد في كتاب (لمحات من تاريخ القرآن) للمؤلف وهو بالحرف : (كلام الله تعالى المعجز المنزل وحيا على قلب الرسول الأمين (ص) بواسطة الأمين جبرائيل بألفاظه العربية ومعانيه الحقه ليكون معجزه له ودستورا له ولامته وهو الموجود مابين الدفتين المنقول عنه بالتواتر القطعي جملة وتفصيلا من دون تحريف او تغير زيادة أو نقصان والمتعبد بتلاوته المبتدأ بصورة الفاتحة والمختتم بصورة الناس وهو خاتم الكتب السماوية .

[19] يذهب البعض إلى إن السنة هي الحديث وهما شيء واحد ، كما ويرى البعض الآخر إن هناك فروقاً بينهما وعدم خلط احدهما بالآخر – والحقيقة هنا (كما جاء في كتاب لمحات من تاريخ القرآن للمؤلف) إن هناك فروقا بسيطة بين كلمة الحديث وكلمة السنة فالحديث : هو ما حدث به عن النبي (ص) وهو اسم من التحدث بمعنى الأخبار – أما السنة : فهو بقطع النظر عن كون هذا التحديث موجودا او غير موجود – هي العادة او الطريقة الدينية او القانونية التي سلكها النبي (ص) وسيرته المطهرة – فقد تكون السنة كالحديث قولا كما وقد تكون فعلا وقد تكون تقريرا – لذا فكل حديث سنة وليس كل سنة حديث – أما الأحاديث القدسية فهي : المواعظ التي كان الرسول (ص) يلقيها أحيانا على أصحابه ويحكيها عن الله تعالى .

التمييز العنصري إلتي مارسها الأمويين وأذنابهم في تفضيلهم للعـــرب على كل المسلمين الذين هم من عروق وأصول غير عربية ، وتأكيده على مبدأ العدالة في الغنم والغرم ، فضلاً عن أعادة الحقوق إلى أهلها والإحسان إلى الفقراء والضعفاء ونصرة المظلومين والضرب بيد مـــن حديد على يد كل معتد أثيم ، وبناء من هدمت داره وتـــزويج مـــن يحتاج إلى الزواج..... الـــخ

وبالجملة تولى القيام بتنفيذ كل عمل صالح حتى ينقل هنا عن الإمام محمد الباقر(ع) قوله:

((لا تسبوا المختار فأنه قتل قتلتنا وطلب بثأرنا وزوج أراملنـــا وقسم فينا المال على العسرة...))[٢٠]

وتبقى قضية الطلب بدماء شهداء كـــربلاء الشـــغل الشـــاغل للمختار وهمه الأول والرئيسي لأنه كان لا يستقر ولا يهدأ في حلـــه وترحاله وعند نومه ويقظته مع وجود شخص واحد من قتلة الحســـين (عليه السلام) أو ممن ساهم في هذا القتل أو أعان عليه من بعيـــد أو قريـــب وهو لا يزال حياً يرزق ويمشي بطوله على سطح الأرض..

وبالفعل فقد نفذ المختار وبكل دقة وأمانه ما كان يؤمن به ويعمل من أجله طيلة سني حياته حين وصوله واستلامه للقيادة والســـلطة في الكوفة ، حيث تتبع كل من أسهم في سفك دماء الشهداء في كربلاء

---

[٢٠] رجال الكشي - الكشي

وفي كل زاوية وناحية وتحت كل حجر ومدر ليقتص منهم جراء ما عملته أيديهم الخائبة .

كما وأرسل رؤوس بعض قادة هؤلاء الأشرار إلى المدينة المنورة ليقرّبها عيون أهل البيت هناك للتخفيف مما أصابهم من عنت وألم نتيجة للمصاب الجلل الذي ألم بساحتهم باستشهاد الحسين(ع) وأهل بيته وأصحابه في عر صات كربلاء ..

حتى ينقل هنا عن الإمام محمد الباقر(عليه السلام) حول الموضوع قوله:
((ما مشطت هاشمية شعرها ولا خضّبت رأسها حتى أرسل المختار إلينا رؤوس قتلة الحسين(عليه السلام))) .

وفي ختام هذا الفصل ندرج في أدناه بعض أبيات القصيدة التي نظمها الشاعر عبد الله بن همام وهو يذكر المختار وأصحابه ويصف ليلة الثورة وملابساتها وأستنفار القبائل للدفاع عنها وأنجاحها ... الخ ..

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى	ويلهيه عن رؤد الشباب شموع
دعا يالثارات الحسين فأقبلت	كتائب من همدان بعد [illegible]
ومن مذحج جاء الرئيس أبن مالك	يقود جموعاً أردفت بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره	بكل فتى حامي الدمار منيع
وجاء نعيم خير شيبان كلها	بأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما أبن شميط آذ يحرض قومه	هناك بمخذول ولا بمضيع

وسار أبو النعمان لله سعيـــــه … إلى أبن أيأس معمراً لوقوع

وآب الهدى حقاً إلى مستقـــره … بخير إياب آبه ورجــــوع

إلى الهاشمي المهتدي والمهتدى به … فنحن له من سامع ومطيع

ما وراء النصر

بعد أن استولى المختار على السلطة في الكوفة وغدت كلها تحت قبضته دخل قصر الإمارة حيث هو المقر الرسمي ومحل السكن لكل الولاة الذين يولّون على الكوفة .

وكان من عادة المختار أنه إذا أراد أن يشكر الله تعالى على نعمة أو فضل أصابه صام سواء أكان الوقت صيفاً أو شتاءً .

لذا فقد بدأ بالصوم منذ اندلاع المعارك الأخيرة في شوارع وأزقة الكوفة وظل مواظباً على صومه إلى أن حصل له النصر المبين على أعدائه ثم دخوله إلى قصر الإمارة ، وكل ذلك هو شكر لله تعالى على ما أنعم عليه من نعمة النصر والفتح على أعداء الله وأعداء رسوله وأهل بيته الذين تلطخت أيديهم بقتل الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء على أرض كربلاء .

وحين أستتب الأمر للمختار في الكوفة ووصول أنباء ذلك إلى الشام ، قررت السلطة هناك إرسال جيشها الذي خاض معركة عين الوردة مع التوابين بقيادة عبيد الله بن زياد إلى الكوفة لاحتلالها وتصفية أمر المختار وأعوانه .

ولقد تقدم هذا الجيش إلى الموصل واحتلها ثم أستعد للانطلاق نحو الكوفة ..

وفي سبيل إيقاف هذا الجيش عند حده ومنعه من التقدم صوب الكوفة ، أثر المختار أن يبدأه هو بالقتال ، فجهز جيشاً من أبناء الكوفة قدر بـ (٣) ألاف مقاتل ووضع تحت قيادة أحد مناصريه وهو {يزيد بن أنس} والذي كان شيخاً صالحاً ومشهوداً له بالشجاعة والأقدام ..

ولقد خاض هذا الجيش فور وصوله إلى ضواحي الموصل – رغم قلة عدده – معركتين مع طلائع الجيش الأموي وأنتصر فيهما انتصارا ساحقاً ، وأن كان هذا نصراً مؤقتاً لآن المعركة الرئيسية والحاسمة لم تجر بعد ..

وبعد ذلك مباشرة توفي { يزيد بن أنس } قائد جيش المختار ، فأحدثت وفاته تأثيراً وتصدعاً في معنويات المقاتلين بسبب ضخامة الجيش الأموي بالنسبة إلى عدد إفراد جيش المختار ..

وهنا أثر { ورقاء بن عازب الأسدي} والذي عهد إليه يزيد بن أنس بالقيادة محله قبل وفاته ، آثر الانسحاب من الجبهة من غير ما هزيمة إلى الكوفة لتعذر النصر على عدوه بهذا العدد المحدود من الجند لإعادة تنظيمه من جديد ومدّه بدماء حية في العدد والعُدد ..

ولقد أشاع المرجفون والزمر المعادية للعهد الجديد في الكوفة – بعد ذلك – أن جيش المختار قد هزم وأن قائده { يزيد بن أنس} قد صرع في المعارك مع الجيش الأموي..

وهنا أوعز المختار إلى قائده الشجاع إبراهيم بن مالك الأشتر – بدلاً من ورقاء – بالاستعداد والتهيؤ لقيادة جيشه والذي بلغ عدده {٧} آلاف مقاتل والتوجه به صوب الموصل والجزيرة لمواجهة الجيش الأموي ومقاتليه..

وحين مغادرة هذا الجيش أرض الكوفة وأصبح على بعد بضع مراحل منها – وفي ساباط المدائن قرب بغداد على وجه التحديد – أنتهز أعداء المختار ممن تضررت مصالحهم وأمتيازاتهم، وأنصار بني أمية وأتباع أبن الزبير ومن شارك في قتل الحسين (عليه السلام) ....الخ والذين تجمعهم كلهم عبارة {الثورة المضادة} فرصة غياب إبراهيم ألنخعي مع مقاتليه عن الكوفة وخلوا البلدة من كثير من أنصار وأعوان المختار، فاجتمعوا ليلاً في دار شبث بن ربعي، وهو الذي قاد قوات المشاة في حرب الحسين بأرض كربلاء، حيث حاكوا فيها مؤامرة دنيئة للإطاحة بحكومة المختار الفتية والقضاء عليها..

وهكذا خرج كل هؤلاء من جحورهم وأوكارهم واجتمعوا في شوارع الكوفة وأزقتها في زمر مسلحة واتجهوا صوب قصر الإمارة حيث يقيم فيه المختار وأحاطوا به من كل أطرافه.

ورغم عنف الحصار الذي مارسوه إزاء القصر ومن فيه ، إلا أن المختار – لخبرته وكفائتة – قام بإرسال أحد فرسانه من وسط القصر وعلى وجه السرعة إلى إبراهيم ألنخعي ليطلعه على الموقف الجديد في الكوفة بعد مغادرته لها ويأمره بالعودة مع كامل جيشه فوراً إليها حين وصول كتابه هذا للمساهمة في أبعاد زمر المتمردين المحيطين بالقصر وإفشال مخططاتهم ومن ثم البدء في تصفيتهم ..

وتمكن الرسول من الخروج من القصر وأن ينسل من بين جموع المحاصرين له من دون أن تكشف هويته أو هدفه وأن يصل إلى إبراهيم على جناح السرعة ويسلمه كتاب المختار ..

وبعد ثلاثة أيام من هذا الحصار فوجي المتمردون بعودة إبراهيم ألنخعي مع كامل الجيش الذي يتولى قيادته إلى الكوفة ، حيث كان نبأ وصوله كالصاعقة تقع على رؤوس هؤلاء ..

فقام هذا الجيش بالقوة بفك الحصار عن القصر بسرعة والقبض على الكثير ممن ساهم فيه حيث بلغ عددهم { ٥٠٠ } أسير ، فقتل منهم كل من شهد قتل الحسين(ع) وقد بلغ عددهم {٢٤٨} رجلاً وذلك في مجلس واحد ، بينما أطلق سراح الباقين ، وتعد هذه أول التصفيات إلتي أحاقت بقتلة الحسين(عليه السلام) ومن هذا التاريخ تتابعت التصفيات لتأتي في النهاية على أخر من شارك في دم الحسين(عليه السلام)[٢١]

---

(٢١) لقد تم الاشارة الى مسلسل التصفيات هذه في فصل لاحق هو (ولكم في القصاص حياة) .

ثم صاح منادي المختار : ((من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شارك في دم آل محمد)) .

ولقد تمكن البعض من المحاصرين للقصر من الفرار إلى خارج الكوفة إنقاذا لجلودهم من موت محقق و مصير مظلم ، وأن كان هذا الفرار لم ينفعهم شيئاً حيث تم اصطيادهم وتصفيتهم واحداً بعد آخر بمرور الوقت لما جنته أيديهم في يوم الطف .

وبالقضاء على هذا التمرد وخلوا البلدة من الشراذم السائبة التي عبثت بالأمن و النظام ، فقد علا شأن المختار وأنبسط نفوذه حيث أعاد النظام إلى الكوفة وأخذت الأمور تسير سيراً طبيعياً ، كما التف سواد الناس حول المختار ، وأعلن الواقفون في الظل تأييدهم المطلق له والعمل تحت لوائه . .

وفي الطرف الآخر باء خصوم المختار بالخيبة والخذلان بعد أن خسروا أغلب زعمائهم وأهم رجالاتهم ، ولم يبق في الميدان أحد منهم يهدد الأمن أو يخل بالنظام . .

وبذلك فلم يبق صوت في الكوفة يعلو على صوت المختار و لا كلمة تتقدم على كلمته ، حيث بات القائد والزعيم غير المنازع . .

وعند استقرار المختار في قصر الأمارة وجد في خزائنه مالاً كثيراً وهو مما تركه الوالي السابق { عبد الله بن مطيع } ولم يتمكن من

تقله معه عندما تأزم الموقف وأضطر للفرار بجلده حين رجحت كفة المختار في المعارك والمنازلات إلتي سبقت الاستيلاء على القصر ..

وهذا خلاف المألوف ، حيث نرى في حالات كثيرة ومماثلة سرقة الوالي السابق لما تحت يده من أموال المسلمين المحفوظة في بيت المال والفرار بها حين يوشك أعداؤه أن ينزعوا السلطة منه بالقوة بحق أو بدون حق وذلك حتى لا ينتفع بها هؤلاء الأعداد في تثبيت مراكزهم وبسط سلطانهم .

وهنا أحب المختار أن يسدي إلى الوالي السابق جميلاً - لوجود صداقة سابقة ما بينهما - حيث علم أن هذا الأخير كان يوّد مغادرة الكوفة إلا أن قلة ما لديه من المال حال دون ذلك .

لذا فقد بعث إليه بمال وفير { قدر بمائة إلف درهم} ليستعين به في العودة إلى البصرة وكتب مع المال رسالة له قال فيها:

((خذ هذا فقد بلغني أنه لم يمنعك من الخروج سوى قلة ذات يدك)) ..

علماً بان الوالي حين استيلاء المختار على زمام الأمر في الكوفة كان قد اختبأ في دار أبي موسى الأشعري ، وكما هو معروف فأن هذا الأخير كان لا يخفي عداءه الصريح لأهل البيت (عليهم السلام) لذا لا غرابة هنا أن يلجأ الوالي - والذي يحمل مثل هذا الشعور إزاء أهل

البيت (ع) – إلى هذه الدار بسبب أن ((شبه الشيء منجذب إليه)) كما يقول المثل..

لقد سمح المختار للوالي السابق محملاً بما دفع إليه من أموال بمغادرة الكوفة آمناً والى أية جهة يرغب فيها ، إلا أنه آثر الرحيل إلى البصرة حيث يقيم فيها شقيق سيده مصعب بن الزبير ، ويظهر أن رحليه إلى هناك لغرض أن يقدّم لمصعب تقريراً كاملاً عن أحوال الكوفة بعد استيلاء المختار عليها ، لينقل الأخير الأمر إلى أخيه عبد الله بن الزبير في مكة ليرى رأيه حول الوضع الذي أستجد في الكوفة..

هذا وفي اليوم التالي لسيطرة المختار الكاملة على الأمر في الكوفة أشعر سكانها بأنه سيخرج إلى المسجد غداً ليلقي على المجتمعين خطاباً مهماً يضمنه برامجه السياسية والمرحلية القادمة –

وبالفعل اجتمع خلق كثير من أهل الكوفة في مسجدها الجامع في الوقت المحدد وارتقى المختار المنبر وأعلن من قمته وبرفيع صوته سياسته العامة القادمة وما سيقوم به من مشاريع وإصلاحات لتمشيه أمور البلد وشؤونه على خير وجه ..

والمعروف أن المنبر كان في ذلك الوقت هو الوسيلة الإعلامية الوحيدة إمام الحكام والولاة في مسجد الكوفة أو سواه لنقل ما يختمر

في أفكارهم وأذهاهم من كلام أو برامج أو وعد أو وعيد موجه إلى سواد الناس •

وليس بعيداً عنا ما قاله عبيد الله بن زياد أو الحجاج بن يوسف الثقفي من أعلى منبر مسجد الكوفة عند قدومهما إلى الكوفة من تهديد بالويل والثبور ووعيد أقله قطع الأعناق ومصادرة الأموال وتهديم الدور وذلك لغرض أحكام السيطرة على الوضع حتى لا يلفت الزمام أو يطاح بالنظام •

نعم من أعلى منبر مسجد الكوفة وإمام الآلاف المؤلفة من أهلها خطب المختار وقال بالحرف الواحد :

((...الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر وعداً أتيا وامرأ مفعولا وقد خاب من افترى ، وجعلها فيه إلى أخر الدهر قضاء مقضيا ووعداً مأتيا ، وقد سمعنا دعوة الداعي وقبلنا قول الواعي فكم من باغ وباغية وقتلى في الرعية ، ألا بعداً لمن طغى وبغى وجحد ولغى وأدبر وعصى وكذب وتولى••••

((ألا فهلموا – عباد الله – إلى بيعة الهدى ومجاهدة الأعداء والذب عن السعداء من آل محمد المصطفى •• أنا المسلط على المحليين الطالب بدم أبن بنت نبي رب العالمين – ((فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا والارض فجاجا وسبلا ، فو الله ما بايعتم بعد علي بن أبي طالب وآل علي أهدى منها•••••••••••• الخ)) •

وحين الفراغ من إلقاء خطبته صلى بجمـوع الحاضـرين في المسجد جماعة ثم توجه إلى قصر الأمارة حيث فتحت أبوابـه علـى مصراعيها فأنثالت على المختار جموع الناس يبايعونه على كتـاب الله وسنة رسوله والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحليين والذب عـن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلام من سالمنا ..))

وقد بايعه على ذلك العرب والعجم على حد سواء بما في ذلـك جميع القبائل حتى المجاورة للكوفة ..

ويظهر هنا أن غالبية الناس في الكوفة قد وقفوا من بيعة المختار هذه موقفاً ايجابيا من دون معارضة من أحد أو جهة تذكر بالرغم ممـا تتصف به الكوفة على مر التاريخ من ولاءات مختلفة واتجاهات عديدة وأحزاب متباينة ..

والعجيب هنا أن غير العرب من الموالي وسواهم لم يكونوا بأقل حماسة واندفاعا من العرب في إعلان البيعة للمختار ..

كما أن الموالين للأمويين هم بدورهم قد جـاءوا إلى المختـار ووضعوا أيديهم على يديه لمبايعته ، وربما كانت هذه الخطـوة مـن هؤلاء هو لدفع سيف الانتقام عن رقابهم أو الخوف مما اقترفوه سابقاً من أعمال ، أو رجاء الحصول على المكاسب والمغانم ، بينما هـم في قرارة أنفسهم ضد حكم المختار وسلطته ..

علماً بان غالبية الذين بايعوا المختار كانوا من الموالين لأهل البيت والمناصرين لهم بسبب أن الكوفة كانت تعّد على مر التاريخ معقلاً وحصناً حصيناً للتشيع إلا في فترات قليلة غلبوا على أمرهم فتسلطت عليهم الأقلية ذات الانتماءات المختلفة ..

وعن علة اندفاع هؤلاء العجيب لبيعة المختار فهو أما للطلب بدم الحسين والذي وضعه المختار في مقدمة وأولى مهامه ، وربما كان لتخفيف الذنب والجرم عما اقترفوه في تقاعسهم عن نصرة مسلم بن عقيل في الكوفة ونصرة الحسين بعدها في معركة ألطف في كربلاء ..

وبعد إتمام البيعة من الجميع قام المختار بأجراء تنظيماته الإدارية على أحسن وجه وأكمله بتعين عماله وولاته على المدن والثغور التي أعلنت خضوعها وتأييدها له ..

وقد تم هذا التعين وفقاً للكفاءة والمقدرة وبعيداً عن المحسوبيات والمنسوبيات التي أتصف به الحكم الأموي الجائر ..

ومن الثغور التي أعلنت ولائها له وأرسل إليها العمال لأدارتها هي :

١ – ارمينيا

٢ – أذربيجان

٣ – الري

٤- أصفهان

٥- همدان

٦- المدائن

هذا عدا عدة ولايات لم تكن تحت سيطرته بل هي كانت تحت النفوذ الأموي أو ابن الزبير وهي الحجاز ، الشام ، مصر، البصرة ..

أما الجزيرة فلم تكن في قبضة المختار في البداية ، إلا بعد معركة الخازر التي خاضها جيش المختار بقيادة إبراهيم ألنخعي ضد الجيش الأموي بقيادة عبيد الله بن زياد وانتصار جيش المختار على الجيش الأخر انتصاراً مؤزراً وساحقاً - رغم عدم التكافؤ في العدد - وقتل أبن زياد في ساحة المعركة ..

ولقد أدى هذا الانتصار إلى خضوع الموصل والجزيرة لسلطة المختار حيث أرسل لها عاملاً لأدارتها من قبله وان قيل هنا أن إبراهيم ألنخعي هو الذي أستقل بها وأصبح والياً عليها - هذا ما كان قد فعله ونفذه المختار خارج الكوفة - إما في داخلها فقد أجرى تعيينات جذرية في جهازه الإداري الداخلي.

فقد عين عبد الله بن كامل الشاكري على رأس شرطته - وعين كيسان - أبو عمرة - مولى عرينة قائداً لحرسه الخاص .

كما وتولى القضاء بنفسه لفترة قصيرة ثم نسب بعدها شريحاً القاضي له ، ولكون هذا الأخير عثماني النزعة وهو ممن شهد ضد

حجر بن عدي ، وأنه لم يبلغ عن هاني بن عروة ما أرسله بــه ، وأن علياً (عليه السلام) كان قد عزله من القضاء .

لذا فقد أضطر المختار إلى إقصائه وإبعاده من منصبه وتعين أخر محله قيل أنه عبد الله بن مسعود[٢٢]

والأخير – كما لا يخفي – هو صحابي جليل ومن كتّاب الــوحي وحفظة القران الكريم ، و جامعيه ، وكان قد هاجر الهجرتين وصــلى إلى القبلتين وقد توفي في المدينة وسبق أن وصفه الخليفــة عمــر بــن الخطاب بقوله :

((أن عبد الله وعاء مليء علماً)) .

---

[٢٢] اشارت بعض المصادر ومنها كتاب (المختار الثقفي لاحمد الدجيلي الى تعيين عبد الله بن مسعود ليتولى القضــاء في الكوفة بعد تنحية شريح القاضي عنها ، وان هذا التعيين والذي تم عام (٦٦ هـــ) يتناقض مع تاريخ وفــاة ابــن مسعود في المدينة وهو عام (٣٢ هـــ) وهي السنة التي توفي فيها العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بــن عــوف وفي عهد عثمان بن عفان ، وربما المقصود من ابن مسعود قاضي آخر هو الشعبي الكوفي المتوفي عام [illegible] هـــ حيث قد جاء اسم ابن مسعود هنا سهوا إلتباسا لانه تولى القضاء في الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

معركة الخازر

أشرنا في الفصل السابق إلى أن زمر { الثورة المضادة} كما تسمى في هذا العهد – قد خرجت من جحورها بعد مغادرة القائد إبراهيم الأشتر على رأس (٧٠٠) مقاتل صوب الجزيرة لمواجهة تحركات وتقدم الجيش الأموي بقيادة {عبيد الله بن زياد} والي الكوفة السابق – وان هذه الزمر السائبة قد عاثت في البلدة فساداً ، ثم قامت بحصار قصر الأمارة حيث يقيم فيه المختار مع كبار مستشاريه ومساعديه ، مما أضطر المختار للإيعاز لقائد جيشه بالعودة على وجه السرعة مع مقاتليه إلى الكوفة لتلافي الموقف ..

وبالفعل عاد إبراهيم الأشتر إلى الكوفة مسرعاً وتمكن من رد كيد هذه الزمر إلى نحورها وفك الحصار الذي ضربوه حول القصر ، والقبض على أعداد كبيرة منهم وقتل كل من ساهم من هؤلاء في قتل الحسين(ع) في طف كربلاء وإطلاق سراح الباقين ..

وبعدها هدأت الأوضاع في الكوفة واستقرت وعادت الأمور إلى مجاريها ، ثم طلب المختار من قائده إبراهيم الأشتر – وبعد يومين من وصوله الكوفة – الاستعداد والتهيؤ للتوجه إلى الجزيرة وأطراف الموصل لمواجهة جيش الشام ..

لقد أنطلق جيش المختار بقيادة إبراهيم الأشتر بتاريخ ٨ ذي الحجة من عام ٦٦هـ من الكوفة - باسم الله وبركته - وباتجاه الجزيرة وهو يضم فرسان الكوفة الأشداء وشجعانها ممن شهدوا الحروب وجربوها لمرات عديدة.

وخرج المختار بنفسه رفقة هذا الجيش لتوديعه في الطريق ولبث روح الفداء والتضحية بين صفوف مرتباته ، وقبل أن يكر المختار راجعاً إلى مقر عمله في الكوفة بعد انتهاء مراسيم التوديع الخاصة ، كان أخر ما وصى المختار به قائد جيشه قبل الفراق هو :

((خذ مني ثلاثاً)) :

١- خِفْ الله عز وجل في سرك وعلانيتك.

٢- وعجل السير.

٣- وإذا لقيت عدوك فعجل القتال ساعة تلقاهم ليلاً كان أو نهاراً.

فشكر إبراهيم المختار على هدايته ونصيحته هذه - وأن كان إبراهيم غني عن هذه الإرشادات والنصائح لأنه ولد وعاش في بيت يخلص كل من فيه لأهل البيت وهديهم وقد جاء هذا البيت بالشجعان والأبطال الذين مارسوا الحروب ، ثم هو ينتمي إلى قبيلة النخع اليمانية المشهود لها بين العرب بالبسالة والأقدام . وأنه من ثم قد خاض في حياته معارك عديدة رفقة والده مالك الأشعر أو بسواه

ونال تجربة عالية وكفاءة حربية فائقة في فنون القتال والنزال لا حدود لها .

إلا أن النصيحة والهداية تقدم من الكبير والصغير والمثقف والعامي وما على الطرف الأخر إلا تدبرها وقبولها وتقديم الثناء والشكر عليها أن كانت جيدة ومفيدة لأن هذه هي أخلاق الأنبياء والأئمة الكرام والمجتمع الفاضل والكامل..

كان جيش الشام بقيادة أبن زياد قد توجه صوب الموصل وعند وصوله لهذه البلدة سيطر عليها تمهيداً للزحف من عندها على الكوفة للإطاحة بحكومة المختار..

وفي نفس هذا الوقت وصل جيش المختار إلى إطراف الموصل وبالقرب من نهر الخازر وعند قرية صغيرة تبعد عن الموصل (٥) فراسخ..

وعند سماع أبن زياد باقتراب جيش المختار من الموصل تقدم جيشه حتى أمره بالنزول قريباً من جيش المختار وعلى شاطيء النهر المذكور..

وهكذا أصبح كل جيش في مواجهة الأخر ولا يفصل ما بينهما ألا قدر ما يفصل عادة بين الجيوش المتحاربة في ساحات القتال..

وكان عدم التكافؤ في أعداد كل جيش فظيعاً فقد بلغ جيش الشام حوالي (٧٠) إلف مقاتل وقيل (٨٣) إلفاً ، بينما لا يتعدى جيش

المختار عن (٧) ألاف مقاتل أو حواليه حيث أن النسبة هنا هي (١) إلى (١٠) أو أكثر .

ولقد بث إبراهيم ألنخعي العيون والأرصاد في تلك الليلة لمراقبة تحركات جيش العدو عن كثب وحتى لا يؤخذ على حين غرة ، رغم أن عينيه لم تكد تنام طوال الليل حيث كان يضع الخطط ويتشاور مع أركان حربه لمواجهة كل احتمال وكل طارىء قد يقع .

وعند السحر عبأ إبراهيم أفراد جنده ونظم كتائبه وعين أمراء لألويته ، وعند الفجر صلى بهم صلاة الصبح وبعدها أخذ يتقدم راجلاً – باسم الله وبركته – ومن خلفه جيشه ببطء باتجاه مكان تجمع قوات العدو ، حتى وصل إلى تل مشرف على جيش الشام .

وهنا ركب فرسه ثم أخذ يتفقد حملة الرايات واحداً بعد واحد وعند كل راية كان يقف عندها كان يخاطب صاحبها ومن وراءه من الجند بالقول :

((يا أنصار الدين وشيعة الحق ، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن علي أبن فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) وحال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه ومنعه من الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ، فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل أبن مرجانة بأهل بيت رسول الله (ﷺ) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

تطهيرا ، فوالله أني لأرجو أن يشفي الله صدوركم بسفك دمه على أيديكم فقد علم الله أنكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم .)) [٢٣]

ثم أستعرض إبراهيم ما بين ميمنة جيشه وميسرته وطاف حول كل مراتب الجيش ليدعه على أهبة الاستعداد للمنازلة بما يبثه في نفوسهم من حماسة وروح الأقدام والتضحية .

ثم عاد ليقف أمام جيشه وأعلن من هناك بدء الهجوم الصاعق على جيش الشام ، حيث دارت بين الطرفين معارك عنيفة وضارية أستبسل فيها أبناء الكوفة أيما استبسال خصوصاً وأن قائدهم إبراهيم كان يتقدم المقاتلين ويضرب جيش الشام بسيفه ، حيث كان لا يضرب رجلاً منهم إلا صرعه على الأرض ، وإزاء هذه الشجاعة كان جند الشام يفرون من أمامه كفرار المعزى عند اقتراب الذئب منها ..

وهكذا كانت إفراد مشاة الكوفة وفرسانها تقاتل وكأنها رجل واحد وسط حشود جيش الشام ، وكان القتال من الضراوة والعنف مما لم يدع للمقاتلين أن يؤدوا صلاة الظهر إلا بالتكبير والإيماء ، كما جرى ذلك في وقفة صفين من قبل ..

---

(٢٣) تعد هذه الخطبة من اعظم الخطب الحماسية التي تسبق المواجهات العسكرية عبر التاريخ وقد كان لها الاثر الفعال بالاضافة الى شجاعة فرسان اهل الكوفة في انتزاع النصر والحاق الهزيمة الماحقة بالجيش الاموي رغم ضخامة حجمه وكونه يحارب فوق ارضه ومدافعا لامهاجما .

وحمل إبراهيم الأشتر على أبن زياد وهو لا يعرفه فضربه ضربة عنيفة أدت إلى قدة نصفين حيث ذهبت رجلاه باتجاه المشرق ويـــداه إلى المغرب ..

كما وقامت وحدة انتحارية من جيش الكوفة بهجـــوم صـــاعق وجريء أستهدف مقر قيادة الجيش الأموي حيث تمكنت من تـــصفية الكثير من قادة وأركان هذا الجيش بما في ذلك الحصين بن نمير وهـــو أحد قتلة الحسين (ع) وقائد الجيش الأموي الذي حاصر وضرب مكة المكرمة ..

وهكذا بان الانكسار والتصدّع في جيش الشام وأخذ إفراده في الفرار والهزيمة من غير هدى ولا نظام إلى الوراء وهم لا يلوون علـــى شيء .

وتبع إبراهيم ومقاتلوه جيش الشام حتى النهر (الخازر) فكان من غرق منهم في هذا النهر أكثر ممن قتل في ساحة المعركة .

ثم اغتنم وانتهب جيش المختار كل ما وجدوه أمامهم وما خلفـــه جيش الشام خلفهم من سلاح وأموال وهم يفرون بجلودهم مـــن أن تنالها سيوف جند الكوفة فتلحقهم بقائدهم أبن زياد غـــير مأســـوف عليهم .

وحين انتهاء المعركة لصالح جيش المختار قام قائده إبـــراهيم مـــع أركان حربه بتفقد ساحة القتال ليروا من قتل من أعدائهم ومـــن ولى

هارباً ، فوجدوا جثمان أبن زياد مسجى على الأرض وهو بقسمين وعندها قال إبراهيم:

((الحمد لله الذي أجرى قتله على يديّ))

والعجيب هنا أن هذه الوقعة (الخازر) قد جرت وسقط فيها أبن زياد صريعاً على الأرض قد جرت في يوم عاشوراء من عام (٦٧هـ) وهو نفس اليوم الذي أستشهد فيه الأمام الحسين (عليه السلام) في طف كربلاء عام (٦١هـ) – أي بعد ست سنوات بالتمام والكمال ..

هذا ولم يقتل من أهل الشام بعد واقعة صفين عام(٣٨هـ) مثلما قتل في هذه الوقعة والتي أنتصر فيها جيش المختار بعدده المحدود على جيش الشام الذي يفوقه بعشرة أضعاف انتصارا باهراً بما ليس له نظير ..

ومن ساحة المعركة أرسل إبراهيم الأشتر من يشعر المختار – وكان الأخير قد أنتقل إلى المدائن لتلقي أبناء المعركة أولا بأول – فأخبرهبانتصار جيشه الباهر على عدوه رغم عدم تكافؤ العدد بين الجيشين المتحاربين ، وعند سماع المختار للنبأ كاد يطير من الفرح حيث صام لله شكراً – كعادته.

كما وعم الفرح والحبور أبناء الكوفة لانتصار جيشهم ومقتل أبن زياد – واليهم السابق – والذي صنع مع مسلم والحسين ما لم يصنعه فرعون مع موسى وهارون ولا عدو مع عدوه.

ولقد أرسل المختار برأسي عبيد الله بن زياد وعمر بن سـعد إلى الأمام علي بن الحسين(ع) في المدينة وحين شاهدهما الأمام خر ساجداً لله وقال:

(الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً) .

ثم أردف الأمام (عليه السلام) قائلاً :

((عندما دخلنا على أبن زياد مع رأس والدي كان أبن زياد يتنـاول فطوره وقد جاءنا رأس أبن زياد ونحن نتناول فطورنا ، والله تعـالى لم يسترد أمانته دون أن يريني رأس أبن زياد فللّه الحمد والشكر ..))

كما وينقل عن الأمام جعفر الصادق (عليه السلام) حول الموضوع قوله :

((ما اكتحلت هاشمية ولا أختضبت ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد)) .



البرامج السياسية العامة

اشرنا في فصول سابقة إلى أنه حين أستتب الأمر للمختار في الكوفة واستقراره في قصر الأمارة من دون معارضة أو منازعة أعلن أمام الأشهاد عن سياسته المرحلية القادمة ...

فداخلياً قام بنفث دم جديد في أركان جهازه الأمني والقضائي.. الخ بتعين شخصيات مسؤولة ومهمة وواعية وموالية له فيها.

وخارجياً فقد عين عمالاً {ولاة} للولايات والأقاليم التي خضعت له هم في مستوى المسؤولية والكفاءة والخبرة

كما وألقى المختار عدة خطب وكلمات في مناسبات مختلفة تضمنت برامجه وخططه القادمة في الإصلاح والتي على أساسها تمت البيعة لـه في قصر الأمارة بالكوفة ...

والآن نتناول في أدناه شيئاً من هذه البرامج والخطط لنـرى مـدى نجاحها أو فشلها والتي تتبع هذه عادة مقدرة الحاكم ودهاؤه وكفاءته ومدى أيمانه بها وحرصه على تنفيذها ..

فبعد ان سيطر المختار على زمام الحكم بقوة وثبات من دون منازع يذكر ، نراه قد هيمن على الناس هيمنة كبيرة وينسب ذلك الى دهائه السياسي وقوته الشخصية ونبل غاياته وآدابه .

ولقد اتسعت هذه الهيمنة حتى بات يتمتع بشخصية قدسية مهابة ومحبوبة من قبل الناس ، حتى أخذ الناس — بمرور الأيام — ينظرون اليه وخصوصا السواد الأعظم منهم بنظرة الإكبار والتقدير

كنظرهم إلى القادة المثالين والمقدسين كالإمام علي(عليه السلام) أو الحسين(عليه السلام) .

ومن العجيب هنا أنه قد كان للمختار غلام خاص يدعى {جبريل} وان المختار كان يقول أمام الناس : جاءني جبرئيل واخبرني جبرئيل ، حتى ظن العوام من الناس أنه جبرئيل المقصود هنا هو ((أمين الوحي جبرائيل)) الذي نقل الرسالة المحمدية الغراء من عند الله تعالى إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ،وأنه غدا نبياً مرسلاً من عند الله تعالى – كما تقول وتنقله بعض الروايات التاريخية وان كنا لا نصدق ذلك جملة وتفصيلاً وخاصة دعوى النبوة والرسالة .

نعم أننا هنا وان كنا لا نصدق أو نقر هذه الروايات من قريب أو بعيد ، لان أنساناً مثل المختار كانت كل حياته سلسلة متواصلة من التضحية والفداء لله تعالى ولأهل البيت مقدماً في هذا السبيل كل غال وثمين لا يمكن أبدا إن تصدر منه مثل هذه الأمور ، وان وجد شيء مما كان يقوله كـ ((جاءني واخبرني ...)) – جدلاً – فيمكن حمله على باب التورية أو بدافع تركيز وتثبيت مكانته بوجه قوى كبرى تتحين الفرص للانقضاض عليه ولا يمكن توقي بأسها بسهولة ، فضلاً عن تثبيت مكانته ومنزلته ايضاً أمام العوام الذين يؤلفون الغالبية الساحقة من السكان.

نعم يمكن حمل ذلك على هذه النقاط ، ولا يمكن القول ابدآ أنه كان يوحى إليه ، ولو كان هناك ما يوحى إليه فعلاً لظهر وبـــرز مـــا كان يوحى إليه ، ولكشف النقاب عن المذهب أو الفرقة أو الطائفـــة الذي أقامه ودعا إليه هذا الوحي المزعوم ٠٠٠٠ وهو ما لم نـــسمع عنه بتاتاً حتى من خصوم المختار الذين هـــم يرحبـــون بمثـــل هـــذه الأدعاءات لغرض التنكيل به والحط من مكانته الدينية والاجتماعيـــة – وفي مثل هذا المعنى ينقل عن الأمام علي(ع) قوله : ((لو كان مع الله شريك لاتتك رسله –))

وعن السياسة التي سار عليها المختار خلال حكمه في الكوفـــة فنشير إلى أنها كانت تعتمد على الشدة والقسوة ولكـــن في نطـــاق وحدود معينة ، وهي تلك التي أشار إليها الأمام علي(ع) في أحـــدى خطبه البليغة وهي : ((شدة من غير عنف ولين من غير ضعف)) ٠

علماً بأن المختار كان مضطراً لممارسة مثل هذه السياسة الشديدة وذلك لأنه كان يعيش في أجواء الكوفة ومحيطها ، وكانت هذه البلدة تضم بين جنباها مختلف الانتماءات القبلية والسياسية والعنصرية ٠ ٠

وفي سبيل تحقيق أحد أهدافه المعلنة وفي طليعتها وهو الطلب بدم الحسين(ع) وتقديمه على ما سواه كان عليه لزاماً السير وفـــق هـــذه السياسة العنيفة وألا هرب قتلة الحسين(ع) ومن ساهم في حربه مـــن أرجاء الكوفة ، ولم يتح للمختار من ثم أن يتعامل معهم خـــصوصاً إذا

ما انضموا انخرطوا ضمن صفوف أعدائـــه في الشـــام أو في الحجـــاز وأصبحوا أشواكاً حادة في طريقه بعد أن كانوا في الكوفـــة أغنامـــاً يسوقهم حيثما يريد .

ومن سياسة المختار الحكيمة التي تسجل له بمداد من فخر واعتزاز هو عدم تحيزه إلى قبيلته وقومه وعنصره ، بل كانت نظرته إلى كـــل القبائل وطبقات المجتمع متساوية .

فهو لم يفضل أو يقدم ثقيفاً على قبيلة أخرى ولا عربيـــاً علـــى أعجمي بل كان الجميع في نظرته وميزانه سواء . .

ويتبع هذا – طبعاً – توزيع الأموال والعطايا والغنائم بين الجميع بالتساوي مقتدياً بسيرة أهل البيت(عليهم السلام) في هذا الصدد .

علماً بان هذه الخطوة قد سببت ووضعت أمامه مشاكل عويصـــة ومعقدة [illegible] أخذت هذه تتفاقم على مر الأيام حـــتى أدت إلى تذمر العرب وخصوصاً أبناء القبائل المشهورة { وذات الاصل والفصل – كما يقول المثل}

حيث لم يكن هيناً على هؤلاء مساواتهم مع الموالي والنظرة إليهم وإلى هؤلاء على حد سواء في الأخذ والعطاء والغنم والغرم .

ولقد جاء وفد من أبناء هذه القبائل إلى المختار ليشـــكوه هـــذه الحالة الجديدة حيث قالوا له وصارحوه بالحرف:

((لقد عمدت إلى موالينا وهم فيءأفاء الله علينا ، وهذه البلاد جميعاً لنا ، فأعتقت رقابهم بأمل الآجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض بذلك حتى جعلتهم شركائنا في فيئنا ٠ ٠)) ٠

ورغم ذلك فهو لم يستجب لدعواهم هذه لأنه كان ينظر إلى الله تعالى قبل أن ينظر إليهم وإلى الشريعة الغراء قبل أن ينظر إلى معطيا ودعاواهم ٠

وبالمقابل فقد أنضم الموالي وكل العناصر غير العربية إلى صف المختار وذادوا عنه بإخلاص وبكل حولهم وقوتهم ، وأن كان هؤلاء قلة بجوار العرب الذين يملؤون شعاب الكوفة واحيائها ٠

أما عن علاقته مع كل من الأمام علي بن الحسين{زين العابدين}(عليه السلام) وعمه محمد بن الحنيفة في المدينة وعبد الله بن الزبير في مكة المكرمة ٠

فنشير إلى أن المختار لم يقطع علاقته وصلته مع محمد بن حنيفة ، حيث كان الأخير أستاذه القديم الذي عاصره وعايشه لفترة وتتلمذ على يديه ، حيث كان المختار يرسل إليه من الكوفة الهدايا والعطايا ، كما وكان يكتب له باستمرار الكتب والرسائل يسأله فيها عن حاجاته ويشرح له أوضاع الكوفة وشؤونها ٠

كما كان المختار يصل أيضاً الأمام زين العابدين {السجاد} – ع – في المدينة وحيث أن المدينة كانت خارج نطاق سلطة وحكم

المختار وهيمنته ،لذا كانت هذه الصلاة والرسائل والكتب ترد إليه سرياً تجنباً من إطلاع أحد عليها وحتى لا تكون هذه نقمة على من يتلقاها ..

وكان المختار يرغب في أن يبعث جيشاً من الكوفة إلى المدينة للمساهمة في إخراجها من طاعة وهيمنة أبن الزبير إلى طاعة وهيمنة أهل البيت –ع– ، وقد كتب فعلاً كتاباً بهذا الموضوع إلى محمد بن الحنيفة إلا أن جواب الأخير للمختار كان الاعتذار عن ذلك لأنه – كما ورد في جوابه : ((يرجو الاعتزال والصبر)).

إلا أن أبن الزبير حين سجن محمد بن الحنيفة مع (١٧) نفراً من أعوانه في ((سجن عارم)) بسبب امتناعهم عن مبايعته بالخلافة ولغرض التضييق عليهم وإرغامهم على البيعة له .

رأى المختار حينذاك أنه لا مناص من القيام بعمل عسكري فوري لا نقاذ أرواح هؤلاء من السجن ومهما كلف من تضحيات وبحصول الموافقة أم لا ..

وبالفعل فقد أعدّ وحدة انتحارية وخاصة أرسلها على وجه السرعة إلى السجن المذكور ،حيث استطاعت من إنقاذ محمد بن الحنيفة ومن كان معه في السجن وإبعادهم من موت محقق كان ينتظرهم داخل هذا السجن الرهيب..

كما أرسل المختار من بعد ذلك خمسة الأف من مقاتليه لغرض فك الحصار عن العلويين الذين حجزهم أبن الزبير في جبل رضوي خارج مكة وفرض عليهم الإقامة الجبرية لفترة غير محدودة هناك بعد أن هدم دورهم لعدم مبايعته بالخلافة .

وهذه الخطوات التي مارسها المختار تشير إلى دهاء المختار وحنكته السياسية ، كما هو حاله في المسائل والشؤون العامة الأخرى . .

وأما عن علاقته مع أبن الزبير بعد استيلائه على السلطة والحكم في الكوفة ، فنشير إلى أن المختار كان وفقاً لحسن تدبيره ودهائه يحاول في البداية مداراة ومسايرة أبن الزبير وعدم أستفزازه أو التشهير به حتى لا تقطع بينهما (شعرة معاوية) كما يقول المثل .

وكان المختار يرجو من بقاء هذه الرابطة قائمة بسبب تواجد خصم مشترك عنيد وقوي وغير بعيد عنهما وهو يتربص بالطرفين الدوائر وينتهز الفرص للانقضاض عليهما والقضاء على سلطانهما وإعادتهما إلى الحكم الأموي الفاشي في الشام . .

وكان أبن الزبير يظن من مداراة المختار له أن قيام الأخير واستيلائه على السلطة والحكم في الكوفة ما كان ليتم إلا باستغلال أسمه ونفوذه والدعوة له ، رغم أن شيئاً من هذا لم يحدث قط ، وأنه ليس لأبن الزبير ناقة ولا جمل في الموضوع ، بل على العكس فقد

أنتزع وأستولى المختار على السلطة بمحاربة الوالي المعين من قبل أبن الزبير على الكوفة والقضاء عليه .

وهنا كتب أبن الزبير إلى المختار رسالة خاصة ضمنها ما كان يحمله من تصورات وظنون حول المختار .

ولم يكتف أبن الزبير بإرسال الكتب إلى المختار بل ظل يراقب تحركات المختار وخطواته باعتباره أنه فرد من أعوانه ومواليه .

وفي الأخير رغب أبن الزبير في أن يقف جلياً على صدق حدسه وظنه إزاء المختار ومدى وفائه وصدقه له ، فأرسل أحد القرشيين وهو { عمر بن عبد الرحمن المخزومي} والياً عنه ليحمل مكان المختار في إدارة الكوفة .

وحين وصول والي أبن الزبير إلى الكوفة ردّه المختار وقال :

((أخرجوا إلى هذا المغرور فردّوه))

وحين عودة هذا إلى الحجاز بخفي حنين علم أبن الزبير أن كل أماله إلتي علقها على المختار قد تلاشت أو أنها ليست بصحيحة بالأصل ولا ظل لها من الحقيقة . .

ثم كتب المختار إلى أبن الزبير كتاباً شديد اللهجة يقطع فيه كل رابطة وعلاقة – أن وجدت – معه ، بل صفّه فيه ضمن الخصوم الألداء ، أسوة بخصمه الأخر المقيم في ثرى الشام . .

وكل هذه المسرحية أن دلت على شيء فإنما تدل على غباء أبن الزبير بشكل فظيع في مقابل دهاء المختار وكفائتة غير المحدودة .

حيث كان الأجدر بابن الزبير – في مثل هذه الحالة – أن يقرّ المختار على عمله ويبارك له منصبه ، ثم يعمل شيئاً فشيئاً على سحب البساط من تحت قدمي المختار ، حتى تتاح له الفرصة للهيمنة على الكوفة وبسط نفوذه عليها من دون إشهار للسلاح أو تقديم الضحايا والخسائر . .

ولكن من أين لأبن الزبير مثل هذا التدبير والسياسة والدهاء ، حيث أن مسلسل حياته ما هو إلا حلقة متواصلة من الأخطاء والتناقضات– ومنذ نعومه أظفاره

وهي التي أدت به في النهاية إلى أن يذبح في قلب مكة المكرمة ذبح الأضاحي وأن يسلخ جلده كما تسلخ جلود الأغنام والأبقار .

وقد تم ذلك فعلاً بأمر وحكم من ثقفي أخر ليس هو المختار وإنما هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهكذا أستحلّت حرمة الكعبة بقتله عندها .

وحادثة قتل أبن الزبير وسلخ جلده تذكرنا بالقصيدة التي حفظناها منذ دراستنا الابتدائية والتي تفيد إن الحجاج حين شدد عليه الحصار وأوشك أن يقتحم مكة عنوة ، ذهب أبن الزبير إلى أمه وهي أسماء بنت أبي بكر ليودعها ويشعرها بان القوم إذا دخلوا مكة

وقبضوا عليه لا يكتفون بقتله بل سيسلخون جلده ويقطعونـــه إربـــا أرباً .

فما كان منها إلا أن أجابت أبنها بالمقولة التالية والتي أصـــبحت مثلاً على كل لسان والمقولة هي :

((أن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ))

أما مطلع القصيدة موضوعة البحث فهو

أن أسماء في الورى خير أنثى صنعت في الوداع خير صنيع

وبعد اختفاء أبن الزبير من المسرح بتصفيته بالطريقة الأنفة ، لم نجد من بعده من يذكره بالخير أو يترحم عليه أو ينسب إليه مأثرة ما .

وليس هو الوحيد على هذا السبيل فقد سبقه وأعقبه العشـــرات بل المآت من شاكلته حيث لم نجد لهم في الدنيا أثرا أو نســـمع لهـــم ركزاً . .

ولكم في القصاص حياة

نشير هنا إلى أنه رغم ما كان قد جرى من تصفية أعـــداء أهـــل البيت (عليهم السلام) على مرور الزمان شر تصفية وخسروا دنياهم وآخرتهم ، إلا أن المختار الثقفي يبقى الطليعة والأول في هذا المضمار رحمه الله حيث كان له الفضل في بدء هذه التصفية وكونها النواة في قلع واجتثـــاث خصوم أهل البيت (عليهم السلام) ومناوئيهم من على وجـــه الأرض وعـــبر التاريخ.

وحين أستتب الأمر في الأخير للمختار في الكوفة – كما تقـــدم بيانه – نادى في الكوفة بان كل من غلق بابه فهو أمن إلا من أشترك في دماء أهل البيت (عليهم السلام) .

كما وأعلن على الملأ بكل صراحة ووضوح بعد ذلك بأنه قـــد برئت الذمة من كل شخص شارك في قتال الحسين وحربه ، حيـــث صمم على إجتثاث وتطهير أرض الكوفة وعموم القطر منهم وبالتالي تصفيتهم في أية بقعة أخرى قد يتواجدون على ثراها ، بعد أن أجمعت الآمة على استنكار جريمتهم ومقتها حيث يقول شيخ الإسلام ابـــن تيمية ((أما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضيّ بذلك فعليـــه

لعنة الله وملائكته والناس أجمعين ، لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً)) .[٢٤]

علماً بان ((بلائهم بالمختار كان عدلاً لا رحمة فيه وما نحسب قسوة بالإثمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغته قسوة المختار)) [٢٥]

كما{ وتتبع المختار أيضاً دور من خرج إلى حرب وقتال الحسين فهدمها وقتل كل من خرج إليه منها}[٢٦]

وأثرها أخذ كل من تتجه إليه أصابع الاتهام ممن خرج لحرب الحسين الهرب والاختفاء أو تغيير السحنة أو تبديل الاسم والانتماء القبلي .

ولغرض وضع شعار {يالثارات الحسين} موضع التنفيذ أخذ المختار وأعوانه يتعقبون الكبير والصغير والصحيح والعليل والقاعد والقائم ممن له إصبع ولو قصير في قتال الحسين أو التحريض عليه أو المساهمة ولو من بعد فيه ، كما { وتتبعوا قتلة الحسين (عليه السلام)ومحاربيه في كل دير ودار وقتلوهم تحت كل حجر ومدر وأصلاهم الحميم والجحيم } [٢٧]

---

[٢٤] فتاوى بن تيمية – ابن تيمية

[٢٥] ابو الشهداء – عباس محمود العقاد .

[٢٦] اصدق الاخبار في قصة المختار محمد امين العاملي .

[٢٧] [illegible] – هبة الدين الشهرستاني .

حتى قيل { من باب المزاح} إن الصخرة أو الحجر كان يرشد الناس المطالبين بدم الحسين إلى أماكن تواجد واختفاء قتلة الحسين ، وكان ((العبيد والموالي كالكلاب البوليسية وراء سادتهم القدماء وكانت النساء يخبرّن عن أزواجهن)) [٢٨]

حتى بات انه ليسرّ المرء أن يوصم بأية تهمة من أن يقال له أنه أسهم في حرب الحسين مباشرة أو بدونها.

وكانوا يؤتون بقتلة الحسين – بعد القبض عليهم – ويوقفون بين يدي المختار ثم يطلب منهم بيان وكشف نوع العمل والفعل الذي مارسوه مع الحسين وأصحابه في عرصة كربلاء .

أما من يمتنع من الإدلاء بجريمته كاملة ومفصلة أو يحاول أنكارها أو التخفيف من صورها وبشاعتها الحقيقة فيطلب ممن شاهدوهم عن كثب تبيان حقيقة فعل هؤلاء على ارض الطف.

ثم ارتأى المختار أن تكون عقوبة هؤلاء في الغالب هي نفس الفعل الذي مارسوه إزاء ضحاياهم في يوم عاشوراء أو قريباً منها وذلك وفقاً لما قاله الحسين(عليه السلام) في خطبته الثانية في يوم الطف أمام جيش أبن سعد :

((قتلة بقتلة وضربة بضربة)).

---

[٢٨] الخوارج والشيعة – ترجمة د. عبد الرحمن بدوي.

فمنهم من أحرقهم بالنار ومنهم من قطع أوصالهم وتركهم يذوقون منيتهم ومنهم من رمي بالنبال حتى الموت ومنهم من أجرى الخيل على أجسادهم حتى الموت .

كما وأعلن بكل جلاء ووضوح بأنه لا يقبل من أحد توبة ولا شفاعة ولا وساطة لأنه لا توبة ولا شفاعة ولا رحمة ولا عطف مع من أشترك في دم الحسين .

وكان المختار متحمساً جداً للقيام بهذا العمل حيث كان يردّد باستمرار وفي كل مناسبة :

((لا يسوغ لي الطعام أو الشراب حتى أطهّر الأرض من قتلة الحسين))(٢٩)

كما وكان يقول دوما : ((والله لا قتلن بالحسين عدد الذين قتلوا بيحى أبن زكريا وهم سبعون إلفا))(٣٠)

وتارة نراه يصرح : ((ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء)) .

وكتب مرة إلى أحد أخص بطانته وهو رئيس شرطته – عبد الله بن كامل – وكان هذا قد استجار عنده شخص أسهم في حرب الحسين وهو – محمد بن الأشعث – يقول له :

---

(٢٩) اصدق الاخبار في قصة المختار محمد الامين العاملي .

(٣٠) تاريخ الطبري – الطبري

((أتستحل أن تجيز قتلة أبن بنت نبيك)) •

وحيث يتعذر هنا شرح طريقة وأسلوب قتل كل أو غالبية من شارك في حرب الحسين والذين يعدون بالا لأف – إلا أننا نورد في أدناه بعض الطرق والأساليب التي مارسها المختار إزاء القادة والرؤوس من هؤلاء الذين تصدوا لقتال الحسين في مساعيه للاقتناص منهم وإنزال العقاب العادل بهم استجابة وتلبية لقول الأمام الحسين (عليه السلام) في خطبته الثانية: ((اللهم سلط عليهم غلام ثقيف بسقيهم كأسا مصبرة ولا يدع منهم أحدا إلا قتله)) •

وهذه هي أحدى الكرامات التي تحققت وتجلت للحسين (عليه السلام) ولم يمض على مصرعه على أرض كربلاء (٥) سنوات •

١ – كان عدد الذين رضوا جسد الحسين (عليه السلام) وسحقوا عظامه عشرة أشخاص ، لذا فقد تم القبض عليهم جميعاً دون استطاعة أحد منهم الآفلات أو الهرب أو الفرار إلى أية جهة •

وجيء بهم جميعاً مصفدّين بالسلاسل والأغلال ، فأمر المختار بان يطرحوهم أرضا ثم شدّ أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد ثم أوطأ الخيل على أجسادهم حتى قطعتهم بحوافرها أرباً إربا دون الألتفات إلى سماع صراخهم وصياحهم وعويلهم الذي ملىء الآفاق •

٢- وقبض على حرملة بن كاهل الذي ذبح الطفل الرضيع من الوريد إلى الوريد بسهم مسموم حين كان في يد الحسين (عليه السلام) عندما جاء به إلى القوم لسقيه شيئاً من الماء ..

فأصدر المختار أوامره بان تقطع أوصاله وأعضاؤه عضواً عضوا من دون رحمة ثم تلقى في النار لتصبح بعد دقائق رماداً تذروه الريح.

ويروي هنا أن رجلاً كان حاضراً عند المختار حال تقطيع أوصال حرملة ويدعى { المنهال بن عمرو } وحينها ردد عبارة (سبحان الله) مرتين.

ولقد لفت هذا التسبيح انتباه المختار فقال : ((يا منهال أن التسبيح لحسن لم سبحت)) فأخبره أنه قد سمع الأمام علي بن الحسين {زين العابدين}-ع- حين ملاقاته في مكة في حج هذا العام (وقد علم الأمام أن حرملة لازال على قيد الحياة حتى هذه الساعة) سمع منه يقول : ((اللهم أذقه الحديد ، اللهم أذقه الحديد)) . ولما سمع المختار بهذه المقالة سجدّ لله شاكراً (شكراً) لأنه تعالى قد استجاب دعاء الأمام السجاد على يديّه.

٣- وجيء إلى المختار بسنان بن أنس وهو الذي طعن الحسين (عليه السلام) برمحه في خاصرته ، فأصدر أمره بان تقطع أنامله ويداه

ورجلاه ثم يرمى بأوصاله جميعاً في وعاء كبير يضم زيتاً يغلي في درجات حرارية عالية جداً .

٤- ولقد هرب شمر بن ذي الجوشن [٣١] الى داخل البادية ليكون بعيداً عن قبضة المختار وعيونه لأنه يعرف حق المعرفة عظم الجريمة إلتي مارسها بحق الحسين (ع) حين أخرج سكينة وقام بقطع رأس الحسين بعد سقوطه على الأرض بعد ظهر يوم عاشوراء بعد أن أرهب آخرون قبله من هذا العمل فتركوه .

فأرسل المختار من يبحث عنه بعناية ودقة إلى أن عثر عليه { أبو عمره قائد حرس المختار} فذبحه هناك وجاء برأسه ذليلاً إلى المختار ، بينما ترك قائد الحرس جسده إلى الكلاب لتقطعه وتأكله قطعة قطعة ..

٥- وأرسل المختار قائد حرسه - أبو عمره - للبحث عن قيس بن الأشعث الذي نهب قطيفة الحسين (ع) فعثر عليه ثم قام بقتله وجاء برأسه إلى المختار فقال : ((هذا بقطيفة الحسين)) .

---

[٣١] كان الشمر وشبث قد قاتلا مع علي (ع) في معركة الجمل وصفين ثم انضما الى الخوارج فكان من التسعة الناجين من معركة النهروان بعد ان ابيد كل جيشهم وفقا لمقولة الامام علي (ع) قبل المعركة .. (والله لايقتل منكم عشرة ولاينجو منهم عشرة) ، .

٦- وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممن شهد حرب الحسين (ع) كقائد لميمنة أبن سعد ، وقبل ذلك كلف بحماية المشرعة على رأس سرية من الفرسان للحيلولة دون أن يستبقي منها الحسين وأصحابه .

وكان هذا الوغد قد ركب راحلته وفر هارباً إلى جهة مجهولة لأنه يعرف أن مركزه في جيش أبن سعد هو الثاني والثالث بعد قائده..

وقد أدركه في الأخير رجال المختار الأبطال وعيونه المدسوسون في كل زاوية ، أدركوه في طريق واقعة فامسكوه به ثم ذبحوه ذبح الشاة وجلب رأسه إلى المختار لتأييد قتله وليترك مهمة البحث عنه وتعقيبه..

٧- وأمر المختار بالبحث عن حكيم بن الطفيل الطائي وكانت فعلة وجريرة هذا المجرم في يوم ألطف هو رمي الحسين بالسهام وسلب ثياب العباس بن علي (ع) .

وعند القبض عليه واقتياده في الطريق لتقديمه أمام المختار ، قتله الناس في الطريق حيث اتخذوه غرضاً وهدفاً ورموه بالسهام الحادة حتى صار جسمه كأنه القنفذ وخرّ أثرها ميتاً على وجه الأرض وأشعر المختار بالحال.

٨- وطلب المختار خولي بن يزيد الاصبحي الذي حاول أن يحز رأس الحسين في يوم عاشوراء فأراد أن يفعل ذلك ولكنه ضعف

وأرتجفت يداه ، وهو الذي جلب هذا الرأس الشريف إلى الكوفة ووضعه في الليلة الأولى في داره لكون أبواب قصر الأمارة كانت موصدة في تلك الساعات المتأخرة من الليل .

وكان هذا الباغي مختبئاً بداره في مكان خفي ، وقد عثر عليه في الأخير بمساعدة زوجته والتي استنكرت عليه في وقته ذهابه لحرب الحسين وتركته بعد أن جلب رأس الحسين إلى داره – فحملوه إلى المختار مقيداً فأمر بقتله عند باب داره وأن يحرق جسمه بعد ذلك ، وتركت الدار لزوجته لأنها كانت تتعاطف مع الحسين وأنصاره والمطالبين بدمه – لتقطن بها ..

وقد حرص المختار على أن يحضر بنفسه أمام هذه الدار ليرى بأم عينيه مشهد القتل و الحرق ، ولم يبرح المكان إلا بعد أن أصبح خولي رماداً في مهب الريح.

٩– ولقد تم القبض على مالك بن النسر الكندي ورفيقين معه ، وكان مالك هذا قد ساهم مع هذين الشخصين في سرقة قلنسوة (برنص) الحسين (ع) بعد استشهاده في كربلاء وسقوطه على الأرض ، وكانت ملطخة بالدم ، ولما قدم على أهله وأخذ يغسل الدم عنها قالت له آمراته : ((أتسلب أبن بنت رسول الله وتدخل بيتي ، أبعدها عني)) .

وعند جلبهم إلى المختار قال لهم : ((يا أعداء الله وأعداء رسوله أين الحسين بن علي لقد قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة .

فأجابوه بان الأمير قد بعثهم لحرب الحسين وهم كارهون ذلك ، وطلبوا من المختار أن يمن عليهم ويستبقيهم أحياء ، وكأن لسان حالهم هو قول أبو العلاء المعري :

إن حزناً في ساعة الموت أضعاف سرور في ساعة الميلاد

فقال لهم المختار : ((هلا مننتم على الحسين بن علي واستبقيتموه وسقيتموه شيئاً من الماء عندما طلب منكم ذلك)) ..

ثم أصدر أمره بان تقطع أيدي وأرجل مالك فقطعتا والدم ينزف منهما حتى هلك ثم أمر أن يلحق الشخصين به وبنفس الطريقة فهلكا .

١٠- وجيء إلى المختار بزياد بن مالك ألضبعي وكان هذا بالاشتراك مع ثلاثة آخرين قد نهبوا رحل الحسين ، وعند مثولهم أمام المختار قال لهم :(يا قتلة الحسين وقتلة الصالحين ، أن الله قد أقاد منكم اليوم ، لقد جاءكم الرحل بيوم نحس وتعيس) .

وسيقوا إلى السوق كما تساق الأغنام إلى جزارها وضربت أعناقهم هناك أمام الأشهاد .

١١- وجاء حرس المختار برجل يدعى- بجدل بن سليم - وكان هذا قد قطع إصبع الحسين بعد استشهاده بسكين وسرق الخاتم من الإصبع .

وأمر المختار حرسه بقطع يديه ورجليه حيث أخذ يضطرب ويتلوى والدم ينزف منه تدريجياً حتى هلك .

١٢- وجيء بعمرو بن صبيح الصدائي ، ولما سئل عن جريمته قال : ((طعنت فيهم وجرحت وما قتلت منهم أحدا)) فطعن بالرماح حتى الموت . .

١٣- أما قائد جيش العدوان في كربلاء عمرو بن سعد والذي لم يدعو في وقته لنصائح الحسين (ع) حين أجتمع معه في ميدان المواجهة في كربلاء لأكثر من مرة ، ولا لهداية ونصائح أصدقائه وأقربائه في الكوفة قبل ذلك بعدم الموافقة على تلبية طلب أبن زياد بالذهاب كقائد لقواته إلى حرب الحسين لكونه أبن أحد أقدم الصحابة في الإسلام .

فقد أراد المختار أن يحول دون هربه إلى جهة نائية أو مجهولة فيتعذر القبض عليه لتنفيذ القصاص العادل به بعد الذي فعله في ساحة الوغى يوم عاشوراء ، وذلك عن طريق تقديم وثيقة أمان له ليكون بها سالماً على دمه من أن يسفح وأمواله من أن تنتهب وداره من أن تهدم عليه . .

وبالفعل نفذ رئيس الحرس هذا الأمر وجلب رأس أبن سعد داخل غطاء ووضعه أمام المختار ٠

وبعد أن رفع المختار الغطاء عن رأس عمر أمام أبنه قال له :

((أتعرف صاحب هذا الرأس)) ٠

فأسترجع الابن وقال ((نعم ولا خير في العيش بعده)) ٠

فقال المختار : ((صدقت فانك لا تعيش بعده)) ٠

ثم أمر بضرب عنقه ووضع رأسه إلى جوار رأس أبيه ٠ ٠

وهنا قال أحد الجالسين ممن شاهد الواقعة برمتها ٠

((هذا بحسين وهذا بعلي بن الحسين))

فأجابه المختار : ((والله لو قتلت برأس الحسين (ع) ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بأنملة واحدة من أنامله)) ٠

ثم بعث بالرأسين إلى المدينة المنورة ٠

١٤ – أما بقدر تعلق الأمر بأمير الكوفة وعامل الطاغية يزيد وهو عبيد الله بن زياد وما قام به من مجازر وفواجع منها قتله لمسلم بن عقيل وهاني بن عروة وآخرين من أنصار الحسين(ع) في الكوفة ، فضلاً عما أصدره من أوامر وتعليمات إلى مرؤسه أبن سعد بحصار الحسين (ع) وقتله ورض جسده بالخيل ٠٠٠ الـــخ والذي نظم الشاعر عنها يقول :

أقول وذاك من جذع ووجد أزال الله ملك بني زيـــاد
وأبعدهم بما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد

فأن نهايته كانت على يد القائد الشاب إبراهيم بن مالـــك الأشـــتر ، حيث تم قتله في الواقعة المشهورة بـــ (معركة الخازر) غير مأســـوف عليه والتي أشرنا إليها مفصلاً في فصل سابق .

١٥- لم تكن أوامر المختار الصارمة وارادته هـــي وحـــدها الـــتي اقتضت لدماء شهداء كربلاء بل أخذ ولي كل من له شهيد في الطف يتربص لقاتله للبطش به والثأر له .

وكمثل بسيط على ذلك هو القاسم بن حبيب بن مظاهر حيث كان يتربص لقاتل والده لا نزال حكم الله فيه .

وعندما خرج مصعب بن الزبير في البصرة التحق القاتـــل بجيـــشه خشية أن تطاله سيوف المختار ، فأخذ الغلام يلتمس الفرص الـــسانحة في معسكر مصعب للإجهاز عليه .

وبالفعل وجده يوماً نائماً في فسطاطه فضربه بسيفه بقوة وعنـــف تركته في ثوان جثة هامدة من غير حراك .

وأثرها حرص كل مقاتل ساهم في حرب الحسين (ع) والتحـــق بعد ذلك بجيش مصعب على الاختفاء بعيداً أو تغير السحنة والهويـــة مخافة عيون المختار ورجاله المنتشرين في كل مكان وزاوية مـــن أرض العراق وخارجه

وقيل((إنه اختفى حين ظهور أمر المختار فأعطاه الأمان فعاد إلى الكوفة))[٣٢]

وقد سئل المختار مرة عن أمكانية هرب عمر بن سعد رغم الأمان الممنوح له .

فأجاب : ((أنه لا يمكنه أن يهرب لأنه مقيد بسلسلة سميكة تحول دون ذلك)) .

وحين سئل عن طبيعة هذه السلسلة أجاب :

((أنها دعاء الحسين عليه في يوم عاشوراء .. وسلط الله عليك من يذبحك على فراشك من بعدي)) .

وفي فجر صباح أحد الأيام قرر المختار (وربما لما سمعه من أن الأمام السجاد (ع) قد أمله أن يكون أبن سعد حياً إلى الآن وهو في بيته بالكوفة آمن) قرر تصفية هذا العنصر الفاسد الذي لم تفده نصائح الحسين (ع) وغيره بترك قتال الحسين حيث صرح :

((لا قتلن رجلاً يرضى بقتلة أهل السماوات وأهل الأرضيين)) .

وحين بلغ أبن سعد أن المختار ينوي قتله (بعد سماعه لمقولة المختار الأنفة) أرسل أبنه حفصاً إليه ليجدد له الأمان ، فطلب المختار من الابن الجلوس ، ثم طلب أبا عمره رئيس حرسه فأسر إليه أن يقتل عمر بن سعد ويجيء برأسه فوراً .

---

٣٢ – شهيد كربلاء – فهمي عويس .

لقد قيل هنا أن (مجموع من قتلهم المختار تجاوز (١٨) إلف رجل ممن أشترك في قتل الحسين (ع) ٠ ٠)) [٣٣] من أصل الـ (٣٠) إلف رجل الذين قاتلوا الحسين (ع) في كربلاء ٠

وهو عدد كبير إذا ما قسناه إلى فترة حكمه في الكوفة والبالغة (١٨) شهراً وحتى عام (٦٧هـ) ٠

وكان المختار خلال فترة حكمه هذا قد صفى المنطقة برمتها من أن يسير عليها أحد ممن أشترك في حرب الحسين (ع) وقتاله ٠

وكان إذا طلب شخصاً من الذين اشتركوا في هذه الحرب ولم يعثر عليه ، لأن بعضهم قد تمكن من الهرب والآفلات إلى البصرة أو غيرها ، أمر بهدم داره وحرقها عن بكرة أبيها ومصادرة أرضه وضياعه (حتى لا يبقى له ذكر أو رسم أو أثر) حيث قام هنا بقسمتها بين الفقراء والمنكوبين من بني هاشم وشيعتهم ٠

ونشير بعد هذا إلى أن من لم تقتله سيوف المختار أو لم تصل يده الطويلة إليه فقد عملت المشيئة الإلهية على تنفيذ القتل واتمامه ٠

حيث أهلكت هذه المشيئة أو نكبت كل من شهد مقتل الحسين (ع) أو رفع رمحاً في حربه أو ضرب بسيف في قتاله ٠

---

٣٣ – اصدق الأخبار في قصة المختار – محسن الأمين العاملي

اهلتكه بحد السيف أو بالبلاء والمرض الذي لا يرجى شفاؤه أو العمى أو سواد الوجه أو بالجنون والهذيان وفي أبشع الصور وأشدها مذلة وهوانا ، ولم ينج منهم أي فرد أطلاقاً .

وهكذا تلقى قتلة الحسين (ع) جميعاً شر مصرع وأسوأ نهاية ، وليس منهم من مات ميتة رجل – وهي عبرة وعظة لكل الطغاة والبغاة في سائر أنحاء العالم بان حبل الظلم والجور قصير ، وأن كل ليلة يعقبها نهار وأن الكرسي لوبقي لسلفه لما وصل إليه ولما تربّع على أركانه وأستقر على دعائمه .

وعن هذه النتيجة المخزية إلتي آل أليها قتلة الحسين(ع) يقول أبن تيمية بالحرف :

((ما بقى أحد من قتلة الحسين حتى عوقب في الدنيا فهذا ممكن وأسرع الذنوب عقوبة البغي والبغي على الحسين أعظم البغي))[٣٤]

كما وقال أبن الجوزي عن الزهري حول الموضوع :

((ما بقى أحد منهم إلا عوقب في الدنيا إما بالقتل أو بالعمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة))[٣٥]

أما أبن كثير فقد كتب حول الموضوع بالحرف :

---

[٣٤] – منهاج السنة – ابن تيمية .

[٣٥] – تذكرة الخواص – سبط ابن الجوزي .

((وأما ما روى من الأمور والفتن إلتي أصابت من قتلـه فأكثرهـا صحيح ، فقّل من نجا منهم في الدنيا الا أصيب بمرض وأكثرهم أصابه الجنون)) [٣٦]

وفي الختام نشير إلى ما تقوله كاتبة مصرية معاصرة حـول هـذا الموضوع حيث كتبت تقول بالحرف : ((ولكن الذي لا شـك فيـه عند المؤرخين أن دم الحسين (ع) – الذي طلبته أخته زينب (ع) – لم يذهب هدراً ولكن القصة لم تنته بأخذ الثأر ، كانت هناك بقية لم تزل بقية من فصول ذات عدد .... الـــــخ)) [٣٧]

---

[٣٦] – البداية والنهاية – ابن كثير .

[٣٧] – بطلة كربلاء – الدكتورة بنت الشاطىء

النهاية المؤلمة

كان مصعب بن الزبير والياً من قبل أخيه الأكبر عبد الله بن الزبير على البصرة ، وكان الفارون من الكوفة من أعداء المختار وخصوم أهل البيت (ع) وممن تلطخت أيديهم بدماء الحسين (ع) كانوا يلجأون إلى البصرة وأصبحوا لسبب أو لأخر يلتفون حول مصعب ويشحذونه ويحرضونه للزحف على الكوفة والقضاء على حكومة المختار في مسقط رأسها .

وكان عبد الله بن الزبير هو الأخر يلح على أخيه مصعب بالزحف صوب الكوفة للقضاء على المختار وإسقاط حكمه ليتسنى ضم الكوفة إلى نفوذه وسيطرته ، وذلك مخافة أن يستقيم عود المختار بمرور الزمن ويتعذر من ثم إقصاؤه أو القضاء عليه ، وربما سيكون المختار هو الذي سيهدد البصرة بالاجتياح ويقضي على سلطة ونفوذ أبن الزبير هناك .

هذا فضلاً عن أن القائد العسكري العظيم الأشتر وساعد المختار الأيمن كان ما يزال في مدينة الموصل يتولى أدرأها بعد الهزيمة إلتي ألحقها بجيش الشام في معركة الخازر الشهرة ، وأن العلاقة بين الطرفين قد فترت وأصابها التصدع والوهن ، وأدى هذا الأمر بالقائد

إبراهيم الأشتر للانفصال عن المختار ومغادرة الكوفة والاستقرار في الموصل لأسباب لا نزال نجهل حقيقتها وأساسها .

خصوصاً وأن كليهما كان أمام أعداء مشتركين وأقوياء يتطلب الأمر هنا التآزر والتعاون لصد ودرء غائلة هؤلاء الأعداء ، لا الانفصال والفرقة ليكونا فريسة سهلة في أفواه أعدائهما .

كما وأن كثيراً من الناس في الكوفة قد أصابها وطالها سيف المختار وملاحقاته ، فبات أعوان وأقرباء هؤلاء يتحينون الفرص للانقضاض والإجهاز على الحكم القائم للانتصار لمن كان ضحية بسيف المختار أو سيف أعوانه .

أن هذه الأسباب وسواها قد اجتمعت وتلاقت لتقيم جبهة معارضة عريضة وقوية باتت تهدد بمرور الأيام سلطة المختار وحكومته وأصبح دفعها وتقويضها بمفرده من الصعوبة بمكان .

وعند انطلاق جيش مصعب إلى الشمال باتجاه الكوفة تهيأ المختار بدوره لمواجهته بما تبقى لديه من أنصار وأعوان في الكوفة .

وقبل خروج الجيش الذي أعدّه المختار لمواجهة الجيش الزاحف إلى الكوفة ، خطب المختار في أعوانه وأنصاره خطبة موجزة قال فيها:

((.. أما بعد يا أهل الكوفة فأن أهل مصركم قد بغوا عليكم كما قتلوا أبن بنت نبيكم وقد لجأوا على أمثالهم من الفاسقين الملحدين فاستعانوا بهم عليكم ، وذلك حينما علموا بأن ابن الأشتر

قد خذلني وقصر عن نصرتي ، وقد بلغني أنهم خرجوا من البصرة يريدون قتلي ليضمحل الحق وينتعش الباطل ويقتلوا أولياء الله ، ألا فأنهدوا مع الأحمر بن شميط ..)).

ويظهر من ثنايا هذه الخطبة مدى تخاذل الناس عن المختار وتثاقلهم عن نصرته فضلاً عن استياء المختار من أولئك الذين تركوا الكوفة واتجهوا إلى صفوف عدوه في البصرة ، ومدى ضعف أمله ورجائه في كسب الجولة العسكرية القادمة مع عدوه مصعب بن الزبير عند مواجهته له في ساحة المعركة .

وبعد اختتام الخطبة قام الناس متثاقلين وهم يرددون عبارة ((سمعنا واطعنا)) .

وعند خروج جيش المختار من الكوفة والذي وضعت قيادته بيد الأحمر بن شميط كان مجموع تعداده قرابة (٤) ألاف مقاتل ، بينما بلغ مجموع إفراد جيش خصمه مصعب حوالي (٧) الأف مقاتل.

وسار جيش المختار جنوباً مشيعاً من قبل المختار نفسه إلى أبواب المدينة حتى وصل إلى موضع يدعى ((حروراء)) جنوب الكوفة حيث عسكّر هناك لاستطلاع الموقف ودراسة ما يستجد من أحوال .

إما جيش مصعب فقد تقدم مسرعاً إلى الشمال ليلقي رحاله على مقربة من جيش المختار .

وحين تأهب الجيشان للنزال عرضت قيادة كل جيش على الطرف الأخر الطاعة والخضوع قبل شن الحرب عليه ، وهي عادة تقليدية كانت تتبع قبل التحام الجيشين لإمكانية حل المنازعات القائمة من دون خوض غمار الحرب والاكتواء بنارها .

وكانت قيادة جيش مصعب قد عرضت أولا على الطرف الأخر البيعة والولاء لعبد الله بن الزبير .

وقد أبت قيادة جيش المختار قبول هذا الطلب المعروض ، بينما عرضت على جيش مصعب مطالبها وهو الانقياد للهدف النبيل الذي ثار المختار من اجله وهو ((الطلب بدم آل البيت (ع) ..)) ثم جعل الأمر شورى بين آل الرسول (ص) .

وحيث أن كل طرف لم يسمع أو يخضع لمطالب خصمه، لذا فقد نشبت الحرب بين الطرفين تحصد الأرواح وتطيح بالرؤوس في جنون وغباء لا مثيل لها .

وقد أستطاع جيش المختار من إحراز بعض الانتصارات في الجولات الأولى من المنازلة .

إلا أن النصر في النهاية كان إلى جانب جيش مصعب بن الزبير ، بسبب تخاذل البعض من جند المختار والذين أخذوا يتفرقون عنه شمالاً وجنوباً وهم يقولون :

((أما وعدتنا بالنصر على عدوّنا))

فيجيبهم قائد الجيش بقوله تعالى:

((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) [38]

وهكذا دخل مصعب رفقة القائد المهلب بن أبي صفرة إلى الكوفة وهو في منتهى الفرح و السرور بهذا الفتح الذي لم يكن ليحلم به من قبل .

أما المختار فبعد أن يئس من عون أصحابه تـوارى في قـصر الأمارة مع جملة من أعوانه حيث تم حصار القصر من قبـل مـصعب لفترة طويلة قيل أنها بلغت (٤٠) يوماً أو (٤) شهور متوالية.

وكلما شددوا الحصار على المختـار في القـصر كلمـا ازداد المحاصرون ثباتاً ورسوخاً و إيماناً بالقضية التي يحاربون من اجلـها في الرد والمقاومة .

وكلما حاول المختار خلالها كسر الحصار عن طريق الخروج من القصر والدخول مع جيش مصعب في حرب شوارع وأزقة .

إلا أن أهل الكوفة قد خذلوه أيضاً فظل وحيداً مع مقاتليه يحارب وينازل جيش العدو بآلافه المؤلفة .

وفي الأخير قرر المختار أن يضع نهاية كريمة لحياتـه الجهاديـة ، حيث كره و استعاب مكوثه لفترة أخرى في القصر خصوصاً بعد أن منع عنه وعن أعوانه الماء .

---

[38]- الرعد ٣٩.

وهنا جمع المختار من تبقى من أصحابه داخل القصر وخاطبهم بقوله :

((إن الحصار لا يزيدنا إلا ضعفاً فلنخرج إليهم حتى نموت كراما)) .

فخرج من القصر هو وأعوانه وقيل أن عددهم كان (١٧) رجلاً فقط واستمات في قتال أعدائه في شوارع الكوفة وسككها وهو يتمثل بأبيات عيلان الثقفي :

ولو يراني أبو عيلان إذ حسرت عين الهموم بأمر ماله طبق
لقال رعباً وغنما يجمعان معاً غنم الحياة وهول النفس والشفق
والموت أحمد شيء للكريم إذا طغى له الدهر والآجال تحترق

ولقد حمل المختار وهو راكب على بغلة شهباء على الآلاف المحدقة بالقصر حملة منكرة مبدياً شجاعة نادرة وبسالة فائقة حيث قتل منهم أعداداً كبيرة .

ثم شددوا عليه الخناق فعاد إلى القصر ثانية . ولقد ضاقت نفسه أثر ذلك من الحياة حيث قام وأغتسل ليودع الحياة الدنيا ويستقبل الدار الآخرة .

وهكذا حمل مرة أخيرة على قوات العدو مع لفيف من أصحابه الذين أثروا أن يكون مصيرهم كمصير قائدهم المختار ومرتبطاً به ،

حيث ثبتوا في وسط الميدان حتى الرمق الأخير موقعين في صفوف خصومهم أفدح الخسائر والاصابات .

وفي النهاية طحنتهم وأخذتهم سيوف ورماح وسهام الأعداء لتنقلهم من ضيق الحياة الدنيا إلى سعة الدار الآخرة وبإباء وشمم وبرؤوس عالية لم تنحني للطغاة والظالمين حتى في أحلك الظروف وأقساها وهذه هي خال الشجعان وأصحاب الكلمة والمبدأ والعقيدة.

وكانت هذه النهاية قد تمت في يوم ١٥ رمضان المبارك من عام(٦٧هـ) ، وكان عمر المختار عند يوم شهادته ٦٧سنة وبعد سنة ونصف من الحكم والإدارة حيث أستطاع خلاله من قتل (١٨) ألف رجل ممن شارك في حرب الحسين (ع) ، وهو عدد كبير جداً إذا ما قيس إلى فترة حكمه القصيرة وهي (١٨) شهراً .

وبعد استشهاد المختار قطع رأسه ثم أمر مصعب إن يوضع على أحد أبواب المسجد الجامع في الكوفة ، وبعد عدة أيام أمر مصعب بإرسال الرأس إلى أخيه عبد الله ليهنئه ويفرحه بالنصر الذي أحرزه على المختار وحكومته في الكوفة .

وبالفعل فقد نقل الرأس إلى مكة المكرمة ، وعندما طلب الناقلون من أبن الزبير المكافأة على ذلك أنكر عليهم هذا الطلب وأعادهم خائبين إلى الكوفة حيث خسروا الدنيا والآخرة معاً .

وبهذه الطريقة أسدل الستار على ثورة المختار ، وحيث أنها قد قامت واستقامت بحد السيف فأنها انتهت أيضاً بحد السيف أو أن مؤسسها ومفجّرها قد أستشهد بحد السيف .

ولكن هذه الثورة لم تنهار أو تسقط باستشهاد قائدها واحتوائها من قبل أعدائها – كما هو حال الكثير من الثورات التي قامت في هذا العهد أو قبله – وفي هذه المنطقة او تلك .

بل ظلّت جذوتها وإشعاعاتها حيّة في قلوب الكثير من الخلق وخصوصاً بقدر تعلق الأمر بقيامها وسعيها المستمر في المطالبة بدم الحسين (ع)، هذا الدم الذي سيظّل إلى الأبد الشعلة الوهاجة التي تنير للمحرومين والمستضعفين طريق العزة والحرية والكرامة .

أما ما جرى في الكوفة بعد مقتل المختار ، فيقال أن مصعب بن الزبير كان قد أغرى الذين ظلوا صامدين في قصر الأمارة وخدعهم بالأمان وأعطاهم العهد والميثاق على أن لا يمسهم بأي سوء .

وحين فتحوا أبواب القصر – لائذين بالعهد والأمان – نقض مصعب وعده ومزّق عهده حيث أصدر أوامره القاسية والشديدة بتصفية كل هؤلاء وإلحاقهم بركب المختار (رحمه الله) .

وبالفعل فقد نفذ حكم الإعدام وفي يوم واحد فقط بكل من كان مقيماً في القصر بعد استشهاد المختار وقيل أن عددهم يبلغ عدة آلاف .

ولقد عدّت هذه أفظع وأقسى مذبحة مروعة لم تشهد الكوفة نظيراً لها في تاريخها القريب والبعيد .

كما أصدر مصعب أمراً بإعدام زوجة المختار (عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري) لأنها لم تتبرأ من زوجها وتشهد بكفره ، وعدّت هذه المرأة الصابرة المجاهدة أول من تضرب عنقها صبراً في تاريخ العالم الإسلامي .

هنا وأن الأمر والحكم الدموي لمصعب بن الزبير لم يدم طويلاً في الكوفة أو البصرة حيث جاءه وأحاط به جيش الشام بقيادة عبد الملك بن مروان والذي تولى الخلافة عقب وفاة والده مروان في ٣ رمضان من عام (٦٥هـ) ليسقيه من نفس الكأس التي قدمها للمختار ولزوجته عمرة الأنصاري من قبل .

حيث قُتل مصعب وقطعت رقبته وألقيت إلى جوار إقدام عبد الملك بن مروان ، ليصبح بذلك عبرة لكل الدمويين والطغاة في ارجاء العالم.

ثم يتوجه جيش الشام بقيادة الحجاج بن يوسف إلى مكة المكرمة حيث يقيم فيها أخو مصعب وهو عبد الله بن الزبير ليشن عليه وعلى أنصاره حرب ابادة واستئصال لم تبق لهم باقية .

وكانت نتيجة الحرب هذه هو سلخ جلد أبن الزبير كسلخ جلود الأضاحي ليغدو (هو الآخر) العبرة الكبرى والأخرى لكل المغرورين والمنتفعين والظالمين في هذا القطر أو ذاك من العالم .

هذا وارى في نهاية هذا الفصل أن الخلاف الذي نشب بين المختار وإبراهيم الأشتر[٣٩] هو الذي أوصل الحال إلى ما وصل إليه،ولربما تغيّر وجه التاريخ لو أن العلاقة ما بين الاثنين كانت وثيقة وجيدة ومتينة ، حيث كان المختار–بمساعدة الاشتر– سيرد جيش مصعب على أعقابه ولما تمكن الجيش الأموي من الوصول إلى الكوفة ولإصابة ما أصـابه من قبل وفي معركة الخازر من هزيمة منكرة وساحقة ليس لها نظير .

ولأدى ذلك إلى استمرار حكومة المختار لفترة طويلة في الحكـم والإدارة ولربما أمكن لها من إسقاط حكومة أبن الزبير في مكة المكرمة والأموية في الشام وبسط نفوذها في كل ارجاء العالم ورفع لواء وراية آل محمد في كل مكان على وجه البسيطة ولاستظل الناس حيث مـا كانوا بخيراتها وبركاتها وانجازاتها ومشاريعها الـضخمة والعملاقـة . وحتى ظهور الامام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) .

---

[٣٩] – نشير هنا الى انه لو كان لنا ان نأسف على شئ في هذه الدراسة فاسفنا الكبير هو للخـلاف او الفرقة الذي تم بين المختار وابراهيم الاشتر ولانعرف – على وجه الدقة – من كان يقف وراء هـذا الخلاف او من كان يغذيه وما هي اسبابه الحقيقية وممن كانت البداية .

الا ان الذي يمكن قوله هنا تعقيباً على ذلك هو ان الشيطان الرجيم الذي اثار النزاع بين ولديّ ادم (ع) وادى الى قتل احداهما للاخر ، ان هذا الشيطان له اليد الطولى في اثارة هذا الـنزاع بـين الاخوين المختار وابن الاشتر .

واظن هنا انه لم ياسف أي منهما (المختار وابن الاشتر) على شئ في حياتهما كاسفهما على هذا الخلاف الـذي نشب بينهما ، رغم ان هداية الله تعالى ووصايا رسله واهل البيت (ع) وكل الحكماء في العالم تدعوا الى الوحدة والتماسك والاتفاق ، ولا نزال نحتفظ في اذهاننا ماسمعناه في المدرسة او في البيت او خارجه عن فوائد الوحـدة والتكاتف ومضار الفرقة والاختلاف ... ولكنه اسف جاء بعد فوات الاوان ...

الخاتمة

أن من العادة الجارية والمتبعة هو أن يضع المؤلف لكتابه مقدمة عند مطلعه ، كما وينهيه بخاتمة . وعبر سطور هذه وتلك يلمس القارئ الكريم من خلالها بعض هموم الكاتب وأتعابه في أعداد الكتاب أو في طبعه أو نشره أو سوى ذلك ..

وحيث أن طبع الكتب وتوزيعها قد انتقلت وخرجت – في هذا العهد – من متاعب الكاتب وهمومه لتقع في ذمة المكتبات ودور النشر والتوزيع والتي غطّت مراكزها الساحة الثقافية وفي هذا القطر أو ذاك حيث أخذت على عاتقها مهمة حمل وتخفيف الجهد والعناء الذي كان يتحمله الكاتب من قبل في طبع ونشر ما يعدّه من بحوث ومواضيع وذلك لقاء عدد محدود من النسخ تقدّمه له ، ليتاح للمؤلف هنا الاحتفاظ ببعضها كذكرى لجهوده وأتعابه في إعداد الكتاب ، ولتقديم ما تبقى منها إلى خاصة أعزائه وأصدقائه كعربون ودليل للصداقة والمحبة التي تجمعهما عبر الزمن .

هذا وأن أعداد أي بحث أو موضوع مهما كان لونه قد يتعب صاحبه قليلاً أو كثيراً حتى وأن كانت كتابته هذه تبحث عن سيرة حياته ومذكراته الخاصة ، كما ويأخذ من وقته فترة قد تطول أو تقصر .

إلا أن هذه المتاعب والهموم ستتضاعف وتزداد فيما إذا كان الموضوع الذي يعدّه يعيش بعيداً عن الأضواء وغير مطروق من أحد أو أن القليل من الناس قد كتبوا عنه وخاضوا في خضمه .

حيث سيتطلب الحال هنا بذل جهود مكثفة وأتعاب مضاعفة في البحث والتنقيب عبر المصادر والمراجع إلتي تتناول الموضوع من قريب أو بعيد .

أن كثيراً من المواضيع والأبحاث إلتي تطرقت إليها سابقاً كانت ضمن نطاق ومحيط تلك التي هي بعيدة عن الأضواء وقّل أو ندر من كتب عنها في كتب مستقلة .

لذا فقد ذقت المتاعب والمشاكل من أجل أعدادها وتهيئتها في دراسات مستقلة علماً بان هذه – لحسن الحظ – لم تذهب سدى ، حيث أن الله سبحانه قد سدد الخطى ومهّد السبيل لإتمامها وإنهائها وبقليل من المتاعب والتكاليف .

كما أن تشجيع الأصدقاء الأعزاء ليّ وفي هذا البلد أو ذاك هو الأخر قد سهّل ويسر لي أعدادها وبالشكل الذي هو عليه .

وأني بعد هذا وذاك لا أدعي الكمال بل ولا نصفه أو ربعه في كل ما كتبته الآن أو قبل ألان ، ولكن الذي يمكن قوله هنا هو أني بذلت غاية جهدي ونهاية طاقتي في ذلك ، فكانت النتائج كما يراها القارئ الكريم عبر هذا الكتاب أو سواه .

هذا ولست أدري هل أن أسلوبي في الكتابة والتحرير يبعث الأمل والرجاء لخوض مواضيع مهمة أخرى أم أنه على عكس ذلك ، وهذا أمر يدركه القراء الكرام قبل سواهم عبر رحلاتهم التاريخية في أجواء هذا الموضوع أو ذاك ..

أن هذا الموضوع قد كرّس من ألفه إلى يائه للحديث عن المختار الثقفي ، والذي أعتبره – بل هو الحقيقة – أحد فرسان العرب وقادة المسلمين والذي آثره الله سبحانه ليرّد كيد الطغاة والظالمين إلى نحورهم ، حيث جاهد هذا الفارس الهمام منذ مطلع شبابه وحتى ساعة رحيله في الانتصار لأهل البيت (ع) واسترداد حقوقهم المغصوبة والثأر لدمائهم التي سفكت في كربلاء من دون وجه حق ..

رغم أنه كان في أمكانة وبسهولة أن ينال أعلى المراتب والمناصب في أجهزة الأنظمة التي كانت قائمة في وقته لو أنه داهن ولو قليلاً في دينه أو تخلى ولو شيئاً محدوداً عن حبه وولائه العارم لأهل البيت– ع– عامة والإمام علي(ع) بوجه خاص.

إلا أن هذا المناضل لم يكن مثل أولئك الذين ينحنون للعاصفة أو ينعقون مع كل ناعق ، حيث نراه يؤثر الموت على الارتماء في أحضان الطغاة والسجن والغربة على مجاراة البغاة والشقاة .

وهذا الأمر قد دعا كثيراً من وعاظ ومرتزقة وأزلام الأنظمة الجائرة في عهده(١–٦٧هـ) أو بعد عهده إلى اتهامه بمختلف التهم

والسيئات – رغم أيمانه العميق بالله تعالى ورسوله وأهل بيته ومن قمة رأسه إلى أخمص قدميه – وأنه من أهل الدرجات الرفيعة والمراتب العالية .

فمرة يقال عنه أنه كان يدعي النبوة وآخر يصرح بان الوحي يأتيه من السماء وغيره ينسبه إلى الكيسانية ورابع يقول عنه أنه كان يحتفظ بكرسي فيه آثر من علي(ع) وهو فيه مثل التابوت الذي كان في بني إسرائيل فيه السكينة والبقية والملائكة ، وخامس يكتب عنه أن أئمة أهل البيت الكرام (ع) في المدينة قد تبراؤا منه وغيرهم يقول عنه كان يسجع كسجع الكهان وسواهم يصرح من أنه بايع أبن الزبير على علاته ، وآخرون يقولون عنه أنه طلب من عمه سعد في شبابه حين كان عاملاً على المدائن أن يوثق الأمام الحسن (ع) ويسلمه إلى معاوية لينال بذلك عطاء سخياً ... الخ .

أما الذي أراه عبر كل هذه الاتهامات الموجهة إلى المختار من قبل هذا أو ذاك ، أن كل هذه في الحقيقة ما هي إلا محاولات بائسة وبائسة من كل هؤلاء لسحب البساط من تحت قدميه من أجل طمس جهوده ونضاله الدائم في التصدي للأمويين والزبيريين فضلاً عن مساعيه وكفاحه في الثأر لدماء أهل البيت(ع) حتى غدا أسمه مربوطاً وعلماً على هذا العمل ولا ينفصم عنه ابداً ..

هذا وأن سلسلة أعماله عبر حياته المديدة قد دعت أئمة أهــل البيت (ع) لأن يذكروه في الحياة بالخير وبحسن الجزاء وأن لا يمســه أحد بسوء وأن يترحموا عليه بعد رحيله عن هذه الحياة الدنيا...

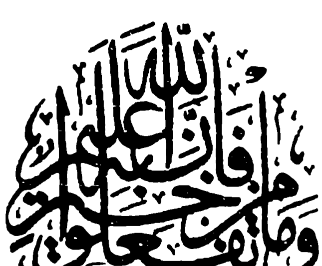
وهذه مكانة ودرجة لم ينلها أو يشغلها إلا القليل من أنــصار وأعوان أهل البيت (ع) والذي لا يجود الدهر بهم إلا قلــيلاً ويظــل المختار الثقفي في طليعتهم ومقدمتهم .

فسلام على المختار يوم ولد ويوم أشهر سيفه في وجه كل من كان له يد في إراقة دماء أهل البيت ويوم أستشهد وهو يــذود عــن مبادئ الحق والحرية ويوم يبعث حياً.

والحمد لله رب العالمين ... وهو حمد أن كان له بداية فلا نهايــة له وأن كان له أول فلا آخر له والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. والله اكبر ....

كربلاء المقدسة　　　　محمد علي يوسف الاشيقر

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



المصادر والمراجع

١/ المختار الثقفي - أحمد الدجيلي

٢/ المختار الثقفي (كراس) سلسلة صحـ.ـابة وقفوا مع النبي عدد(١٢)
كمال السيد

٣/ أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثأر. السيد محسن الأمين ألعاملي

٤/ مختار آل محمد (باللغة الأوردية) السيد نجم الحسن كرار

٥/ الأمير المختار (باللغة الأوردية) السيد بشارة حسين كامل مرزا

﴿ كتب للمؤلف ﴾

●لمحات من تاريخ القرآن الكريم . طبع مرتين في العراق ولبنان
●أضواء على شبه القارة الهندية .
●الإمام علي .. من الكعبة إلى الغري .
●الحسين .. ثورة دائمة .
●تاريخ المساجد في الإسلام .
●تاريخ التصوف في الإسلام .
●عمار بن ياسر .. صوت لم يخمد وسيف لم يغمد . نفذت نسخه وسيعاد طبعه
●اليمن .. بين مفاخر الأجداد ومآثر الأحفاد .
●زيد والزيدية . تحت الطبع
●العباس .. رجل العقيدة والسيف . طبع مرتين في العراق وايران
●مسلم بن عقيل .. بريق النبوة في ظلمات الكوفة . طبع مرتين
●الأمثال والكنايات الشعبية الشائعة في بلاد الرافدين .
●المختار .. ثائر بني ثقيف . هذا الكتاب
●الموجز في أحكام ومسائل وآداب المساجد والجماعة . طبع مرتين
●جعفر الطيار .طليعة شهداء الفتح الإسلامي . طبع مرتين
●الحمزة بن عبد المطلب .. شهيد المبدأ والعقيدة . نفذت نسخه وسيعاد طبعه
●مالك الأشتر النخعي .. لسان علي ويده . نفذت نسخه وسيعاد طبعه
●سلمان الفارسي .. في بحثه عن الحقيقة . نفذت نسخه وسيعاد طبعه
●أبو ذر الغفاري .. من الثوار الأوائل في الإسلام . طبع مرتين
●بلال بن رباح الحبشي .. المؤذن الأول في الإسلام . تحت الطبع
●الموجز في سيرة حياة أهل البيت (ع) .
●أفغانستان .. مدرسة الحرية في آسيا .
●المرشد إلى أعمال الحج والعمرة والزيارة . طبع ثلاث مرات
●الشجرة الطيبة المباركة لأهل بيت النبوة الأطهار (ع) نفذت نسخه وسيعاد طبعه
●محمد إقبال ....محمد علي جناح ..من رواد النهضة الإسلامية المعاصـــرة في شبه القارة الهندية .. نفذت نسخه وسيعاد طبعه
●لندن ... ذكريات ومشاهدات
●مرشد الخاشعين ... إلى أعمال وأدعية شهر رمضان الكريم تحت الطبع
●من ضباب المهد ... إلى تراب اللحد . وهي مذكرات المؤلف في خضم حياته الدنيا.
تحت الطبع

من ضباب المهد ...

إلى تراب اللحد

يتضمن هذا الكتاب مذكرات المؤلف والتي تتناول سيرة حياتــه في خضم الحياة الدنيا بما في ذلك طوافه وتجواله في ربوع المعمورة ومن قــرب خط الاستواء إلى قرب المحيط المنجمد الشمالي

تأليف

محمد علي يوسف الاشيقر

بكالوريوس في القانون

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

هاتف (٣٢١١٥٥) **موبايل** (٠٧٨٠١٧٠٧٠٧٦)

تنضيد وطبع مطبعة كربلاء

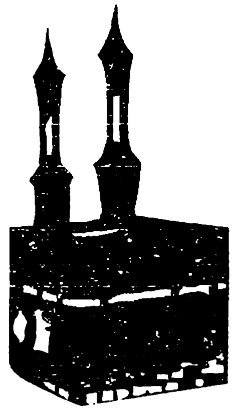
كربلاء المقدسة - شارع العباس (ع)

هاتف (٣٣١٨٦٩)

موبايل (٠٧٧٠٢٦٦٢٧٩٠) (٠٧٨٠٣٦٨٥٧٠٤)

بلال بن رباح الحبشي

المؤذن الأول في الإسلام



تأليف

محمد علي يوسف الأشيقر

بكالوريوس في القانون

البريد الالكتروني aleshiker@aawsat.com

هاتف (٣٢١١٥٥) موبايل (٠٧٨٠١٧٠٧٠٧٦)

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

تنضيد وطبع

مطبعة كربلاء – هاتف (٣٤١٨٦٩)

موبايل (٠٧٩٠٣٤٦٤٤٨٠)

زيد والزيديه

ويتناول سيرة الشهيد المجاهد زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام)
فضلاً عن طبيعة وحقيقة مذهب الزيديه المنسوب إليه
والشائع في بلاد اليمن السعيدة

تأليف

محمد علي يوسف الأشيقر

بكالوريوس في القانون

البريد الألكتروني aleshiker@aawsat.com

هاتف (٣٢١١٥٥) موبايل (٠٧٨٠١٧٠٧٠٧٦)

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م

تنضيد وطبع

مطبعة كربلاء – هاتف (٣٣١٨٦٩)

موبايل (٠٧٩٠٣٤٦٤٤٨٠)

الكتاب القادم :

الموجز في سيرة حياة أهل البيت (ع)

يتناول هذا الموجز والذي كتب مقدمته العلامة الشيخ باقر شريف القريشي - تاريخ وسيرة كوكبة ناصعة ومتميزة من ليوث وفرسان أهل البيت الكرام (ع) حيث تم عبر صفحاته جمع ما تناثر وتوحيد ما تفرق هنا وهناك عن سيرة وحياة هذه الكوكبة اللامعة من رموز ورجالات أهل البيت (ع) ..

ولقد تم ترتيب وإعداد هذا الموجز تبعاً ووفقا لنقاط عديدة ومختلفة تخص كل واحد من أبناء هذا البيت الطاهر تبدأ من المهد لتنتهي عند اللحد. ومن هذه النقاط التي آثرنا إيرادها بإيجاز واختصار والخاصة بكل واحد منهم هي : الاسم الكامل ، الكنية ، الأب ، الأم ، الجد ، الإخوة ، الزوجات ، الأبناء ، تاريخي الولادة والوفاة ومكانهما ، الآثار التي خلفها وراءه ، بعض ما نظم وقيل عنه ، قبسات من أقواله وحكمه ، موجز تاريخ حياته .....الخ .. علما بأنه يصعب هنا الكتابة أو الإشارة إلى كل أبناء أهل البيت (ع) أو اغلبهم لكونهم قد ملئوا أرجاء المعمورة، وإنما تم اختصار عددهم ليشمل الصفوة والطليعة منهم والتي تتردد أسماؤهم وذكراهم على أفواه والسنّة الناس وهم في حدود أل (٣٥) علم زاهر وخفاق. ومنهم الرسول الأعظم محمد (ع) وزوجته خديجة (ع) وعمه أبو طالب وزوجة عمه فاطمة بنت أسد وعمه الآخر الحمزة وأبناء عمه عبد الله بن العباس وعقيل بن أبي طالب وجعفر بن أبي طالب فضلاً عن الأئمة الأبرار الاثنا عشر بدءاً من الإمام علي (ع) وانتهاء عند المهدي المنتظر (ع)، إضافة إلى العباس بن علي (ع) والحوراء زينب (ع) ومحمد بن الحنفية ومسلم بن عقيل

وولداه محمد وإبراهيم وسكينة ورقية ابنتي الحسين (ع) وزيد بن علي وولده يحيى والقاسم بن الإمام موسى الكاظم (ع) والسيدة نفيسة حفيدة الإمام الحسن (ع) والسيد محمد بن الإمام الهادي (ع) وفاطمة أخت الرضا (ع) ....الخ والذين جاء ذكرهم على لسان احد الشعراء حيث نظم :

ولولاهم لم يخلق الله آدم ولاكان زيد في الأنام ولاعمرو
ولاسطحت ارض ولارفعت سما ولا طلعت شمس ولاشرق البدر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم فكل نبي فيه من سرهم سر

كما ونظم شاعر آخر عنهم يقول :

هم العروة الوثقى لمعتصم بهم مناقبهم جاءت بوحي وانزال
مناقب في الشورى وسورة هل أتى وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم اهل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروض بحكم واسجال
فضائلهم تعلو طريقة منتهى رواة علوا فيها بشد وترحال

كما ونظم شاعر ثالث يقول :

من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم ملجا ومعتصم
إن عَد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

كما ونظم شاعر رابع (الشافعي) يقول :

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في ابحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد امرنا بالتمسك بالحبل

نأمل بعون الله تعالى أن نوفق سريعا لطبع ونشر هذا الموجز ليكون في أيدي القراء الأعزاء في هذا القطر أو ذاك وفي وقت قريب جداً – والحمد لله رب العالمين دائما وأبدا .

ترقبوا صدور الطبعة الثالثة من كتاب :

لمحات من تاريخ القرآن

لقد طبع هذا الكتاب لأول مرة في مطبعة النعمان في النجف الأشرف عام ١٩٦٦م وأعيد طبعه مزيداً ومنقحاً في (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات) في لبنان عام ١٩٨٨م .

ويضم الكتاب ويؤرخ بإسهاب تاريخ القرآن الكريم منذ نزوله على صدر الرسول (ص) في غار حراء بقوله سبحانه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ......الخ) وحتى اختتامه بقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .....الخ) فضلاً عن احتوائه على الكثير مما يتعلق ويرتبط به من مواضيع قريبة أو بعيدة مثل :(الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن ، أسماء القرآن وصفاته ، الجمع الأول والثاني والثالث للقرآن ، ضبط آيات القرآن ، المكي والمدني في القرآن ، محكم القرآن ومتشابهة الناسخ والمنسوخ ، خلق القرآن وقدمه ، تفسير القرآن ، أقسام التفسير والترجمة ، طبقات المفسرين ، الوضع في التفسير ، التصحيف في القرآن ، أعجاز القرآن ، علوم القرآن وفنونه ، أسلوب القرآن ، تناسب الآيات والسور ، الحروف المتقطعة في أوائل السور ، الحروف السبعة في القرآن ، أسباب النزول ، القراء والقراءات في القرآن ، أثر القرآن في اللغة العربية ، القرآن والعقول الالكترونية ، البداء في القرآن ، أساليب مميزة في القرآن،فوائد القرآن وطرائفه،القرآن من الجانب الآخر..الخ).

كما وقد أشاد وثمّن هذا الكتاب الكثير من العلماء والأدباء وأرباب القلم والفكر والبيان ومنهم : (آية الله السيد محمد علي الحمامي ، آية الله

السيد محمد الشيرازي ، العلامة السيد أمير محمد القزويني ، العلامة الشيخ علي حيدر ، العلامة الشيخ باقر شريف القرشي ، العلامة السيد محمد الحيدري ، العلامة السيد فاضل علي الموسوي ، الخطيب الشيخ عبد الزهراء الكعبي ، الخطيب الشيخ عبد الزهراء الحجاج ، الدكتور جابر العطا ، الدكتور حميد مجيد هدّو ، السيد جواد بحر العلوم ، السيد كاظم محمد النقيب ، السيد سلمان هادي طعمة ، السيد عباس الطباطبائي ، السيد علي سعيد الموسوي ، السيد مرتضى الوهاب ، السيد صاحب يونس ، السيد عبد الجبار الهاشمي ، الحاج محمد علي الشاوي ، الحاج محمد علي النصراوي ، الأخ عبد الأمير ذياب ، الأخ كاظم الجابري ، الأخ علي أبو لحمة ، الأخ محمد نور عباس،الأخ المحامي محمد جواد عطا ...الخ).

هذا وان (اذاعة القرآن الكريم من مكة المكرمة) قد أشادت هي الأخرى بهذا الكتاب في برنامج (كتاب الشهر) والمذاع في شهر شعبان من عام ١٤٢٢هـ ..

وسيكون هذا الكتاب (في طبعته الثالثة) في أيدي الأخوة الأعزاء في هذا القطر أو ذاك قبل نهاية السنة القادمة بعون الله تعالى والذي له الحمد والشكر دائماً وأبداً ..

الكتاب القادم إن شاء الله تعالى :

لندن ... ذكريات ومشاهدات

يتناول هذا الكتاب السياحي الإشارة إلى غالبية مواقع ومشاهد ومعالم العاصمة البريطانية لندن بما في ذلك المراكز الإسلامية والمساجد والمصليات والمتاحف المختلفة ومن ضمنها المتحف البريطاني ومتحف لندن ومتحف مدام سوتو والمتحف الحربي ، ومكتبة المتحف البريطاني ، وخط گرينش وسفينة گرينش وقبة گرينش (الالفين) ونفق گرينش للمشاة وقلعة وندستور وقلعة تاور وجسر تاور وكاتدرائية سانت بول وقصر بگنگهام وكنيسة وستمنستر ابي وساعة بگ بن والمترو (الأندرگراوند) الذي يربط البلدة بعضها ببعض والحدائق والمنتزهات العامة والتي تنتشر وتغطي نصف مساحة البلدة بما فيها حديقة هايدبارك وريجنت بارك وگرين بارك ورجموند بارك وفيو بارك وسانت جيمس بارك وكنگستون بارك وهالند بارك وحديقة الحيوان (والتي تتجول فيها السيارات التي تحمل الزائرين لها بين قطعان الحيوانات الشرسة والمفترسة) ودولاب الهواء (عين لندن) الذي يحمله من جهة واحدة عمودان عملاقان مائلان ، وساحة بيكادلي وساحة الطرف الأغر ونصب الحرية ومحطة واترلو ومحطة فكتوريا ومطار هيثرو وملعب ومبي الرياضي الحديث وقوسه العملاق الضخم المائل ومعرض هارولدز (الذي يملكه محمد الفايد المصري الاصل) وشوارع ريجنت واكسفورد واجورد (العرب) ومحطة BBC ونهر التايمس والانفاق العديدة التي شقت تحته والخاصة بمرور المشاة

والسيارات والقطارات اضافة الى السفن والقوارب السياحية التي تحمل السواح وتمخر في عبابه ...الخ .

فضلاً عن بعض المشاهد والمعالم والمواقع التي تتواجد في جنوب البلاد وشمالها ومن بحر الجنوب الى بحر الشمال وفي مدن بور تسموث وأكسفورد وكمبردج وبرمنگهام ومانجستر وليز ....الخ .

هذا ونشير من ثم إلى إن عدد المسلمين في بريطانيا (والتي تبلغ مساحتها ٢٤١ الف كم[٢]) هو ٣مليون نسمة من مجموع السكان البالغ ٦٠مليون نسمة ، ويكوّنون بذلك ٥% من نفوس البلاد ، أما العاصمة لندن فقط فيكون المسلمون ٨,٥% من نفوسها البالغ أكثر من ١٠مليون نسمة ، كما إن عدد المساجد والمصليات في عموم البلاد يبلغ ٩٨٨ مسجداً ومصلى منها ١٦٥مسجد ومصلي في العاصمة لندن فقط ..

علماً بأن كل هذه المشاهدات والمعلومات كان قد دونها وسجلها المؤلف في غضون سفرته الأخيرة إلى المملكة المتحدة والتي تمت في أيلول عام ٢٠٠٦م واستغرقت ثلاثة أسابيع بالتمام والكمال .

نأمل أن يكون هذا الكتاب السياحي في أيدي كل الإخوة والأصدقاء الكرام في قطر العراق العظيم وخارجه وبأقرب وقت ممكن ليتاح للجميع الاطلاع والوقوف عن كثب على هذه المعالم والمشاهد والمواقع المختلفة والمتواجدة هنا وهناك والتي ستغنيهم (كما أرى) عن بذل الجهود والمتاعب والأوقات والأموال للوصول إليها والوقوف على تفاصيلها وطبيعتها .....

ترقبوا صدور كتاب :

الأمثال والكنايات الشعبية الشائعة في بلاد الرافدين

يضم هذا الكتاب أكثر من (٦٠٠٠) ستة آلاف مثل شعبي شائع في بلاد الرافدين ومن الموصل شمالاً إلى البصرة جنوبا ومن خانقين شرقا الى الرطبة غربا وهي مقسمة وفقا للحروف الهجائية العربية ..

كما إن مقدمة هذا الكتاب تضم أكثر من(٦٠٠) ستمائة مثل أجنبي شائع في أكثر من (٤٠) قطر في أرجاء العالم مترجمة إلى اللغة العربية ومنها الأمثال (الكردية – الفارسية – الأفغانية – الهندية – الباكستانية – الماليزية – اليابانية – الصينية – الاندنوسية – الروسية – الحبشية – النيجيرية – الكينية – الشادية – الإنكليزية – الألمانية – الفرنسية – البولندية – السويدية – الإيطالية – الأسبانية – الهولندية – البلجيكية – اليونانية – الأمريكية – البرازيلية – الشيلية – الأرجنتينية – المكسيكية – الاسترالية – النيوزلندية ....الخ)...

علما بان الأمثال الشعبية الواردة في هذا الكتاب والتي تبدأ بلفظ الجلالة (الله) تعالى(٢) فقط نزيد على المئة مثل ..

كما إن الأمثال الشعبية التي تبدأ بألفاظ (إذا) (اللي) (كل) (لا) (لو) (ما) (من) فقط تزيد كل واحدة منها أيضا على المئة مثل ..

وسيكون هذا الكتاب في أيدي كل الإخوة والأحباء والأصدقاء وفي القطر العراقي الحبيب أو في خارجه قبل نهاية العام القادم إن شاء الله تعالى والذي نحمده ونشكره ليلا ونهارا سرا وجهارا ومن دون نهاية ..

---

(٢)نود العلم بان عدد الفاظ الجلالة (الله) تعالى في القرآن الكريم تبلغ (٢٧٩٩) لفظ

بعض الأمثلة الواردة في هذا الكتاب والتي تبدأ بلفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى

١. الله ومحمد وعلي وياك ...

٢. الله يخفيك شرهم ...

٣. الله وامان الله ...

٤. الله يحاسب على گعدة ساعة ...

٥. الله گلك محمد حچاك ...

٦. الله اقل صبره اربعين سنة ...

٧. الله انطاك الله اخذه ...

٨. الله يرزق الهايم والنايم ...

٩. الله مايفشخ بحجارة ...

١٠. الله اعلم بنگاد الدراهم ...

١١. الله يعطي جوز الماعنده سنون ...

١٢. الله خلق الداء والدواء ...

١٣. الله مايدّندل بزبيل ...

١٤. الله يعرف السلاية وسوّد راسه ...

١٥. الله جايب شغله راس (عدل) ...

١٦. الله احّن من الوالدة على ولدها ...

١٧. الله يسمع من حلگك ...

١٨. الله يبري البري ويكشف السو الخفي

١٩. الله لايجعلهه عليه غية ...

٢٠. الله يبني لك بيت بالجنة ...

٢١. الله وياك يلمنحدر ...

٢٢. الله وينّه عنهم (عنه) ...

٢٣. الله مايگطع بعبده ...

٢٤. الله الرازق (الحافظ) ياستار ...

٢٥. الله اشجابه بالموسطه...

٢٦. الله يرحم موتاك ...

٢٧. الله يكشف هالغمة ...

٢٨. الله كسّف احواله ...

٢٩. الله يسد باب يفتح الف (ستين) باب ...

٣٠. الله اكبر من الكل ...

٣١. الله ماحضاني بيه ...

٣٢. الله إله بالمرصاد ...

٣٣. الله إله بيه ارادة (مصلحة) ...

٣٤. الله يخلق كل سبعة من طينة ....

٣٥. الله لايقسملك خبزة وياه ...

٣٦. الله ياخذ حوبتك منه ...

٣٧. الله من بدالك ...

٣٨. الله يبلي سنتك على هالچذب ...

٣٩. الله اشبلانه بيك بلوة ...

٤٠. الله يجيبه (يعوده) سالم ...

٤١. الله يلعن ابليسك ...

٤٢. الله يرزق الدود في الحجر الجلمود ...

٤٣. الله حاضر وناظر ...

٤٤. الله وكيلك ...

٤٥. الله لو يهديه لو يدهديه ....

٤٦. الله جابك ...

٤٧. الله يمهل ولايهمل ...

٤٨. الله ماشافك بالطاهري ...

٤٩. الله مايتلاگة بوجهين ...

٥٠. الله يجويّك ...

٥١. الله هداه وفضّل من عشاه لغداه ...

٥٢. الله يحب الساترين ...

٥٣. الله يزيد النعمة ...

٥٤. الله مايحمّلة ...

٥٥. الله حبه واخذه ...

٥٦. الله وايدك ...

٥٧. الله الماله شريك ...

٥٨. الله گاعد عالحق ..

٥٩. الله لايجذبني ...

٦٠. الله يعلم شكو بالباطن ...

٦١- الله أرحم الراحمين..

٦٢- الله مايصيب (يضرب) بعصا..

٦٣- الله يشامته..

٦٤- الله يرحمه...

الفهرس

٢٩ ٥ ٢٠٠٤ م

وآخر دعوانا . . . أن الحمد لله رب العالمين



هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب تبيان سيرة احد ثوار الإسلام ممن شمر عن ساعديه وصمم بقوة وعزيمة عام ٦٦هـ وتحت شعار ((يالثارات الحسين)) على الأخذ بالثار من الشرذمة المجرمة التي ركبت رأسها وغرها متاع الحياة الدنيا فأعلنت حرب إبادة لاهوادة فيها على الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه عند طف كربلاء في العاشر من المحرم عام ٦١هـ، وهي الحرب التي تعد – بحق وحقيقة – مجزرة بشعة تهون بجوارها كل مجزرة حيث أوقعوا في صفوف الإمام الحسين (ع) وأهل بيته وأنصاره – ومن دون رحمة – القتل والسلب والدمار والسبي بما لم نسمع به أو نقرأه في تاريخ الشرق والغرب، وكان هذا الثار من هؤلاء الطغاة هو استجابة لمقولة الإمام الحسين (ع): ((اللهم سلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كاسا مصبرة ولا يدع أحدا إلا قتله، قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي))..

انه المختار الثقفي الذي كان يردّد دوما: ((لايسوغ لي الطعام او الشراب حتى أطهّر الأرض من قتلة الحسين (ع) و((والله لاقتلن بالحسين عدد الذين قتلوا بيحيى بن زكريا وهو ٧٠ الفا) و((مامن ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء)) وهو ينتسب إلى قبيلة ثقيف التي تقطن بالطائف وهي البلدة التي كانت مع مكة المكرمة (ويفصلها ١١٠كم) القريتان اللتان أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم).

هذا ولئن كان المختار الثقفي قد رفع وبيض وجه قبيلته (ثقيف)، إلا إن (شقي بني ثقيف) وهو الحجاج الثقفي الذي تولى إمارة العراق بعده بعقدين كان قد سوّد وجه هذه القبيلة وانزلها إلى الحضيض جراء الظلم والخسف الذي انزله بالناس وعلى الظنة والتهمة، فلا عجب أن يجعل الله تعالى خاتمة حياة هذا الطاغية بشعة، إذ دهمه مرض عضال دعا الناس للابتعاد عنه لئلا تصيبهم العدوى منه، وظل هذا السفاح يقاسي من مرارة هذا المرض إلى أن فاضت روحه إلى الجحيم في ١٧ رمضان من عام ٩٥هـ عن عمر ٥٤سنة، وكانت وفاته هذه قبل انتهاء مدة خلافة سيده الوليد بن عبد الملك بأقل من سنة، ولو إن الله سبحانه كان قد مد في عمر هذا الظالم سنة واحدة فقط لكانت نهايته قاسية أيضا، حيث كان سيف سليمان بن عبد الملك سيطال رقبته لكونه كان من الذين حرّضوا الوليد على نصب ولده وليا للعهد بدلا من أخيه سليمان..

هذا وقد ساهم وتعاون مع المختار في تصفية زمر البغي والعدوان رفيق دربه وقائد جيشه البطل الهمام إبراهيم بن مالك الاشتر النخعي..

فبعد إن تم تصفية رؤوس البغي والعدوان في الكوفة وتطهيرها من رجسهم، توّجه إبراهيم النخعي على رأس جيش تعداده (٧) آلاف فرد عام ٦٧هـ باتجاه الشمال ليلتحم مع الجيش الأموي بقيادة عبيد الله بن زياد في معركة (الخازر) حيث تم للنخعي كسب المعركة وتصفية ابن زياد وبقية أفراد جيشه وإرسال رؤوس قادته إلى المختار ليشعره بالنصر المؤزر الذي أحرزه على أعدائه رغم إن الجيش الأموي كان يزيد بعشرة أضعاف على جيش المختار وانه لم يقتل من أهل الشام بعد معركة صفين عام (٣٨) هـ مثلما تم قتلهم في هذه المعركة على يد ابراهيم الاشتر..

وبدوره فقد بعث المختار بكل رؤوس قادة البغي والعدوان هذه إلى الإمام علي بن الحسين (ع) في المدينة المنورة ليخفف من غلواء المصاب والفاجعة التي كان يعيشها هو وأهل بيته منذ يوم عاشوراء وحينها قال الإمام زين العابدين (ع): (الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي وجزى الله المختار خيرا).

كما وان الإمام محمد بن علي الباقر (ع) كان قد قال فيما بعد وحين خاطب نجل المختار بعد أن أجلسه إلى جواره:- ((رحم الله اباك ما ترك لنا حقا عند احد إلا أخذه))..

كما وينقل عن الإمام جعفر الصادق (ع) قوله بهذا الشأن: ((ما اكتحلت هاشمية ولااختضبت ولارؤي في دار هاشمي دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد))....

لقد استشهد المختار في ١٥رمضان عام ٦٧هـ عن عمر ٦٧سنة وبعد حكم دام سنة ونصف قتل خلالها (١٨) ألف ممن شارك في قتل الحسين (ع) بعد أن تتبعهم في كل دير ودار وقتلهم تحت كل حجر ومدر وأصلاهم الحميم والجحيم...

مطبعة كربلاء